

نعيم بن محمد الفارسي

# سَوَاحِحُ الْقِرَاءَةِ

قراءات.. تأملات.. خواطر..



# سَوَاحِجُ الْقِرَاءَةِ

قراءات.. تأملات.. خواطر..

## سوانح القراءة

نعيم بن محمد الفارسي

*Reflections on Reading*

*By Naeem Mohammed Al Farsi*

الطبعة الأولى: يناير - كانون الثاني، 2025 (1000 نسخة)

Copyright@Dar Al-Rafidain2025

(C) جميع حقوق الطبع محفوظة / All Rights Reserved

حقوق النشر تعزز الإبداع، تشجع الطروحات المتنوعة والمختلفة، تطلق حرية التعبير، وتخلق ثقافة نابضة بالحياة. شكراً جزيلاً لك لشراكتك نسخة أصلية من هذا الكتاب ولا احترامك حقوق النشر من خلال امتناعك عن إعادة إنتاجه أو نسخه أو تصويره أو توزيعه أو أي من أجزائه بأي شكل من الأشكال دون إذن. أنت تدعم الكتاب والمترجمين وتسمح للرافدين أن تستمر برفد جميع القراء بالكتب.



بغداد - العراق / شارع المنبي عمارة الكاهجي

تلفون: +9647714440520 / +9647811005860

www.daralrafidain.com

info@daralrafidain.com

daralrafidain@yahoo.com

Dar ALRafidain دار الرافدين

daralrafidain

dar.alrafidain

dar\_alrafidain

daralrafidain دار الرافدين

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 721 - 90 - 3

# سَوَاحِحُ الْقِرَاءَةِ

قراءات.. تأملات.. خواطر..

نعيم بن محمد الفارسي



[www.daralrafidain.com](http://www.daralrafidain.com)

إهداء 7

المقدمة 11

النجاح يشعل نيران الغيرة والحسد! 17

جوناثان هايت والبحث عن معنى الحياة! 37

القراءة وتبدّل أحوالها 155

القراءة وتبدّل أحوالها 269

روين شارما والراهب الذي باع سيارته 85

النسيان مرة أخرى.. حلولة.. فوائده 107

مغالطات قرآنية 173

ثلاثون يوماً مع القراءة والكتابة 199

رسائل قصيرة: رسالة من جلال الشايب 225

رسائل قصيرة: رسالة من هاروكي موراكامي 229

رسائل قصيرة: رسالة من عمار علي حسن 233

رسائل قصيرة: رسالة من جان بول سارتر وستيفن كينج 239

قبل الختام: لِمَا اقتربتُ من الموت! 243

الخاتمة 251

شكر وامتنان 255

المراجع 257

الكاتب 271

إهداء

## بِنْتِي الْغَالِيَةِ غَيْم

كنا أنا ووالدتك قد أخذنا قراراً أن يكون أخوك «سيف» هو آخر مولود، وقلنا قد رزقنا الله بثلاثة أولاد – والحمد لله – ونراهم عدداً ملائماً لنا، سُحِبْطِهِم بِالرَّعَايَةِ وَالْإِهْتِمَامِ، وَسُنْعَتِهِمْ جُلَّ تَرْكِيزِنَا، وَنَدْعُو اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَحْفَظَهُمْ وَيُوقِفَهُمْ وَيُحِيطَهُمْ بِرِعَايَتِهِ.

مضت السنوات هكذا، ونحن البشر دائماً ما نضع الخُطط ونظن أنها ستمضي كما رسمناها، لكن تقادير الله سبحانه لها نصريفٌ آخر، وشاء الله أن تحمل بك والدتك بعد مضي قرابة السبع سنوات من ميلاد أخوك «سيف». لا تتصورى يا بنتي «غيم» كيف تغيرت تفكيرنا تماماً لما علمنا بأن هناك مولوداً قادماً! أنزل الله سبحانه علينا سعادة كبيرة على الرغم من تخطيطنا السابق ألا يكون هناك مولود آخر، وكنا نتوقع أن يكون الشعور مختلفاً تماماً.

كانت فرحتنا أنا ووالدتك عجيبة، وتضاعفت هذه الفرحة لما علمنا أن المولودة ستكون أنثى، وهذا لا يعني إطلاقاً أننا لن نفرح لو كان المولود ذكراً، فكل ما يُقدِّره الله لنا نرضاهُ ونسعد به، لكننا حينما علمنا أن هناك مولوداً قادم يعون الله، دعونا الله سبحانه أن تكون بنتاً، ليكون لدى أختك الكبيرة «نور» أختاً معها، كما أن أخوك «محمد» و«سيف» يلعبان ويتعاركان معاً.

وكان فضل الله علينا كبيراً، إذ قالوا لنا إن المولودة ستكون بنتاً، وقررنا بعد بحثٍ وتشاورٍ فترة ليست بالقصيرة، أن نسميك «غيم»، لتكوني غيماً يطر على حياتنا بالسعادة والفرح.

لن تتخيلي يا بنتي «غيم» كيف كنتُ أنا ووالدتك نعدُّ الأيام والليالي في انتظار أن تأتي إلى الدنيا. كنا سعيدين بالرحلات التي نقوم بها إلى مسقط وإمارة دبي والشارقة والعين وعجمان وغيرها من أجل شراء أغراض لك. ندفع من دون تفكير لكل ما يلزمك ونختار أجود الأشياء.

بنتي غيم، كان الشهر الأخير قبل خروجك إلى هذه الدنيا حاسماً. كنا أنا ووالدتك نمشي قرابة الساعة على الشاطئ يوماً كل مساء، ولا نتحدث إلا عنك ونتخيلك كيف ستكونين ومن ستشبهين؟! وماذا ستفعلين بنا حين تكبرين قليلاً؟! وبعد المشي أقوم بطلب عصير الأناناس بأكبر حجم لوالدتك، ثم نرجع إلى المنزل. هكذا كان حالنا في الشهر الأخير.

وفي ليلة السبت كان من المقرر أن نمشي وفقاً لجدولنا اليومي المعتاد، ولكن الله سبحانه قدّر أن تكون لحظة خروجك إلى هذه الدنيا قد قاربت جداً. وبعد ساعات حانت اللحظة الحاسمة التي ارتقبناها بشوق كبير، لتخرجي إلى هذه الدنيا يوم السبت، في تاريخ 7 سبتمبر 2024م بعد الساعة الثالثة فجراً بقليل.

ابنتي «غيم»، لم يكن خروجك سهلاً. كنتُ الأصعب من بين إخوتك، ولكن مع ذلك زال تعب والدتك لما رأت أنك بخير والحمد لله.

ابنتي «غيم»، كنتُ في العشرة أيام الأخيرة قبل قدمك إلى هذه الدنيا، أعاني بشدة من مرضي المزمن، ارتفاع ضغط الدم، إذ كان في أقوى حالاته ولم تفلح الأدوية – مع تغييرها – في خفضه. لم يكن في وسعي فعل أي شيء بسهولة، حتى القراءة والكتابة لم تفلح في شغلي عنه فتوقفت عنهما، حيث كنت أشعر بألم شديد في رأسي مع ضيق وإرهاق تام، يجعلان أي فعل مني – ولو كان يسيراً – يشعرنني بصعوبة بالغة، حتى إنني توقعت أنه لم يبق لي في هذه الدنيا إلا ساعات أو أيام، فكنتُ أدعو الله سبحانه أن أراك قبل أن تخطفي يد المنون، والحمد لله أن مواعيدي لم يكن قد حان بعد! وبمجرد أن رأيت وجهك البريء اختفى الألم الشديد تماماً وشعرت بسعادة غامرة.

ابنتي «غيم»، من شدة فرح أختك «نور» التي تكبرك بأربعة عشر عاماً، بكت كثيراً لما رأتك أول مرة. وأول مرة في حياتي أرى شخصاً يبكي من الفرح.

ابنتي «غيم»، دخولك إلى عالمنا غير حياتنا تماماً وجددها، وجعل لها معنى أكبر وأعطاني أملاً من جديد كي أكافح ولا أياس ولا أستسلم لمرضٍ أو غيرهِ.

ابنتي «غيم»، يقول «اللورد أفيري»: «السعادة في ثلاثة أشياء: شيء تعمله، شيء تحبه، وشيء تأمله»، وأنت أحد أسباب سعادتنا؛ لأننا نحُبُّكَ.

حفظك الله يا بنتي «غيم»، وحفظ أختك «نور» وحفظ أخوك «محمد» و«سيف»، وجعلك على قلبٍ واحد، لا تُفرِّق بينكم الأيام إلا بالموت الذي هو نهاية كل حي على وجه هذه الأرض.

ابنتي «غيم»، تركتُ لكم مكتبة جمعتها طوال سني عمري، منذ كنتُ في بداية المرحلة الجامعية، وعدد كتبها – بفضلٍ من الله – قد تجاوز 5700 كتاب، وأرجو أن تنتقي بها أنت وإخوتك.

حفظ الله والدتك الغالية، التي لولاها – بعد توفيق الله وفضله الكبير – لما أنجزتُ شيئاً.

نعيم الغارسي

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. اللهم لك الحمدُ حمداً طيباً مباركاً فيه، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. أما بعدُ:

مرحباً بك أخي القارئ/أختي القارئة مع كتابي السادس: «سوانح القراءة».

كلمة «السانح» في اللغة العربية لها معانٍ كثيرة، ومن معانيها كما وردَ في أهم معاجم اللغة العربية: هو ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غيره، وجمعها «سوانح»، وهي عكس كلمة «البارح» التي تعني ما أتاك عن يسارك. وكلمة «السانح» عند العرب تستخدم للتفاؤل، بعكس كلمة «البارح» التي تستخدم للتشاؤم. كما تأتي كلمة «سانح» أيضاً بمعنى عرض وظهر، فيقال: «هذه سوانح جادت بها قريحته»، أي هذه أفكار وخواطر عرضها.

وقد قصدتُ باختياري «سوانح القراءة» عنواناً لكتابي هذا المعنيين السابقين، إذ قصدتُ أولاً أن أعرض فيه بعض خواطري ومُطالعاتي وتأملاتي وانطباعاتي حول الكتب والقراءة والكتاب، كما قصدتُ أن يكون كتابي هذا فال خير لكل من يقرأه، فكلني تفاؤل أن يخرج من يقرأه بانطباع جيد نحو القراءة والكتب.

هذه التأملات والانطباعات والخواطر التي دونتها في كتابي، تكوّنت لديّ من صحبتي الطويلة مع الكتب مُضافاً إليها تجاربي في الحياة وما خبرته منها، فللكتب تأثير قوي في تشكيل كثيرٍ من قناعاتي وتصرفاتي، ولا عجب في ذلك، فالإنسان – كما قالوا – كان متأثر، يتأثر بالمخالطة والنظر، ويتأثر بما يسمع ويشم ويأكل، بل قالوا أيضاً إن اللغة تؤثر في عقل الإنسان وقلبه.

ومن أكثر ما يؤثر في الإنسان الصحية والرفقة، فيتطبع الإنسان بأطبائع من يُصاحب من أصدقائه ورفقائه. وصحبة الكتب كصحبة البشر لا تفرق عنها في شيء، فمن يصاحب الكتب ويقضي وقته معها، لابد أن يتأثر بمضامينها وتكون كثيرًا من قناعاته، ولذا فنصرافاته نابعة مما قرأه وإن كان لا يعي ذلك، فلابد من تأثير لما قرأناه وإن لم نشعر به.

وقد صَحبتُ الكتب صحبة يومية عميقة فترة طويلة تجاوزت العقدين والنصف من الزمان. بدأتُ صحبتيها لما كنت صديماً مراهقاً، واستمرت هذ الصحبة إلى اليوم وقد أصبحت كهلاً ودخلتُ عقدي الرابع، وما زاد تعاقب الأيام والشهور والسنوات هذه الصحبة إلا تجزراً وعمقاً.

فما زالت الكتب هي أفضل وأقرب صاحب لديّ، والله الحمد أولاً وأخيراً ما تعيّر شغفي بالكتب ولا تبدّل ولا فترتُ بمرور هذه السنوات الطوال! فما زال أول اهتماماتي شراءها وقرأتها كما كنتُ في العشرينيات من العمر، وما زلتُ أسعد سعادة لا توصف إذا اقتنيتُ كتاباً جديدة، وكانني ذلك الصبي المراهق الذي يفرح بشراء أول كتاب له من مصروفه المدرسي الصغير، وكانني لا أملك مكتبة تجاوز عدد كتبها الخمسة آلاف كتاب!

وما زالت أكثر هدية تُدخل السعادة إلى قلبي هي الكتاب. وإذا أهداني مؤلف أقدّره وأحترمه أحد كتبه فلا تسل حينذاك عن فرحتي! وما زالت أغلب رحلاتي – إن لم يكن جميعها – مخصصة لزيارة المكتبات ومعارض الكتب، لأرى جديدها وأشتري ما لذ وطاب منها، ولا أخفي سرا إن قلت إن أهم سبب لوجودي في مواقع التواصل الاجتماعي هو متابعة الحسابات التي تعرض الكتب، الجديد منها والنادر. لهذه الأسباب كلها صرتُ أملك مكتبة بلغ عدد كتبها 5799 كتاباً، جمعتها بمرور هذه السنوات، والفضل والمنة لله وحده.

يقول المحرر الأدبي «روبرت غوثليب» واصفاً علاقته مع القراءة: «بها بدأ مشواري وعليها سأواظب». وأجد هذا الكلام ينطبق علي تماماً، إذ صَحبتُ الكتب أكثر مما صَحبتُ أصدقائي، وعشت معها أكثر مما عشت معهم، وقللت من الزيارات واللقاءات إلى أقصى حد، فقط لأعيش مع الكتب.

كانت هذه الكتب – وما زالت – تُحيطني دوماً لتؤنسني في خلوتي، ولتُعَلِّمني وتُهَيِّبني الحكمة والاتزان والهدوء والصبر وأشياء أخرى كثيرة. ولا عجب – إذن – أن أتأثر بالكتب أشد من تأثري بأي شيء آخر. ولا عجب بعد ذلك أن تمنحي الكتب كل هذه الأفكار والتأملات والخواطر، التي دونتُ بعضها هنا.

أسأل الله بفضله الواسع وكرمه أن يجد قارئ كتابي الفائدة والمتعة، وأسأله سبحانه أن يتقبل كتابي ويجعل له القبول، وأن يكون خالصاً لوجهه نافعاً لكل من يقرأه. هو وليُّ ذلك والقادر عليه، ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه.

المؤلف

5 ديسمبر 2024م<sup>[1]</sup>

«لقد غيّرت القراءة الوعي البشري وغيّرت العالم نفسه. وبصرف النظر عن كونها وسيلة اتصال جبارة ومصدرًا لا يُضاهى للمتعة، فقد فتحت أبواب المعرفة على مصاريعها تجاه كل ما هو مهم وذو شأن تقريباً».

كادوغنا لومبارديا

«لن تموت القراءة والكتابة ما دام الإنسان بحاجة إلى التعلّم واكتساب المعرفة، وإنتاج معنى لحياته، وحاجته إلى التسلية».

د. عيد الجبار الرفاعي

«إن الكتابة أكثر المهين عزلة في العالم، فلا أحد بإمكانه مساعدة المرء في كتابة ما يكتب».

غابريل غارسيا ماركيز

«مسؤولية الكاتب الكبرى إنما تكمن تجاه قرائه بأن يستمر في تقديم أفضل ما عنده».

هاروكي موراكامي

«متى أنهيت مخطوط كتاب، رأيت نفسي غير راضٍ عنه بعد مرور أسبوعين من إنهائه».

فيكتور فرانكل

«إن شغفي بالقراءة يجعلني أزهد في الكتابة».

أوسكار وايلد

«فكرة أن القراءة «تؤنس» الإنسان صحيحة في مجملها، حتى لو عانت أحياناً من بعض الاستثناءات المزعجة».

دانيال بِنَاك

«المكتبة هي معبد الفكر ومُعتكف المفكرين، وهي المعمل الذي تُصنع فيه العقول وتُصاغ الأذواق».

عبد الله كنون

«أتأمل رفوف المكتبة، أرتب بعض الكتب، أتوقف، أتأمل المجلدات المتجاورة، لدي علاقة بكل منها، وترتيبها يخضع لدرجة الحميمية التي تربطني بها. فوق رأسي مباشرة أربعة رفوف أصف فوقها تلك الأعمال التي تُشكّل حجر الزاوية في تكويني الوجداني؛ القرآن الكريم، الفتوحات المكية، بدائع الزهور، حوليات التاريخ المصري، الأعمال الكاملة لدستوفيسكي وتولستوي وتشيكوف، موبى ديك لهيرمان ميلفيل، جسر على نهر درينا لآينوآندرينش، أعمال كافكا، صحراء التتار لديفوبوتزاني، العالم 1984 لأورويل، البحث عن الزمن الضائع لبروست.

تتجول عيناى في أرجاء المكتبة. في الأعوام العشرين الأخيرة ركزت على اقتناء المصادر الأساسية، لاسيما في التراث العربي.

الكتب كثيرة جداً، وفي مطلع النهار التوتوي الهادئ ينتابني حزن شفيف، وضيق أيضاً. ما أريد أن أقرأه كثير، بلا حصر، والعمر مهما طال فهو قصير، فهل سيكفي ما تبقى لاستيعاب هذا كله؟ أذكر قول أحد المتصوفة الكبار: «العمر قصير، وما مضى لا يمكن استعادته، وما سيأتي قد لا يصل الإنسان إليه»، لهذا أنا في صراع دائم ومرير كي أمثلك وقتي. إنه الشيء الوحيد الذي لا يستعيده المرء أبداً إذا بدده، وهذا لب القضية».

جمال الغيطاني

«إذا لم تُحاكم القراءة أفكارنا ومفاهيمنا، فلماذا تستقطع أوقاتاً طويلة من حياتنا؟!».

د. مشعل الفلاحى

«من يستطيعون القراءة يرون بوضوح مضاعف».

الكاتب الأثيني «ميناندر»

«أنا ليس لديّ كتاب لا يُقرأ، كل كتاب هو مشروع قراءة، ولست أدري السبب الذي حملني على هذا التباين الحادّ في موضوعات القراءة منذ عرفت الكتاب؛ أهو الملل الذي جُلبت عليه، أم الشغف المعرفي المجنّح، أم هي هزيمة ثقافية لا يضيرها اختلاف هذه الأنواع من طعوم العلم؟ هل هو كلّ هذا أم لا شيء منه؟ لست أدري! ولو رأى أحدهم كيس الكتب الذي أحمله في معرض الكتاب لتوهمني مجنوناً يختار الكتب على غير قانون طبيعي! فمن كتب عن الطبّيح إلى مسائل الإمام أحمد وبينهما غراب... لكنى سعيد!».

عبد الله الهدلق

«لم يعد الآباء قُراءاً ليُلهموا أبناءهم أن يتربّوا على ذلك».

الشاعر الأوغندي «بيتر كاغاي»

«الضحايا لديهم تليفزيونات ضخمة، بينما يمتلك القادة مكتبات ضخمة».

روبن شارما على لسان أحد أبطال رواياته

النجاح يشعل نيران الغيرة والحسد!

النجاح يشعل نار الغيرة والحسد بين الأقران الذين يعملون في المجال نفسه (هذا في الغالب. وقد يحدث الحسد من دون أن يكون الشخص الآخر معك في المجال نفسه، فقط لأنك نجحت ولم ينجح هو!). وكالعادة في البداية يكون الأصدقاء والأقران وكأنهم على قلب واحد، يعملون معاً ويساعد بعضهم بعضاً، ولكن ما إن يبرز أحدهم وتظهر موهبته ويكون له صدى مسموع، حتى تنقلب هذه الصداقة الظاهرية عند الكثير من أصدقائه إلى عداوة، حيث يدب إليها داء الحسد والغيرة.

ويكون هذا الحسد بطريقتين: إما أن يبدأ الأقران بالتقليل من شأن إنجازاته وتحقيره وتسفيهه والبحث عن عيوبه وعيوب ما أنجز، وهذا الأكثر والأشد، أو أن يكون هذا العداة بالتجاهل التام لإنجازاته وعدم ذكره وذكرها وكأنه غير موجود! وإذا ما ورد اسمه عندهم فإنهم ينصرفون وكأنهم لا يعرفونه ولم يسمعوا به ولا بإنجازاته، من باب التقليل من شأنه وشأنها.

وبالطبع يُصاب صاحب الموهبة بصدمة عميقة من عداة أصدقائه وتحول هذه الصداقة إلى عداوة من دون أن يفهم سبباً لذلك، لاسيما حينما يكون في بداية نجاحه ولم يتمرس بعد على مثل هذه التصرفات.

موقف حدث مع دوستوفسكي

يذكر الأديب الرائع جلال الشايب في كتابه الفذ «رجال عاشوا ألف عام» أن الروائي العملاق دوستوفسكي بعد أن نشر روايته الأولى «الفقراء» في عام 1846م، ولاقت نجاحاً كبيراً، فجأة أصبح مشهوراً! وراح الناس يحتشدون حوله، يغرّونه بالمجاملات ويقولون له إنك كاتب ساحر. بل وصل الأمر إلى أن أصحاب الصالونات الأكثر مهابة، التي تستقبل فقط مشاهير الكتاب، سارعوا إلى التعرف إلى دوستوفسكي واستضافته في بيوتهم الفخمة.

هذا الأمر دفع بأصدقاء دوستوفسكي من الكتاب المبتدئين مثله ألا يتحملوا نجاحه المفاجئ، فكنوا له كل مشاعر الحسد الأدبي، حيث أشعل هذا النجاح لهيب غضبهم، وقالوا كيف لهذا الشاب المتواضع أن يرتاد صالونات المشاهير المغلقة في وجوهنا نحن المغمرين؟ فراحوا يسخرون منه وينشرون أحقر الوشائيات في حقه. بل إن أحدهم، وهو «تورجينيف» كتب قصيدة ساخرة صور فيها دوستوفسكي أسوأ تصوير، واختلق أموراً سخيفة فقط ليغيبه بها.

ماذا كانت ردة فعل دوستوفسكي تجاه هذا العداة غير المتوقع ممن تصوّر أنهم أول من سيفرحون بنجاحه؟! أصيب بصدمة وحزن كثير وعانى مرارة خيبة الأمل من أصدقائه، إذ كان يعتقد أن أصدقاءه هؤلاء سيفرحون لنجاحه تماماً كما كان هو سيفرح لنجاحهم، لكن خابت توقعاته للأسف!

مسرحية «سالومي» لمحمد سلماوي

في مذكراته «العصف والريحان» يذكر الكاتب والروائي المصري محمد سلماوي أنه في عام 1988م عرضت له مسرحية «سالومي»، وهي مسرحية كتبها قبل 20 عاماً من تاريخ عرضها، وقد استلهم فكرتها من مسرحية بالعنوان نفسه للكاتب الإيرلندي «أوسكار وايلد»، حيث دأبت شخصية «سالومي» خياله طويلاً. وسالومي – كما يحكي سلماوي – هي الفتاة ذات الجمال الخلاب التي تستحوذ على عقل الحاكم الروماني «هيرود» – زوج أمها – وقلبه، فيطلب منها في أحد الليالي أن ترقص له، واعدأ إياها بأن يلبي لها أي طلب تطلبه.

ترقص سالومي لهيرود رقصة «الأوشحة السبعة»، وهي رقصة فيورية تُننى بالشر! ولما انتهت منها سألها عما تريده، فطلبت أن يحضر لها على طبق من فضة رأس «يوحنا المعمدان»، الذي كان قد ألقى القبض عليه بعد أن دأب على سب والذم في الأسواق واتهامها بالزنى.

استعار محمد سلماوي أسطورة «سالومي» كما كتبها أوسكار وايلد، ولكنه ألبسها ثوباً سياسياً، حيث وجد تشابهاً بين ما تقعله إسرائيل في الضفة الغربية المحتلة والحكم الروماني؛ فالباطل الروماني آنذاك يمثل حكماً غريباً عن البلاد مثل الحكم الإسرائيلي الحالي للضفة، لكن سلماوي حول «يوحنا المعمدان» إلى شخص ثائر من أهل البلد، يعارض الحكم الدخيل ويتنابأ بخلاص البلد، فهو شاب من الناصرة لا يعرف له اسم، ولكن يُشار إليه بصفة «الناصرى».

يقول سلماوي إن هذا البعد السياسي الذي أُضيف إلى مسرحية سالومي جعلها أكثر تعقيداً وتركيباً، من أن تكون مسرحية محدودة، فالمسرحية تناصر القضية الفلسطينية، وهي تُصوّر غطرسة الاحتلال واضطهاد إسرائيل للمسلمين والعرب في الأراضي المحتلة.

المسرحية من إخراج فهمي الخولي، وطولة رعدة ونور الدمرداش. رأى المخرج – كما قال سلماوي – أن يُقدّم المسرحية بشكل مختلف، وأن يخرج بها من أسر مسرح العلبه المغلق إلى أحد المواقع التاريخية، فاختار مكان المسرحية ليكون في مقياس النيل – الذي هو أقدم أثر إسلامي في مصر بعد جامع عمرو بن العاص – وذلك لهويته التاريخية ولاحتوائه ساحة فسحة تشعل خيال أي مخرج.

عُرِضت المسرحية ولاقت قبولاً كبيراً وذاخ صيتها وأثارت ضجة، واحتشدت الجماهير الغفيرة لمشاهدتها، مما دعا إسرائيل من خلال سفارتها الموجودة في القاهرة إلى الاعتراض على عرض المسرحية بحجة معاداتها لإسرائيل، وأن عرض هذه المسرحية يتعارض مع اتفاقية السلام الموقعة بين البلدين. كما تحرك أيضاً السفير الأمريكي في القاهرة «فرانك وزنر» مطالباً بمشاهدة المسرحية التي يتحدث عنها الجميع، ليعرف هل فعلاً تعادي إسرائيل كما قيل عنها؟

يقول سلماوي: لكن كان يصعب وقف مسرحية نجحت نجاحاً كبيراً فجأة! كما كان لحكمة وزير الخارجية د. أحمد عصمت عبد المجيد دور في عدم إيقاف عرض المسرحية، وبخاصة أن الاعتراض كان من إسرائيل.

كل هذا النجاح الكبير للمسرحية أشعل الحسد على مؤلفها الذي اكتسب شهرة واسعة جداً، مما جعل أعداء النجاح يحاربونه ويحاربونها. فما إن هدأت الزوابع التي أثارها إسرائيل حتى فوجئ محمد سلماوي بفتوى من فضيلة الشيخ سيد طنطاوي – مفتي الديار المصرية وقتها وأصبح شيخاً للأزهر فيما بعد – بوقف عرض المسرحية لأنها تصوّر الأنبياء، وتصور الأنبياء في الأعمال الفنية حرام، وبما أن «يوحنا المعمدان» في قصة «سالومي» هو من نعرفه في الإسلام باسم النبي «يحيى»، فإن تقديمه في إحدى الشخصيات في المسرحية يخالف قرار الأزهر.

نُشرت الفتوى في جريدة «الأخبار» وجريدة «الجمهورية» وأثارت ضجة كبيرة، فبدأت الصحافة وأجهزة الإعلام تتابع الموضوع مع محمد سلماوي والمخرج ومدير الرقابة أ. حمدي سرور، الذي سمح بعرض مسرحية فيها تجسيد للأنبياء مخالفاً بذلك تعليمات الأزهر.

بدأت التحقيقات، وأوضح لهم محمد سلماوي أن المسرحية ليس فيها أنبياء، وأن يوحنا المعمدان ليس من بين شخصيات المسرحية، بل استُبدل بشاب ثائر. فقام مدير الرقابة بالاتصال بفضيلة الشيخ سيد طنطاوي ليوضح له ما ألتبس عليه في هذا الموضوع، ليقول له فضيلة الشيخ إن التصريح المنسوب لفضيلته كان مبتوراً، وأنه لم يقصده بالنص المنشور عنه، ثم أرسل فضيلة الشيخ سيد طنطاوي بعد ذلك خطاباً إلى محمد سلماوي يقول فيه: «وما دام الأمر كذلك، فإن دار الإفتاء تؤيد كل عمل فني الهدف منه غرس مكارم الأخلاق في النفوس، وبث روح المقاومة للظلم، وإحقاق الحق وإبطال الظلم».

هل انتهت الحرب على المسرحية بعد تراجع فتوى الشيخ سيد طنطاوي؟ لا، فأعداء النجاح لا يمكن أن يهدؤوا حتى يروا صاحب النجاح قد انهزم وتراجع. يقول محمد سلماوي إن الحرب على مسرحيته لم تتوقف بل ازدادت ضراوة، لكن كل ضجة قامت من أجل إيقاف المسرحية كان يزيدنا نجاحاً وإقبالاً، حتى فاز مخرجها بجائزة الدولة التشجيعية عام 1990م بإجماع آراء أعضاء لجنة التحكيم من دون استثناء.

يقول محمد سلماوي: هكذا انتصر النجاح على الإخفاق وتمكنت «سالومي» من تسجيل اسمها في تاريخ المسرح المصري، كمحطة مهمة في محاولات المسرح للخروج من سجن العلية ذات الحوائط الأربعة المغلقة، وتقديم العرض المسرحي بشكل جديد ومبتكر.

موقف حدث مع الشيخ كشك

ذكر الخطيب المفوه الشيخ عبد الحميد كشك - عليه رحمة الله - في قصة أيامه، هذا الموقف الذي حدث له لما كان في عمر السادسة عشرة عاماً، وكان حينها في السنة الثالثة في معهد الإسكندرية الديني.

فبعد انتهاء الاختبارات وبدء دخول الصيف عاد الفتى كشك إلى بلدته. وفي يوم من الأيام صلى صلاة العصر مع بعض زملائه، ولما انتهوا قال أحدهم: من منكم يستطيع أن يقوم ويلقي درساً على المصلين في أحد المساجد؟ فقام الفتى كشك بالرد وقال إنه يستطيع فعل ذلك.

يقول الشيخ كشك اخترت المسجد البحري لإلقاء أول موعظة لي، وقد قررت أن تكون بعد صلاة الفجر، واستعنت بالله أن يلهمني ما أقول، وما إن سلم الإمام من صلاة الفجر حتى كسرت حاجز الخوف وأقيت الموعظة التي استغرقت نحو ثلث ساعة.

بعد أن أنهى الفتى كشك موعظته تلقى التهاني من المصلين والتشجيع و عبارات الثناء والقبول، مما شجعه على أن يلقي مواعظ بعدها، بل زاد من نشاطه وألقى موعظة أخرى بعد صلاة العصر في المسجد الوسطاني.

لكن الصدمة أيضاً حصلت مع الشيخ كشك، حيث عاد هؤلاء الزملاء بعد أن نجح في إلقاء المواعظ وِصَار المصلون يرحبون به. يقول الشيخ كشك: «والشيء الذي لم أكن أتوقعه من الإخوة الزملاء أنهم سرعان ما ناصبوني العداوة حسداً من عند أنفسهم، لكنني استعنت بالله عليهم».

### المتنبي وكثرة حاسديه

لنذكر مثلاً أخيراً شهيراً لشخصية عظيمة يعرفها الجميع، ويندر أن لم يسمع بها أحد. كيف لا، وهو مالى الدنيا وشاغل الناس كما قيل عنه؟ أعني المتنبي الذي يُعد واحداً من أشعر شعراء العرب، بل قالوا عنه إنه شاعر العربية الأول. بسبب عبقرية المتنبي الشعرية العظيمة كانت العداوة والخصومة له في حياته وبعد مماته شديدة جداً.

يقول عبد الله الهدلق: لا أحسب أن مبدعاً في تاريخ الأدب كله، قد ناله في حياته وتُعيد مماته من الحسد والبيغي والخصومة والتجني كالذي نال أبا الطيب المتنبي، وما ذلك إلا لعبقريته التي ملأت الدنيا وشغلت الناس، فإينما حل المتنبي أحمل كل من كان هناك، لذلك عاداه الشعراء والوزراء والعلماء والكتّاب.

فانقَصَّه - الكلام ما زال للهدلق - أبو فراس الحمداني وابن خالويه والخالديان<sup>[2]</sup> وأبو العباس النامي، وذلك حسداً من عند أنفسهم. كما اجتهد الوزير المهلي والصاحب ابن عباد - وهما من هما - في إسقاطه، وابتدرته أقلام جلساء هؤلاء تتقرب إليهم بتلبه والحط من شأنه والزرارية عليه.

كما تجاهله الخالديان فيما ألفاه، وتجاهله كذلك أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الشهير «الأغاني». وكُتِبَ في سرقاته الكثير، وتمالأ عليه أعلام كل بلد دخله، وتأهب له منهم من قصده بالزيارة.

يقول الهدلق: لكن كل هذه الحرب الشعواء والتجاهل لم يزيدا المتنبي إلا رفعة وشهرة، حتى إن بعض هؤلاء اليوم لا يُذكر من شأنه إلا أنه ذاك الذي ألف رسالة في تلب المتنبي!

أرأيت ماذا يفعل النجاح العظيم بصاحبه؟ يُبرز له خصوماً لا يُعدون من كثرتهم!<sup>[3]</sup>

### الدروس المستفادة

ما أهم الدروس التي نجنيها من ذكر هذه القصص؟

أولاً: بما أنك أظهرت مواهبك وأنجزت شيئاً، لا بد أن يبرز لك أعداء سواء من الدائرة القريبة منك أم البعيدة، فالحسد موجود منذ بدء الخليقة ولن يتوقف إلى يوم القيامة. فليست الوحيد الذي يحدث له ذلك ويعاديه أصدقاؤه وأقربوه وغيرهم. كل صاحب نجاح لو سألته لأخبرك بما عاناه من حسد وغيره، وقد قيل: «كل ذي نعمة محسود».

تحدث د. أحمد القرني عن الحسد وقال إنه آفة الأفات ولم يسلم منها حتى العلماء على فضلهم وجماله قدرهم، ثم بين سبب انتشار الحسد فقال: «لأن الناس - إلا من رحم الله - كثيراً ما يؤلمهم مرأى النبوغ». فمهما كنت مسالماً وودوداً ولا ترغب في إيذاء أحد، لا بد أن تُعادي متى ما حققت نجاحاً. فتوقع أن يحدث لك كما حدث لغيرك، ليهون عليك وقوع الأمر بعد ذلك.

ثانياً: حاول قدر الإمكان ألا تدخل في معارك منشؤها الحسد والغيرة، متى ما تيقنت من ذلك. فهذه المعارك لن تجني منها سوى التعب والضيق والألم، فضلاً عن أنها ستقوم بتعطيلك عن مشاريعك القادمة وإحراق نفسك، فمهما فعلت فلن يفتنح حاسدك بك؛ لأن مشكلته في مواهبك وإبداعك ونجاحك، ولن يرضى عنك حاسدك إلا حين تتخلى عن مواهبك، فلا تتعب نفسك.

ثالثاً: حاول عدم التفكير في هذا الصنف إطلاقاً ولا تحاول أن تستمع لما يقولونه عنك. اشغل نفسك بعمل جديد ودعهم في حسدهم وعماهم، حتى ينصدموا مرة أخرى بإبداع آخر لك. هذا هو أقوى رد على كل حاسد وغيور.

رابعاً: انس هذا الصنف من الناس وامسحهم من عقلك تماماً، فهم أعداء النجاح ولا يستحقون دقيقة من وقتك وتفكيرك. ولا تطمح في إصلاحهم، فلن يصطلحوا حتى يزول الحسد، وزوال الحسد ليس بالأمر الهين. وصدق من قال:

كلّ العداوات قد تُرجى مودتها

إلا عداوة من عاداك من حسد

**خامساً:** كل شيء يحدث لنا لحكمة ولو كنا نرى فيه ضرراً لنا. ولعل وجود هؤلاء الحساد الذين يؤذونك نفسياً يكون سبباً في دفعك إلى أن تثبت نفسك أكثر، وتصر على تقديم ادعاءات أكثر جودة وإتقاناً. فإنك لا تدري، لو لا محاربتهم لك لربما قُتعت بنجاحك وترأخيت وماتت موهبتك ولم تقدّم شيئاً يُذكر بعد ذلك.

**سادساً:** لكل شيء ضريبة لابد من دفعها، وهذه ضريبة النجاح – لاسيما في البدايات – الذي لابد أن تعاني منه ولابد أن تلقى من العنت والحسد الشيء الكثير. وهي كذلك رسالة ضمنية لك بأنك ناجح وأنجزت شيئاً يُذكر، أما لو لم تتجح لما برز لك أعداء.

**سابعاً:** حملات التشويه التي يُثيرها أعداء النجاح حسداً وغيره، تتسبب في عكس ما يريدونه. فهم يُحاولون أن يُشوِّها صورتك ويُفَرِّوا الناس عنك، وما دروا أنهم يتصرفون هذا يزيدونك شهرة ويجعلون شرائح جديدة من المجتمع – لم تسمع بك من قبل – تقبل على أعمالك للتعرف إليها. وتؤكد تماماً أن الاتهامات الباطلة لا تلبث إلا أن تموت مع الزمن، متى ما تجاهلتها ولم تُعْرِها اهتماماً ومضيت في طريقك غير آبه بها.

**ثامناً:** اصبر على حسد الأقران، واستعن بالله في كل وقت أن يُبعد عنك شر هؤلاء الصنف والآن يشغلك بهم، وأن يشغلك بما ينفك، فكل أمر إذا استعنت فيه بالله أعانك عليه وهونه عليك.

### كيف نتعامل مع المتصديدين؟

للمدرب العالمي والكاتب «روبن شارما» مقال جميل يُحلل فيه شخصيات الذين أسماهم بالمتصديدين، ويقصد بهم الأشخاص المنتقدين الذين يحاولون منعك من إظهار مواهبك للبرية، ويسعون لإحباطك عن عمك الصادق، ويحطون من قدرك وقدر إنجازاتك.

يُخبرنا روبن في مقاله بأهم صفاتهم، ولماذا يفعلون ذلك، وكيف نتعامل معهم، وذلك من خلال عدة نقاط أبرزها:

أولاً: يقول لنا روبن إن الكارهيين والحاقدين هم في الحقيقة معلمون محبوبون متكرون. فهؤلاء الذين يشككون في قدراتك ومواهبك، ويحاولون التقليل من شأنك، يجعلونك – على الرغم من دناءة ما يفعلونه – أن ترى نقاط ضعفك وتنتبه إليها، فتسعى بعد ذلك لتحسينها، لذا ينبغي عليك أن تشكرهم على ذلك؛ لأنهم جعلوك أفضل وأقوى، وجعلوك ترتقي بنفسك وإن لم يرغبوا في ذلك.

ثانياً: يقول روبن: إن الضوء يجذب العث مثلما يجذب الشهرة. فكما أن عبقريتك في مجالك ستجذب إليك أشخاصاً يشيدون ببراعتك وتميزك، فإن إظهار عبقريتك سيولد لك متصديدين يغارون منك، كالنار تماماً التي تجذب الحشرات الصغيرة، وعليك أن تتقبل ذلك. تقول «جي. كي. رولينج» مؤلفة سلسلة روايات هاري بوتر: «من أجل أن يحبك البعض، يجب أن يكرهك الآخرون».

ثالثاً: يقول روبن: إن البؤس يبحث عن صحبة دائماً، وهؤلاء المتصديدين يفتقدون حُب ذواتهم وتقديرها، فهم في الغالب أشخاص محطّمون لم يستطيعوا أن يفعلوا ما فعلته، ولذا يشعرون بحال أفضل حين يهاجمونك، فالهجوم ينبع من الألم، والناس غالباً يعاملون غيرهم بالطريقة التي يعاملون بها أنفسهم، والبشر الذين يتعرضون لأذى كبير عادة ما يؤذون الآخرين.

يقول روبن: إن الناس السعداء الذين هم في وضع رائع لا يسعون إلى هدم الآخرين، فليس لديهم وقت لاستنزاف طاقاتهم وطموحاتهم في التقليل من شأن الآخرين ومحاربتهم وانتقادهم، لأنهم مشغولون بتحقيق أهدافهم. أما الحياة الفارغة وغير السعيدة ففيها يرتع الشر. فهؤلاء الأشخاص يشعرون بالفراغ والملل والغيرة، لذا يسعون إلى عرفلتك عن تحقيق أهدافك، وتصرفهم هذا يجعلهم يشعرون بشعور أفضل، وفردوا لو أن كل الناس أصبحوا مثلهم فارغين ليكنوا سواء!

رابعاً: يقول روبن: إن الجلوس على كرسي مريح وإرسال سهام النقد والتجريح لشخص ناجح أسهل بكثير من تحمّل المسؤولية الشخصية عن ظروفنا، والسعي نحو تحقيق أهدافنا. فهؤلاء المتصديدين هم أشخاص حالمون محطّمون، تقبلوا الرسائل السلبية التي وصلتهم من الآخرين وأغلقوا على أحلامهم، وبدلاً من أن يسعوا إلى تحقيقها عبروا عن مرارتهم هذه بنقد كل شخص يسعى إلى تحقيق أحلامه.

خامساً: يقول روبن: إن العمل المؤثر يولد أفعالاً منطرفة، وكلما زادت جودة منتجك وزادت براعتك، أصبحت ردود الأفعال أكثر تطرفاً<sup>(4)</sup>. فإذا صنعت عملاً مميزاً، فسيكريه الناقدون بشدة، ربما لأنهم لا يمتلكون الشجاعة لتقبل إبداعك، وهذا الأمر يشعرهم بأمان أكبر، فالانتقاد والهجوم ملاذ الجبان.

سادساً: أغلب هؤلاء المتصديدين – كما يقول روبن عنهم – «ينقدون ما لا يفهمون»، ينقدون فقط للنقد، لذلك ينصحنا روبن ألا نستمع لأراء أشخاص لا يعملون في مجالنا؛ لأنهم لا يعرفون ما يلزم لأداء أعمالنا، ولو ادعوا أنهم يفهمون ذلك، فلا يستطيع أحد أن يملك الفطنة في مجال ما بسهولة؛ لأن الأمر يحتاج إلى عقود من الممارسة اليومية والتدريب المستمر لصنع شيء يبدي في أعينهم صغيراً. فلماذا نستمع لأراء أشخاص لا يفهمون طبيعة عملنا؟!

سابعاً: يقول روبن إن الإستهزاء دليل على التأثير. فحين تتعرض للإستهزاء معنى ذلك أن عبقريتك بدأت تظهر للعالم، وحينها عليك أن تتق أنك لست في المسار الصحيح فحسب، بل صنعت عملاً مميزاً وصادقاً، وعليك أن تهني نفسك على هذا العمل.

ثامناً: العمل الجيد يحتاج إلى الكثير من الوقت ليكون رائجاً ولهم المهارة المتضمنة فيه، هكذا يُخبرنا روبن. فعلينا ألا ننزعج من عدم الالتفات إليه في الوقت الحالي، ولا نسمح للإحباط أن يصيبنا ونقول لا يوجد من يُقدّر ما نقوم به من جهد؟ فقط علينا أن نواصل مشروعنا ولا نتوقف، وسيأتي الاعتراف بأعمالنا وجهودنا في الوقت الملائم.

هذه هي طبيعة الأعمال الصادقة. ليس شرطاً أن يشتهر الواحد منا ويُعرف في حينه. ربما يحدث هذا الأمر متأخراً، وأحياناً بعد وفاتنا. الرسام «فينسنت فان جوخ» لم يبيع سوى لوحة واحدة في حياته بمبلغ زهيد، وكان ذلك قبل انتحاره بسبعة أشهر فقط، وبعد وفاته أصبح من أشهر الرسامين في العالم. ثابر ولا تسمح للافتقار الشعبي أن يوقفك؛ هذه رسالة روبن لكل واحد منا.

هذه باختصار أهم الأمور التي أخبرنا بها المدرب العالمي «روبن شارما» عن المتصديدين، ومعرفتها مهمة، لأن هذه الفئة موجودة دائماً ولن تختفي، فإينما وجد شخص ناجح استطاع أن يُظهر عظمته وإبداعه، سيظهر له المتصديدون من بينته القريبة جداً وبينته البعيدة كذلك، وعليه أن يعرف كيف يتعامل معهم ويحذر من شرهم، ويعلم أن هؤلاء حاسدون وإن أظهروا له كلامهم بمظهر الناصح الأمين، فهدفهم أن يكون مثلهم ويقعد ولا يعمل.

كما عليه ألا يلتفت إلى كلامهم ولا يُعبّر أي اهتمام، وأن يمضي في طريقه متجاهلاً كل مشاغباتهم، وليتيقن أن هذا الصنف لن يدعه في شأنه، فكلما زاد نجاحه زانوا عداوة؛ كما قال روبن. لكن أصحاب الإنجازات لا يبالون بما يُلقى في طريقهم من صعوبات، يمضون متوكئين على ربهم حتى يحققوا أهدافهم التي رسموها بعون الله.

### تأمل في آية كريمة

قبل فترة كنتُ أستمع للقرآن بصوت الشيخ أحمد العجمي – حفظه الله – في سيارتي. كان الشيخ يقرأ في سورة الأنفال حتى وصل إلى الآية الكريمة: (وإذا نلت عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لفلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين).

فاستوففتني هذا الآية وأخذت أتأملها كثيراً، إذ جعلتني أربط وأتذكر ما يقوله كثير من القراء عن كتاب قرؤوه: كتاب بسيط ليس فيه شيء! نستطيع أن نكتب أفضل عنه. لم يأت مؤلفه بجديد. لو لم يستعجل بإخراج كتابه لكان أفضل! وغيرها من الكلمات التي تسمعها من هذا الصنف.

والعجيب أن هذا الصنف تمر السنوات الكثيرة عليه وما زال لم يكتب ولم يُخرج لنا كتاباً واحداً!! فقط يرسلون سهام النقد لكل مؤلف كتاب قرؤوا كتابه، ولا يسلم منهم في الغالب أحد!

فنبهتني هذه الآية الكريمة وقلتُ في نفسي: إذا كان هؤلاء المشركون يقولون عن كلام رب العالمين – الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – إنهم يستطيعون أن يقولوا مثله، وما هذا الكلام إلا خرافات! – تعالى كلام الله سبحانه عن هذا الوصف – فكيف بالكتاب البشر الذين هم غير معصومين من الخطأ، فالخطأ والنسيان من طبيعتنا البشرية التي لا نستطيع الفكك منها؟!!

وأوضحت لي الآية – بعد تأملها – أن الأغلب ممن يقولون مثل هذا الكلام عن كتاب ما، هو من باب التقليل من شأن مؤلفه، ودافع ذلك الحسد والغيرة، وهم حقيقة عاجزون عن التأليف والكتابة، ولو كانوا يستطيعون الكتابة لكتبوا وألفوا وأخرجوا لنا كتباً، بل إنهم يتمنون لو كانوا مكان المؤلف، ولأنهم عاجزون عن ذلك فإنهم ينفثون ما في صدورهم من حسد وغيرة على المؤلف ويُقللون من شأن كتاباته.

وأؤكد هنا أن ليس هناك مقارنة بين كلام البشر وكلام رب البشر سبحانه، لكن من باب ربط الفكرة فقط! وما أجمل قول البوصيري عن كتاب الله الخالد، أعني القرآن الكريم:

الله أكبر إن ديباناً محمد

وكتابه أقوى وأقوم قبلا

لا تذكروا الكتب السوفاء عنده

طلع الصبايح فاطفي القنديلا

ماذا قال «برتراند راسل» عن الحسد؟

للفيلسوف وعالم الرياضيات والمؤرخ البريطاني «برتراند راسل» مقال جميل عن الحسد، إذ يقول عنه: إنه من أعمق المشاعر البشرية وأكثرها شيوعاً وانتشاراً. فهو يوجد حتى لدى الأطفال قبل أن يكملوا عامهم الأول من عمرهم. لذلك ينصح «راسل» المرابين أن ينتبهوا إلى هذه الصفة بين الأطفال؛ لأن أي محاباة لطفل على حساب طفل آخر ينتبه إليها الطفل المغبون مما يدفعه إلى الحقد على الطفل المُحابى.

ثم يقول «راسل»: إن الكبار أشد حسداً من الأطفال، لكن الفرق هو أن الأطفال أكثر صراحة في التعبير عن الكبار. يقول «راسل»: إن الحسد لدى الرجال محصور في أبناء المهنة بعكس النساء، إذ إن الحسد بينهن مطلق بلا حدود. ويدعو «راسل» الفارئ أن يُجرب أن يذكر بالخير والإعجاب فناناً أمام زميل فنان، أو يمدح طبيباً أمام طبيب بلدته، وسلاحظ حينها كيف تنتفخ برأكين الغيرة لدى الشخص.

وقيل «راسل» قال الفيلسوف أرسطو: إننا نحسد فقط الأشخاص الذين نراهم أقراناً، والذين نقران أنفسنا بهم، ولكننا لا نحسد أبداً الأشخاص البعيدين عنا، سواء من حيث المسافة أم الثروة! كما ذكر ذلك الفيلسوف «فريدريك لونوار». وقال «لونوار»: إن «سبينوزا» يتفق تماماً مع كلام أرسطو، لأننا نحسد فقط الأشخاص الذين هم من طبيعتنا نفسها!.

نعود إلى راسل الذي يؤكد أن عاطفة الحسد – على تشبيه الكبير بين البشر – هي من أعس العواطف؛ لأن الحاسد يتمنى الضرر لمن يحسده، مع أن الحاسد في الوقت نفسه يشقى بحسده، لأن الحسد عدو السعادة؛ فبدلاً من أن يستمد الحاسد المتعة مما يملكه، تجده يستمد الألم مما يملكه سواه، ولو كان الأمر بيده لجرّد الناس من جميع مزايهم!

يقول «راسل»: لو تركت عاطفة الحسد من غير كايح لكان فيها القضاء على كل موهبة نافعة للناس عامة، ثم يؤكد أن الحسد نقيصة خلقية وعقلية في آن واحد؛ لأنه يجعل صاحبه يقوم بعقد مقارنات بين ما يملكه هو وما يملكه غيره، فتجده مثلاً يقارن راتبه براتب غيره بدلاً من أن يكون راضياً بمرتبه، مما يدفعه إلى حسد الذي قارن نفسه به، وفي الحال تتناقص عليه معيشته وتلاشى أسباب سعادته، ويأكل قلبه الإحساس بالغبين!

وكلنا يتفق مع كلام «راسل» تماماً، فالحسد من أسوأ الصفات التي قد يُبتلى بها البشر، وهو الخطيئة الأولى التي عصا فيها «إيليس» أمر ربنا سبحانه له بالسجود لأبينا آدم عليه السلام، والحسد – أعاذنا الله منه – يدفع بصاحبه إلى أن يفترى ويظلم ويكذب ويؤذي المحسود.

كما يؤكد لنا كلام الفيلسوف «راسل» أن الحسد قَلَّ من يسلم منه. ولعل المقولة التي ذكرها صاحب كتاب «متعة الحديث» صحيحة، وهي: «لا يخلو جسد من حسد، فالكريم يُخفيه والنيح يُديه». لذا ينبغي ألا تعجب أن نجاحك يُشعل حسد الكثيرين، ومنهم أشخاص لم تكن تتوقعهم، فهذه طبيعة البشر ولا يسلم منها إلا قلة. فوطن نفسك على تقبل هذا الأمر يهين عليك، كما نبّهت من قبل.

### الحسد يجلب المرض لصاحبه

الحسد يضر صاحبه ويجر إليه الأمراض. يذكر الكاتب «ستيف تشاندلر» أن دراسات «مايكل تالبوت» أثبتت أن الأشخاص الذين لديهم مستوى عالٍ من الحقد والعداية، يزيد احتمال موتهم بسبب المشكلات القلبية سبع مرات عن أولئك الذين ينخفض لديهم الحقد أو ينعقد.

وذكر الدكتور «نورمان فينستنت بيل» أن أحد الأطباء أخبر عن رجل معين حمل الكراهية وقتاً طويلاً إلى درجة أنه مات بالفعل من الحقد والحسد والكره، وقد وضح الطبيب سبب موته قائلاً إن لون بشرته تغير وتلاشى بريق عينيه، وخملت أعضاؤه بشكل متزايد، مما جعله فريسة سهلة للمرض.

كما ذكر د. نورمان فينستنت بيل كلام الدكتور جوزيف كريمسيكي بأن الكره والحسد والغضب يؤديان مع مرور الوقت – إذا ظل الشخص مستمراً بهم فترة طويلة – إلى تغيرات تنكسية في القلب والكلى والكبد والأعضاء الحيوية الأخرى، إلى جانب ارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين، وأن الكره والخوف يسممان الجسد مثل أية مواد كيميائية.

كلام د. كريمسيكي يؤكد ما ذكره الأصمعي لما رأى أعرابياً قد بلغ عمره مئة وعشرين سنة، وقال له: ما أطول عمرك؟ فقال الأعرابي: «تركتُ الحسد فيقبت». فالحسد – كما قالوا – يفعل في الحاسد أكثر مما يفعله في المحسود، حيث يجلب إلى صاحبه الغم والأمراض الجسدية والنفسية. ومن ترك الحسد فقد أراح جسمه وروحه، والعامل لا يجلب لنفسه الأمراض.

## نصيحة من ابن الجوزي

أختم هذا المقال بكلام ونصيحة ثمينة من الإمام الكبير ابن الجوزي حول الحسد. يقول - رحمه الله - : «فإن أردت العيش فأبعد عن الحسود؛ لأنه يرى نعمتك، فربما أصابها بالعين. فإن اضطرت إلى مخالطته؛ فلا تقش إليه سرك، ولا تشاوره، ولا يغرنك تملقه لك، ولا ما يظهره من الدين، والتعبد، فإن الحسد يغلب الدين.

وقد عرفت أن قابيل أخرج الحسد إلى القتل، وأن إخوة يوسف باعوه بثمنٍ بخس. وكان أبو عامر الراهب من المتعبدین العقلاء، وعبد الله بن أبي من الرؤساء؛ أخرجهما حسد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى النفاق وترك الصواب.

ولا ينبغي أن تطلب لحاسدك عقوبةً أكثر مما هو فيه، فإنه في أمرٍ عظيم متصل، لا يرضيه إلا زوال نعمتك، وكلما امتدت امتد عذابه، فلا عيش له. وما طاب عيش أهل الجنة إلا حين نزع الحسد، والغل من صدورهم، ولو لا أنه نزع؛ نحاسدوا، وتغص عيشتهم».



## الخب يُعطي معنى لحياتك

السبب الثاني لجعل حياتنا ذات معنى – كما أكدت أبحاث جوناثان – هو الحب. يقول جوناثان: نحن كائنات ذات نزعة اجتماعية فائقة، ولا يمكننا أن نكون سعداء من دون وجود أصدقاء وأشخاص آخرين نتعلق بهم ونشعر معهم بالأمان. وأكد أنه لا يوجد رجل ولا امرأة ولا طفل يعيش كجزيرة. يقول جوناثان: إن الحب والعمل بالنسبة إلى البشر أشبه ما يكون بالماء وأشعة الشمس للنباتات، أي إن وجودهما أساس في حياتنا وإلا ستكون سعادتنا ناقصة.

ومن جميل ما قاله جوناثان: «يلعب الحب والعمل دوراً محورياً في سبيل سعادة الإنسان، إذا ما مورسا كما ينبغي، وذلك لأتهما يمنحنا الفرصة للتجرد من الأنا والتماهي مع الناس والمشاريع التي تتجاوز ذاتنا».

وكلام جوناثان يعرف صحته كل شخص يعمل في مكان يلائم نقاط قوته أو لديه أسرة وأصدقاء داعمون يُساهمون – بعد الله – في التخفيف من ضغوطات الحياة والصدمات التي لا بد أن تصيبه، بل تصيب كل مخلوق بشري يعيش في هذه الحياة.

## التفاعل الحيوي

يُخبرنا جوناثان أن «ميهالي تشيكسنتميهاي» – مكتشف الانسيابية بطريقة كبيرة<sup>[1]</sup> – أراد أن يعرف الدور الذي تلعبه الانسيابية في الحياة ككل، لاسيما في حياة المبدعين. فساعد طلابه في إجراء مقابلات مع مئات ممن حققوا نجاحات، من رسامين وشعراء وروائيين وفيزيائيين وعلماء أحياء وعلماء نفس وغيرهم. أي باختصار جميع الأشخاص الذين كانت حياتهم متمحورة حول شغف معين يكونون مستغربين فيه. والغرض من هذه المقابلات هو معرفة كيف يمكن أن تصبح حياة أحدهم هكذا، حيث يختار الانغماس في مجال ما ثم يصبح مبدعاً فيه بشكل خارق!؟

أظهرت هذه المقابلات أن كل مبدع قد سلك مساراً فريداً من نوعه، ولكن اتضح أن جميع هذه المسارات كانت تصب في الاتجاه نفسه. فقد وجدوا لدى كل واحد منهم في البداية اهتماماً صغيراً واستمتاعاً في مجال ما، يصحبها لحظات من الانسيابية، وهذا الاهتمام يتعمق بمرور السنوات، مما يُتيح فرصة لفترات أطول من الانسيابية، كما يكون هذا الاهتمام مرتبطاً بأشخاص وممارسات وقيم تتعمق لدى الشخص على مدى السنين.

أطلق «ميهالي» وطلابه على هذه العملية التي تحدث اسم «التفاعل الحيوي»، وتعرفها باختصار: الشعور باستمتاع خلال الاستغراق في شيء ما، وبمنح هذا الاستمتاع شعوراً بأهمية الذات. بمعنى أن الإنسان يشعر بحُب وسعادة فيما يفعله، سواء أكان هذا الشيء رسماً أم كتابة أم تمثيلاً أم أي هواية أخرى.

ضرب لنا جوناثان بعد ذكر دراسة «ميهالي» قصة طالبة اسمها «كاثارين» درست على يديه مادة علم النفس الإيجابي، وقد قالت له ذات مرة: إن لها اهتماماً بالخيل، فدعاها جوناثان في أحد المرات إلى مشاركة قصتها واهتمامها بالخيل مع زملائها في المادة.

قالت كاثارين: إنها منذ طفولتها، وهي تهتم بالخيل على وجه الخصوص، وطلبت من والدها – وهي في سن العاشرة – أن يسمح لها بأن تأخذ دروساً في ركوب الخيل. وعلى الرغم من أن غرضها من ركوب الخيل كان المتعة في البداية، فإنها أصبحت تشارك في المسابقات بعد ذلك. وكان سبب اختيارها للدراسة في جامعة فيرجينيا هو وجود فريق ركوب خيل متميز فيها.

قالت كاثارين: إنها بدأت بعد ذلك تقرأ عن الخيل حتى عرفت الكثير عن تاريخها وعرفت أشهرها في التاريخ، وصار معظم أصدقائها المقربين من محبي الخيل مثلها، وقد تعرفت إليهم في مهرجانات الخيل وسباقاتها التي تجري سنوياً.

يعقب جوناثان على قصة كاثارين فيقول: لاحظ كيف نما اهتمام كاثارين الضئيل للخيل ليتحول إلى ارتباطات متعمقة باستمرار، وشبكة متماسكة وقوية تربطها بنشاط وتقاليد معينة ومجتمع يشاركها اهتمامها. لقد أصبح ركوب الخيل بالنسبة إلى كاثارين مصدراً للانسيابية والبهجة والهوية الفاعلة والانتماء. ولاحظ أيضاً كيف كان هذا النمو طبيعياً وتكثف تدريجياً وبصورة طبيعية على مدى سنوات.

## تفاعلي الحيوي

اعتقد أن كل صاحب شغف معين سيؤكد لنا صحة دراسة «ميهالي» وطلابه، وقصة كاثارين خير مثال على ذلك. وقد ذكرتني قصتها بقصة استماعي بالقراءة منذ الصغر وحتى اليوم، فالقراءة هي تفاعلي الحيوي، إذ بدأت منذ نهاية المراحل الابتدائية باهتمام قليل بقراءة الكتب. كنت حينها وأنا أقرأ أشعر بلحظات استمتاع وانسيابية، ومع مرور الوقت نما شغفي بالقراءة أكثر، وزاد الوقت الذي أقضيه مع الكتب، ثم تطوّر الأمر أكثر، إذ بدأت أشتري الكتب وأزور المكتبات القريبة من قريتي في المرحلة المتوسطة والثانوية.

في المرحلة الجامعية زاد الوقت المخصص للقراءة، إذ تعلّقت بالقراءة الحرة أكثر من تعلقي بكتب الدراسة، وارتبطت بالأصدقاء المهتمين بالقراءة، وفي هذه المرحلة – كما تلاحظ – بدأت تتكون لدي شبكة علاقات مرتبطة بشغفي، أعني القراءة.

بعد تخرجي ودخولي سوق العمل، صرت مهووساً بشدة بشراء الكتب وقراءتها، وأصبحت زيارة المكتبات ومعارض الكتب أمراً لا أستغني عنه، فكنْتُ أزور المكتبات بشكل دوري من دون انقطاع. وصار أي وقت فراغ أحصل عليه يُخصص للقراءة، وأفعل ذلك وأنا في غاية الاستمتاع والشعور بالانسيابية.

دعني أضرب مثلاً واحداً فقط من بين مئات الأمثلة التي حدثت لي طوال هذه السنوات، لأوضح فيه الشعور بالسعادة والمتعة التي أحصل عليها من قراءة الكتب، ويزداد هذا الشعور إذا ظفرت بكتاب بحثت عنه فترة ولم أجده.

أذكر ذات مرة، في شهر فبراير من عام 2016م، أني حصلت على كتاب «حياتي الراقعي» للعريان، وقد كنتُ أبحث عنه منذ أكثر من سنة، وما إن وقع بين يدي – مع كتب كثيرة اقتنيتها من معرض مسقط للكتاب 2016م – إلا وسعدت به سعادة كبيرة، ووضعت جدولاً لقراءته، ثم شرعتُ بقراءته في اليوم الذي حددته، وكان يوم عمل، إذ بدأت بقراءة بعد عودتي من عملي نهاية العصر، ولم أتركه إلا لإنهاء الأعمال الضرورية لاسرني التي لا بد لي أن أنجزها، وقد أنجزتها وكان عقلي مشغولاً بالكتاب. في المساء شرعت في متابعة قراءة الكتاب ولم أشعر بمرور الوقت حتى رأيت عيني تستسلم للنوم.

في الصباح ذهبتُ إلى عملي وفي داخلي شوق لإكمال قراءة الكتاب، وقدّر الله في أثناء وجودي في العمل أن تسقط أمطار غزيرة، فما كان من إدارة الشركة – جزاهم الله خيراً – إلا أن طلبوا منا الرجوع إلى منازلنا قبل أن يشتدّ المطر ونضطر إلى الجلوس في الشركة حتى انتهائه، فرجعنا إلى منزلي متشوقاً لمتابعة قراءة الكتاب. وما إن وصلت إلى بيتي حتى انهيمت من جديد في قراءته، ولم أشعر بالوقت ولا بالمطر – الذي يخلق سعادة لدينا لقلّة هطوله في تلك السنوات – إلا بعد أن انتهيت من قراءته، وكانت صفحاته تتجاوز 350 صفحة. لقد كنت في سعادة غامرة وبهجة وأنا أقرأ وأستلذ بذلك، سعادة أكبر من سعادة هطول المطر والحصول على إجازة من العمل.

وغيرها من الأمثلة التي تؤكد أني كنتُ أجِد نفسي في القراءة وصحبة الكتب والحديث عنهما. كما كنت – وما زلت بفضل من الله – أجِد سعادة بالغة في أثناء وجودي في معارض الكتب والمكتبات، فأنتسى نفسي حين أدخل معرضاً، حيث تجدني أتجول بين دور النشر، أتصفح الكتب المعروضة في الأجنحة وأقتني ما يروقني، ولا أشعر

برغبة في الخروج حتى أشعر بالتعب الشديد والجوع، لاكتشف حينها أنني قضيت أكثر من ست ساعات متواصلة وأنا أتجول بين دور النشر من دون أن أشعر بذلك.

أكمل حديثي عن تفاعلي الحيوي. صرْتُ بعدها معروفاً لدى زملاء العمل والأقارب بالقراءة وأني قارئ نهم. ومع دخولي عالم التأليف توسعت علاقاتي بالقراء والكتّاب، حيث جذبت لي كتني الكثير منهم، من مختلف دول الخليج والدول العربية، حتى صاروا أغلب أصدقائي، وصرْتُ أتبادل الحديث معهم حول الكتب وهموم القراءة. بمعنى أن حياتي تمحورت كلها حول شغفي: الكتب والقراءة. وكما تلاحظ أيضاً بدأ الأمر معي متعة كما حدث مع كاترين، لكنه مع مرور الأيام تحوّل إلى محور حياة.

كل ذلك بدأ كما ذكر جوناثان باهتمام طفيف نما نمواً طبيعياً وتكتّف تدريجياً على مرّ سنوات، ثم تحوّل إلى ارتباطات متعمقة باستمرار، وشبكة متماسكة وقوية تربطني بنشاط وتقاليد معينة ومجتمع يشاركني اهتمامي وشغفي. وإلى اليوم، وبفضل من الله وحده، ما زلت أشعر بالسعادة حين أعزل نفسي وأكون بصحبة كتاب.

## الكتابة والتفاعل الحيوي

في السنوات الثماني الماضية، انضاف إليّ أمر آخر يُشعرنني بالمتعة والانسيابية على الرغم من مشقته وتطلّبه مجهوداً عقلياً كبيراً، وهذا الأمر له ارتباط وثيق بالقراءة والكتب بل ينبثق منهما، فلولاهما – بعد توفيق الله – لما حصل معي، أعني الكتابة والتأليف.

أصبحت أجد سعادة وأنا أكتب كتاباً، فعلى الرغم من إعادة الكتابة مرات ومرات، والتكثير الذي لا ينقطع طوال فترة تأليف الكتاب التي قد تمتد أكثر من ستة شهور، في عمل يومي لا يقل عن ثلاث ساعات، وعلى الرغم من مشقة القراءة والبحث، فإنني أشعر بسعادة غامرة وأنا أحاول أن أولف كتاباً، وأشعر بسعادة أكبر بعد أن أنجزه، وأكون قد استقذت أنا أولاً من بحثي وتأليفي، وأرجو أن يستفيد غيري منه كما استفدت.

كل ذلك يشعرنني بسعادة كبيرة وانسيابية لا مثيل لها في أثناء العمل وبعد الانتهاء منه، وأتفق تماماً مع ما قاله الروائي الإيطالي «أنطونيو تابوكي» عن الكتابة: «إذا كان الكاتب يجني ألواناً من المعاناة بسبب الكتابة، فإنه يجني منها أيضاً مسرات وملاذات عظيمة».

## المغزى من قصة جوناثان

لماذا سردت قصة جوناثان وبحثه عن معنى الحياة؟

لنتبيّن أكثر أن حياة نسعى إلى تحقيقها من دون وجود أهداف حياةً بانسة لا قيمة لها، نشعر فيها بالفوضى والعشوائية، مما يدفعنا إلى تضبيب أوقاتنا هنا وهناك. فلأننا لا نملك هدفاً نرغب في الوصول إليه، سنصاب حتماً بالضيق والملل، مما يدفعنا إلى البحث عن أمر ما نحاول فيه التخلص من ضيقنا، فنقلب هواتنا الذكية بحثاً عن أي شيء لنتابعه، كالتجول في مواقع التواصل الاجتماعي من دون هدف، أو محاولة لقاء بعض الزملاء والإخوة ليمضي هذا الوقت ويزول الملل.

لكن كل هذه الأمور تُبعد عنا الملل فترة صغيرة، لا يلبث بعدها أن يرجع الضجر والضيق من جديد، والسبب في ذلك أننا لا نملك هدفاً واضحاً نعمل عليه لننجزه ويُعطي حياتنا معنى، فالهدف مفقود.

في الفترة التي أعمل فيها على تأليف كتاب، أشعر بأنني لا أملك وقت فراغ إطلاقاً، حيث يكون عقلي مشغولاً بالتأليف، فما إن أحصل على وقت فراغ حتى أتجه مباشرة إلى العمل على الكتاب، فأكتب وأبحث وأقرأ، ولا أشعر كم يمر بي من الوقت! أحياناً أعمل ثلاث ساعات متواصلة من دون أن أشعر بذلك، وفي أيام الإجازات يدفعني الحماس إلى العمل على الكتاب من بعد صلاة الفجر، ولا أترك العمل فيه – في أكثر الأحيان – إلا وقت دخول صلاة الظهر، وفي بعض الأوقات أكمل العمل بعد الغداء، وإذا استدعى الأمر فإنني أواصل العمل بعد صلاة العصر إلى دخول الليل، ويقطع دخولي – في أثناء التأليف – مواقع التواصل الاجتماعي إلى أقل الحدود، كما يبقى عقلي مشغولاً بالكتاب طوال فترة التأليف ولا يتوقف إطلاقاً حتى أفرغ منه.

أفعل ذلك من دون أن أشعر بضيق أو ملل أو رغبة في الانتهاء من العمل، ولأنني أجد سعادة وتمعن في ذلك، فطوال فترة العمل على الكتاب لا يُصيبني الشعور بالملل ولا بعيشة الحياة، وكنت أتعجب حين يُخبرني أحد الزملاء بأنه يشعر بالضيق والفراغ والملل، وأن لديه أوقاتاً كثيرة لا يعرف كيف يقضيها، وفي بالي وددت لو قلت له: لو كان بإمكانك شراء وقت الفراغ الذي تملكه لاشتريته لأنني بحاجة إليه في تأليفي الكتاب.

لماذا أشعر بمعنى الحياة في أثناء التأليف؟ لأنني أملك هدفاً واضحاً أريد تحقيقه وإنجازه، وهذا الهدف هو الذي يُعطي حياتي معنى ويكسبني سعادة وتمعن وشعوراً بالانسيابية ويُبعد عني الضجر والملل.

وما إن انتهى من العمل بالكتاب ويكون جاهزاً لإرساله إلى دار النشر، وأقرر أن أخذ استراحة واستجماماً – واستراحتي تكون بالقراءة بعيداً عن الكتابة – حتى أشعر بعد فترة من الزمن بنوع من القلق والضيق والملل على الرغم من أنني أمارس أفضل هواياتي وهي القراءة، والغريب أن هذا الشعور لم يكن يتأنيبني من قبل لما كنتُ قارئاً فقط!

ولعل السبب في ذلك هو تغيّر منظور الانسيابية والتفاعل الحيوي لديّ ليشمل ضرورة وجود الكتابة مع القراءة، وربما السبب الآخر لهذا الضيق هو أنه خلال فترة الاستجمام القصيرة التي أقضيها في القراءة، لا يكون لي هدف واضح سوى الاستمتاع والاستجمام والترويح عن النفس، فبانعدام الهدف لديّ فترة أطول من ثلاثة أشهر يبدأ يعتريني شعور الضيق والملل، وكما مرّ وقت أكثر بدأ الضيق والملل يكبر ويحاصرني أكثر، ولا يُنجيني منه – بعد توفيق الله – إلا العمل على كتاب جديد.

وكان هذا الملل الذي يعتريني هو رسالة لي بأن فترة الاستجمام كانت كافية وزيادتها عن حدّها مضرّة بصحتي النفسية، إذ سيجعلني هذا الملل أبحث عن أمر أصرف فيه وقتي بعد أن أكون قد أتعبت نفسي من قراءة الكتب، وفي الغالب سيكون هذا الأمر هو دخول مواقع التواصل الاجتماعي بحجة معرفة جديد الكتب، ولا يخفى على كل من يتراد هذه المواقع، كيف أنها تجرنا من موضوع إلى آخر، فننتقل من تغريدة إلى فيديو إلى غيره، ولا نشعر بعد فترة إلا أننا قد جلسنا أوقاتاً طويلة فيها، وهذا الجلوس يضرنا ولا ينفعنا، فالغلبة فيها للنفاهة، والشيء النافع الجاد قليل جداً.

## أهم الدروس المستفادة

الخلاصة من سرد قصة جوناثان ودراساته وأبحاثه في ثلاثة أمور:

الأمر الأول: بما أننا نقضي الكثير من أوقاتنا في أعمالنا، التي جعلها الله مصدر رزق لأغلبنا، فعلياً أن نسعى لتكون من الصنف الثاني أو الثالث في وظائفنا، لنجد سعادة في أداء أعمالنا، ويكون ذلك – كما مرّ معنا – بمعرفة نقاط قوتنا وإيجاد المكان الملائم لها، فإن تعذرت الأمور ولم نستطع أن نجد عملاً يلائم قدراتنا، نغيّر حينها منظورنا لوظائفنا، بدأ نجد أن الحياة معنى وأنا نؤدي دوراً ونساهم من خلال أداء وظائفنا في خدمة المصلحة العامة.

الأمر الثاني: أن نجد تفاعلنا الحيوي. فمهما كنّا سعداء في وظائفنا لابد أن يأتي يوم ونتركها بالتقاعد، ومن لا يملك تفاعلاً حيوياً سيُصاب بالحمول والياس وستعثره أمراض الشيخوخة قبل أوانها كما يحدث لكثيرين. وصدق جوناثان لما قال إن أغلب الناس يجدون سعادتهم في وظائفهم، وما إن يتركوا وظائفهم أو المكان الذي ألفوه وأحبّوه، أو يُجبروا على ذلك، حتى تنتعص عليهم حياتهم وتهجرهم الهبة والاستمتاع، ويُصابوا بالياس.

ولا يُجنينا من هذه الأمراض سوى أن يكون لنا تفاعل حيوي يشغل أوقاتنا ونشعر معه بسعادة وبتعة وبهجة، ويمنحنا حياة سعيدة مملأها التفاؤل والحماس، فمهما حدثت من أمور لم تكن نتوقعها أن تحدث لنا في أعمالنا ولم نحسب لها حساباً، سيكون لدينا تفاعلنا الحيوي الذي يشغلنا عن التفكير في هموم العمل.

الأمر الثالث: أن نسعى في أن ننمي الحب لدى أسرتنا القريبة، فما أتعب الإنسان الذي لا يجد من لا يُحبّه. ما أجمل أن تكون لديك زوجة تُشعرك بأنك عالمها بالكامل! وأنك شخصٌ ناجح في حياتك، وفي الأزمات والصدمات، التي لا بد أن تُصيبنا جميعاً، تجدها معك تُساندك وتقوي من عزيمتك. وما أجمل أن يكون لديك زوجٌ يُشعرك بأنك عالمه بالكامل، ويكون سنداً وعوناً لك في حياتك من الضغوطات والصدمات التي لا بد أن تُصيبك.

الزوجان غالباً يكونان أقرب إلى بعضهما من أي شخص آخر، فإذا لم يُنموا الحب بينهما بمرور الأيام، فسعادتهما ستكون ناقصة بشكل كبير، ونجاحهما في عملهما أو في تفاعلهم الحيوي سيتأثر بشكل كبير، وربما لا يُعطيها السعادة التي توقعها إن لم يكونا سعداء معاً. يقول جونان هايت: «الزيجة الصالحة هي أحد عوامل الحياة الأكثر ارتباطاً بالسعادة».

#### أصدقاء حقيقيين

هناك أمر مهم جداً في الحصول على السعادة وفي إضفاء معنى لحياتنا، وهو أن نمتلك أصدقاء حقيقيين، هذا أمر في غاية الأهمية. يقول «إيرني زيلنسكي»: إن الصداقة احتلت المرتبة الأولى في معظم قوائم الناس لما سألهم الباحثون: «ماذا يُعطي معنى لحياتك؟». وذكر زيلنسكي بأن أفضل هدية نستطيع أن نمنحها لأنفسنا هي وجود أصدقاء لدينا، وعلل قائلاً: إن الأصدقاء الرائعين يغذون عقولنا ويُلهمون مخيلتنا وينورون أرواحنا. فكي ننعيم بالسعادة – على حد تعبير زيلنسكي – نحتاج إلى الأصدقاء في حياتنا.

يقول زيلنسكي إن الأصدقاء الحقيقيين سيدعموننا في كفاحنا في سبيل تحقيق أهدافنا وطموحاتنا أكثر بكثير ممن نلتقيهم من زملاء العمل أو من معارف آخرين. ويقول لك زيلنسكي أيضاً إن كنت ناجحاً في حياتك لكذلك لا تملك أصدقاء حقيقيين تقضي أوقاتاً رائعة معهم، فأنت لم تحقّق أي نجاح.

الجميل في الأمر – كما يقول زيلنسكي – أننا نحن من نختار أصدقاءنا وننتقيهم، على عكس الأقارب الذين نضطر إلى تحملهم في اللقاءات العائلية أو الزملاء الذين نضطر إلى مشاركتهم مكان العمل، وكذلك الأصدقاء نستطيع أن نتركهم بسهولة أكثر من الأقارب وزملاء العمل متى ما رأينا أنهم لا يلائموننا.

فلنبحث عن الأصدقاء الحقيقيين الذين يدعموننا ويشجعوننا، ويرون نجاحنا وكأنهم هم من نجحوا، وذلك لنسعد في حياتنا ونشعر بمعنى الحياة. فما أتعب من ليس لديه صديق يُفني له بمكنونات نفسه ويشاركه نجاحاته وإنجازاته!

## القرأة وتبدل أحوالها 1

شغفتُ باقتناء الكتب منذ أيام المرحلة المتوسطة، أي ربما في عام 1995م وما تلاه، وكنتُ أشتري الكتب من المكتبات القريبة من قريتي «الغوابي» الموجودة بولاية شناس بما يناسب مصروفي المدرسي الضئيل، وكانت أقرب مكتبة أستطيع الوصول إليها وأقتني منها الكتب هي مكتبة دار الآداب، فهي المكتبة القُرطاسية الوحيدة والقريبة - تبعد عن منزلنا أقل من 2 كم - التي كانت تجلب الكتب في تلك الفترة.

في المرحلة الجامعية صار لديّ علاوة الجامعة التي خصصت مبلغاً منها لشراء الكتب، وصرتُ أقتني أكثر الكتب من فرع مكتبة دبي للتوزيع، الموجود في إمارة الفجيرة بدولة الإمارات العربية المتحدة الشقيقة. كانت هي أفضل مكتبة وأقربها، تبعد عن منزلنا نحو 40 كم.

لم تكن توجد مكتبات كثيرة في منطقتي، فلم أسمع في تلك الفترة بوجود مكتبة توفر كتباً في المناطق القريبة من قريتي، سوى «مكتبة وتسجيلات شمس العلوم» الموجودة في ولاية صحار، التي تبعد عن قريتي قرابة 60 كم، وكنت أزورها على فترات وأقتني منها كتباً، لكن أغلب كتبها هي كتب شرعية إسلامية، لذا كانت أكثر كتبتي هي تلك التي اشتريها من مكتبة دبي للتوزيع، حيث التنوع الهائل في الكتب، كما كانوا يجلبون جديد الكتب ولديهم كتب كثيرة جداً.

في نهاية سنوات المرحلة الجامعية أصبحتُ ضيقاً دائماً لمعرضي الشارقة ومسقط للكتاب، ومع دخولي سوق العمل في عام 2007م صار لدي راتب شهري أستطيع به شراء كتب أكثر، فبدأت أبحث عن مكتبات الكتب، فلم أجد أفضل من مكتبة دبي للتوزيع، فأصبحتُ زبوناً دائماً لهم، حتى أصبحوا يعرفونني، ومن كثرة شرائي للكتب، سألني البائع ذات مرة: هل تملك مكتبة لبيع الكتب؟

لكن لاحظتُ بعد عدة سنوات أن الجديد أصبح لا يصل بسرعة إلى مكتبة دبي للتوزيع، كما أن أسعار الكتب ارتفعت نوعاً ما، حيث تجد الكتاب في معرض الكتاب يُباع بسعر أقل وبفارق كبير في بعض الأحيان.

ظلمتُ أنتظر وصول جديد الكتب، التي أعرفُ بها عن طريق الشبكة العنكبوتية وغيرها، أحياناً عدة شهور، وقد يتأخر وصولها أكثر من نصف سنة حتى تصل إلى أفرع مكتبة دبي للتوزيع، وبذلك صار عدد الكتب التي أُرغب في شرائها من معرض الشارقة أو معرض مسقط للكتاب كبيراً، فصارت لدي قائمة طويلة لشرائها دفعة واحدة من المعرض، وهذا كان يسبب لي ضغطاً على ميزانيتي وضغطاً على أصدقائي أيضاً لقرائنها، فافتتحتُ عشرات الكتب دفعةً واحدة يجعلنا محتررين بأي كتاب نبدأ، وبخاصة أننا متشوقون لقرائنها جميعاً.

## حركة الكتب

لم أكن في تلك الفترة أراقب حركة الكتب وهل هي في تراجع أم لا؟ فلم يُوجد لديّ اهتمام بعد. كان جل همي منصباً في تلك الفترة على قراءة الكتب ولا شيء غيرها يدخل دائرة اهتمامي. أيضاً لم يكن في تلك الفترة وسائل تعرف بها جمهور القراء واهتماماتهم، فلم تغزنا الهواتف الذكية بعد ولا توجد وسائل تواصل اجتماعي، أو بالأصح ما زالت في بدايتها ولم تكن هي المسيطرة على أغلب أوقات الناس كما هي الحال اليوم.

فلم يتشكّل لديّ في تلك الفترة أي انطباع بأن المكتبات تتراجع، فقط كنت أتعب لماذا يتأخر الجديد كثيراً عن مكتبتي المفضلة في تلك الفترة! وكنت أعرض هذا النقص بانتظار معرضي الشارقة ومسقط للكتاب، وأحياناً معرض أبو ظبي للكتاب. كما كنت أزور بعض المكتبات الجديدة التي تفتح هنا وهناك، كمكتبة «كينوكينا» في دبي مول و«مكتبة المكتبة» في إمارة العين بدولة الإمارات العربية المتحدة الشقيقة وغيرها.

## ظهور مكتبات تغير المعادلة

في عام 2017م تغير الوضع كثيراً، ظهرت لدينا مكتبة جديدة استطاعت أن تكون لها بصمة قوية في عالم الكتب، أعني مكتبة «روان» في مسقط. مكتبة مميزة تنافس المكتبات الأخرى، إذ جلبت أغلب الكتب مع أسعار منافسة جداً، فأصبحتُ أقتني أغلب الكتب منها، وصارت حركة كبيرة على شراء الكتب من القراء، وأصبح كثير من أوعاها ينفذ بسرعة من المكتبة وتطلب من جديد.

ما تميزت به مكتبة «روان» هو سرعة إحضار جديد الكتب، ففي أقل من أسبوعين نجد الكتاب الذي صدر حديثاً قد توفر في المكتبة، وهذه ميزة ربما لا نجدها في أغلب مكتبات دول الخليج. ثم تلت مكتبة روازن مكتبات أخرى، كمكتبة «ذواعة» ومكتبة «لوتس» وغيرها. وأصبحت حركة الكتب ممتازة أو جيدة معنا. كما ظهرت مكتبات إلكترونية كثيرة، وصار هناك تنافس رائع وصحي بين المكتبات والعروض التي يقدمونها.

والجميل أيضاً أن هناك راعاً ثقافياً جميل بدأ يحدث، فلا أحصي من تواصل معي من القراء من بلدي عُمان وأخبرني بأنه قرأ كتابي الأول أو الثاني وأعجب به، وتكون لدي - بسبب ذلك - أصدقاء جدد وأصبحنا نتناقش في جديد الكتب وأخبارها، وشعرت بأن القراءة في أفضل حالاتها، وأن هناك قراءً كثيرين.

بوجود هذه المكتبات الجميلة والقوية، صارت قائمة الكتب التي أبحث عنها في معارض الكتب قصيرة وليست طويلة كالسابق، وكنت - إذا رغبت في اقتناء كتاب معين غير متوفر في مكتبة روازن - أتواصل مباشرة مع الأستاذ الفاضل الصديق المترجم أ. أحمد المعيني صاحب المكتبة وأطلب منه مشكوراً أن يوفره لي، فيجلبه لي في غضون أسابيع قليلة. وأصبحت زيارتي إلى معرض الكتاب فقط للبحث عن الدور البعيدة التي لا تتوفر كتبها في مكتباتنا.

## فيروس كورونا يقلب المعادلة

ظل الوضع هكذا رانعاً حتى ظهر فيروس كورونا الذي قلب العالم رأساً على عقب. تغيرت أشياء كثيرة جداً، وتأثر الاقتصاد وتوفي مئات الألوف من الأشخاص بسبب هذا الفيروس. باختصار لم تعد الحياة بسبب فيروس كورونا مثلما كانت سابقاً.

تأثر أصحاب المشاريع كثيراً، ونسبة لا يُستهان بها اضطرت إلى إغلاق مشاريعها لأنها خسرت خسرة كبيرة، والمكتبات ليست استثناء من ذلك، فبدأ - وإن لم تكن نلاحظ - بعد ظهور فيروس كورونا بأشهر قليلة اندحار في شراء الكتب قليلاً، فكانت المكتبات تجني في تلك الفترة ربحاً، ولكنه أقل عن السابق. ولعل المكتبات توقعت أنها سحابة صيف ستنتفع عما قريب، وقالوا لأنفسهم ما علينا هذه الأزمة سوى الصبر قليلاً حتى تنكشف الغمة، ولكن سحابة الصيف لم تنتفع بل استمرت وزادت، وشهراً بعد شهر يزداد الوضع تآزماً. ورافق قلة شراء الكتب أن شركات الشحن رفعت أسعار الشحن خلال فترة فيروس كورونا وما بعده، مما صعّب على المكتبات أن تأتي بجديد الكتب لاسيما مع تناقص القراء.

تراجع فيروس كورونا وبدأت الحياة تعود تدريجياً كما كانت قبل ظهوره، وإن كانت الآثار الاقتصادية التي خلفها هذا الفيروس لم تتراجع بسهولة، بل ما زال لها تأثير إلى يومنا هذا. وللأسف لم يتحسن الوضع مع المكتبات ولم تعد الأوضاع كما كانت قبل فيروس كورونا! فلم تتراجع أسعار الشحن والقراء لم يعودوا كالسابق، وكان أكثر من نصفهم قد انشقت الأرض وابتلعتهم، وكل متابع لحركة الكتب وزيارة المكتبات لاحظ تراجعاً واضحاً في القراء وضعف حركة الكتب.

وقد لاحظتُ هذا التراجع من خلال بعض الأمور. أولاً: إن كثيراً من الزملاء الذين تعرّفت إليهم من خلال قراعتهم لكتبي، والذين كانوا يتواصلون معي ويخبروني بما اقتوه وقرؤوه قد اختفوا تماماً! فلم يعد أحد يتواصل معي ويخبرني، سوى شخص أو شخصين فقط. تعجبت وسألت كثيراً منهم: أين أنتم؟ ما جديد قراءاتكم؟ فوجدت أعداداً غريبة.

أحدهم قال: إني صرت مضغوطاً في عملي وكلفوني بمهام جديدة، والأخر قال لي: بعد أن تزوجت لم يعد لدي وقت للقراءة، والثالث قال: لا أدري ماذا حصل لي، أشعر بأن الشغف نحو القراءة قد مات تماماً، فلم أعد أشعر برغبة، وما زالت لدي كتب كثيرة بأغلفتها البلاستيكية لم تفتح بعد، ولذلك توقفت عن اقتناء كتب جديدة منذ سنة وأكثر! وغيرها كثير من الأعداد التي جعلتني مُحترراً ومتعجباً! وأقول: كيف كان لذلك الشغف الكبير نحو القراءة أن يختفي هكذا؟! ما الأسباب وراء هذا التغيير؟!!

كذلك علمتُ بترجع الكتب من خلال أصحاب المكتبات، وأغلبهم تربطني بهم علاقة قوية، فكنْتُ دائم السؤال بين فترة وأخرى عن حركة الكتب وإقبال القراء، ولا أسمع منهم سوى أنها في تراجع يوماً بعد يوم، ويقولون لي إن الكتب الأكثر بيعاً هي التي ما زال عليها طلب، أما بقية الكتب ففي ركود، ونحن صامدون نقاؤلاً أن يتحسن الوضع إلى الأفضل وتعود الحركة كما كانت، أما الربح فصار قليلاً وبالتأكيد ليس كالسابق.

كذلك علمتُ بترجع الكتب من خلال أصدقائي أصحاب دور النشر وأصدقائي الكُتّاب، فبسبب تغيير الأوضاع لم تعد دور النشر تطبع أي كتاب يصلها كما كانت سابقاً، فقط هناك نوعيات معينة من الكتب هي التي عليها إقبال، وهذه النوعية من الكتب هي التي تفرض على دور النشر طباعتها وإلا أغلقت أبوابها.

كما أخبرني كثير من زملائي الكُتّاب، أن دور النشر التي يتعاملون معها لم تعد توافق على طباعة جديد كتبهم على تكلفة الدار، وإذا رغوا في أن يطبعوا جديد كتبهم في الدار فليعلموا تكاليف الطباعة. فلم تعد الأمور كما كانت سابقاً حيث كانت الدار هي من تتواصل معهم وتطلب منهم أن يستمروا في نشر جديد كتبهم فيها.

كما أصبحت دور النشر لا تعيد طباعة كتاب سابق أصدرته إلا بشروط كثيرة، وحين أسألهم عن بعض الكتب النافذة وأطلب منهم إعادة طباعتها، يقولون لي: لم يعد أحد يطبعها! فلماذا تطبع ألف نسخة؟ أين تضعها وكيف تقوم بتخزينها ومن سيشتريها؟ وقد ذكرت ذلك في مقال «هل تنتازل عن كتبك؟» في كتابي «تباريح القراء».

أزمة قراءة الكتب وشرائها

كل هذه الأسباب أكّدت لي أن القراءة تُعاني أزمة وأنها في تراجع. نعم، القراء دائماً هم قلة، ولكن لم يحدث - في حياتنا - أن تراجع الوضع هكذا بصورة مخيفة واختفى كثير من القراء وهجروا اقتناء الكتب!

وما هي إلا فترة بسيطة حتى بدأت أسمع بإعلانات تصفية للمكتبة الفلانية والمكتبة العلانية لأنها قررت أن تُغلق أبوابها، ولا يكاد يمر شهر أو شهران إلا ونسمع بخبر إغلاق مكتبة في دولة عربية أو خليجية، وفي أحسن الأحوال تقوم المكتبة بإغلاق بعض فروعها إذا كان لديها عدة أفرع.

ومن يحاول من أصحاب المكتبات أن يقاوم ويظل متشبهاً بمشروع المكتبة لعل الأزمة تنفج قريباً، فإنه يقدم خصومات كبيرة تجعل الربح هامشياً جداً. وما زالت أغلب المكتبات تُعاني، ومك صاحب مكتبة أخبرني أنه يفكر رسمياً في إغلاق مكتبته وإراحة باله من التفكير شهرياً بكيفية دفع إيجار المحل ورواتب الموظفين وتسيدي بعض المبالغ لبعض دور النشر، والتخلص من القلق الذي يعتريه بسبب التفكير في هذه الأمور.

باختصار، لقد عدنا من جديد إلى المربع الأول إلى ما قبل 2017م، حيث صرت أنتظر من جديد معارض الكتب لأقتني جديدها، وأصبحت لدي قائمة طويلة لجديد الكتب التي أرغب في اقتنائها.

وللتوضيح، فإن المكتبات معزورة تماماً واللوم لا يقع عليها، فإذا لم يعد أحد يشتري الكتب الورقية وإذا لم يعد أحد يهتم بجديد الكتب سوى أفراد معدودين على الأصابع، فلماذا يرهق أصحاب المكتبات كاهلهم بجلب جديد الكتب وينكبون تكاليف شحنها وليس هناك قراء يشترونها؟! ومن يفعل ويُخاطر من أصحاب المكتبات بجلب جديد الكتب، فإنه يتكبّد خسائر ولا بد.

وكم من صاحب مكتبة أخبرني أنه تدين مبلغاً من المال ليجلب شحنة جديدة من الكتب إلى مكتبته، لعل هذه الكتب تتعش القراء وتصنع حركة للمكتبة، ولكن - للأسف - لم يحدث تغيير وظلت أغلب الكتب في أرففها لم تُشتر! بل إن أحدهم أخبرني بأنه يفعل هذا قد خسِر وصارت عليه ديون! مما اضطره في آخر الأمر إلى بيع مكتبته وإغلاقها للأسف!

أسباب تراجع القراء

ظلمتُ أفكر في أسباب تراجع شراء الكتاب الورقي وتراجع القراء، وأسأل أصدقائي الكُتّاب والقراء وأتأمل معهم في ذلك، فوجدت أنها قد ترجع إلى عدّة أسباب، أخصها في النقاط التالية:

السبب الأول يعود إلى الوضع الاقتصادي وارتفاع المعيشة والغلاء الذي اجتاح العالم كله، مما جعل الكثيرين يتوقفون عن شراء الكتب، لقلة ذات اليد وليستطيعوا أن يصرفوا على أنفسهم وعلى من يُعيلونهم.

وكم المنى أن أخبرني أديب وكاتب قدير، وعاشق للكتب لديه مكتبة ضخمة تحوي كتباً نادرة وعميقة، أنه لم يستطع أن يُضيف كتاباً جديدة إلى مكتبته منذ أكثر من سنتين، بسبب ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة، مما جعله يُضحي بشراء الكتب ليستطيع أن يصرف على أولاده.

السبب الثاني: الهواتف الذكية التي صارت في كل يد، وما حوته من تطبيقات وبرامج صرفت الناس عن القراءة، إذ تعودوا متابعة الفيديوهات والبرامج، فأصبح كثير منهم يستصعب قراءة كتاب ويجد أن متابعة فيديو بالنسبة إليه أسهل وأمتع. فلو أراد أن يعرف موضوعاً ما، فإنه من السهولة بمكان أن يفتح اليوتيوب ويكتب عن الموضوع فتظهر له عشرات الفيديوهات تخبره عنه، ويختار ما يتابعه وهو مُستلّق على أريكته، بينما القراءة على العكس تماماً، إذ تحتاج إلى تركيز وإعمال عقل فيما نقرأه، وكل ذلك - وإن كان ذا فائدة أكبر بكثير - فإنه يتقل على كثيرين.

السبب الثالث: الكتاب الإلكتروني الذي زاحم الكتاب الورقي، وتهيأت له الظروف الملائمة ليتفوق عليه، بدءاً من الهواتف الذكية التي سهلت استخدامه وجعلته متوفراً في كل وقت، ولا يحتاج إلى أن يشق عليك بحمله كالكتاب الورقي، وصولاً إلى توفره المجاني - وإن كان أكثرها متوفراً بطرق غير قانونية - الذي يساعد في توفقه على الكتاب الورقي في ظل غلاء المعيشة والظروف الاقتصادية الصعبة التي يعانيها الكثيرون.

ولا أنسى أيضاً بروز تطبيقات للهواتف والأجهزة الذكية، تحوي آلاف الكتب بطريقة قانونية، كتطبيق «أبجد» وتطبيق «استوري تل» وغيرها. فباشتركت سنوي بسيط يستطيع واحدنا أن يجد مئات الكتب في التطبيق وقراءتها في أي وقت فراغ لديه، بخلاف الكتاب الورقي الذي لا نستطيع بمبلغ الإشتراك نفسه أن نشتر منه إلا عدة كتب، وأيضاً صعوبة حمل الكتب الورقية معنا في أي مكان نذهب إليه، كما وضحت.

السبب الرابع: الإعلام بشقيه المرئي والمسموع ليس لديه دور كبير في التشجيع على القراءة، فالبرامج التي تتحدث عن القراءة وتشجع عليها لا تكاد تذكر، بل إن البرامج الثقافية ضئيلة جداً قياساً على البرامج الأخرى. والإعلام هو أكبر مؤثر في تحفيز الناس نحو قضية ما، وقد فصلت في هذا الموضوع في كتابي «تأريخ القراءة».

السبب الخامس: هذا السبب مرتبط بالسبب الثاني والثالث، وأعني وسائل التواصل الاجتماعي التي تُعدُّ من الإعلام الحديث، والتي سهّلت الأجهزة الذكية أن تكون هذه الوسائل مفتوحة الأبواب طوال الوقت لدى الجميع. وللأسف! فإن مواقع التواصل الاجتماعي ليس لها دور كبير في التحفيز على القراءة! فقط جولة بسيطة في تطبيق «الفيستوك» أو «X» (تويتر سابقاً) أو «الإنستغرام» أو «سناب شات» وغيرها، يجعلك ترى اهتمامات المشاركين والمتابعين وما يقومون بتصويره والحديث عنه.

ثم انظر إلى أغلب من لديهم متابعين – وليسوا كلهم – يتجاوزون مئات الألوف، وقد يتجاوز متابعو بعضهم المليون متابع، ستجد أن سبب شهرتهم ليست لأنهم أصحاب دكتوراه في مجالات صعبة وعميقة، وليس لأنهم مخترعون أو أصحاب إنجازات، وليس لأنهم مفكرون أو كتاب لهم ثقل ووزن. ليسوا من هذا كله، بل أشياء أخرى لا علاقة لها بالثقافة، وأكثر ما توصف هذه الأشياء بالسطحية والسذاجة!

ما اهتمامات جيل المستقبل؟

لو سأل أحدنا صبيّاً في العاشرة من عمره: ماذا تطمح أن تكون حين تكبر في المستقبل؟ فغالباً سيُجيبه بأنه يتمنى أن يكون لاعباً شهيراً كميسي وغيره، أو أنه يتمنى أن يُصبح مشهوراً مثل فلان الشهير الذي يسافر من دولة إلى دولة، ويعمل إعلانات ويكسب أموالاً كثيرة والجميع يعرفه!

ولو قلت له: ألا تفضل أن تكون مخترعاً أو مفكراً شهيراً؟ ربما أجابك بالنفي! لماذا؟! لأنه يرى أن الشهرة والنجاح في وسائل التواصل الاجتماعي للعبة الكرة ومشاهير التواصل الاجتماعي، فترسخ في ذهنه أن هذه هي المعايير التي يُعَدُّ به الشخص ناجحاً.

ولو سألته: أحب القراءة، وهل تعتقد أن القراءة مفيدة، وهل ترغب في أن تكون قارئاً؟ لربما سمعت جواباً غير مشجع! لماذا؟! لأنه لم يرَ أحداً مهتماً بذلك، ولم يرَ ناجحاً يذكر سبب نجاحه القراءة والكتب!

وتعذر في ذلك، فهو يرى أن وسائل التواصل، والإعلام أيضاً، لا تُسلط الضوء إلا على مشاهير الكرة والممثلين وأصحاب المتابعين بمئات الألوف وغيرهم، فتطبع لديه بأن هؤلاء هم الذين ينبغي أن يكونوا قدوات وعليه أن يسعى إلى تقليدهم وأن يكون مثلمهم في المستقبل! ولو عكست وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام المعادلة لتغيّر الوضع. فهذه هي إفرازات الإعلام ولا بد أن تكون هكذا النتيجة.

وبما أن الأمر هكذا، فلا عجب – إذن – ألا يكون للمواضيع المتعلقة بالقراءة والكتب والثقافة في وسائل التواصل الاجتماعي اهتمام إلا من شريحة قليلة جداً. ومما زاد الأمر صعوبة أن أصبحت – للأسف – المنشورات المكتوبة لا تُقرأ، لاسيما من الجيل الجديد الذين هم الشريحة الأكبر الموجودة في مواقع التواصل الاجتماعي، إذ تعودوا على رؤية مقاطع الفيديو، فأصبح المنشور لا يحصد متابعة وتفاعلاً إلا إذا كان عبارة عن تسجيل مرئي. أما المنشور المكتوب فالالتفات إليه أقل من القليل، وهذا كله – للأسف – لا يخدم موضوع القراءة والكتب، وصدق د. عبد الله الغدامي لما قال لقد تحولنا من جديد من الثقافة المكتوبة إلى الثقافة الشفهية بسبب تقدّم التكنولوجيا.

ولا عجب أيضاً أنّ متابعي حسابات الكتب ودور النشر والقراء والكتّاب يعلّون ولا يزدون. يُخبرني صديق محترم صاحب دار نشر محترمة، يقول: في السابق كنا نضع منشورات لا تتجاوز 250 كلمة وهي عبارة عن ملخص لكل كتاب أصدرناه، وكنا نجد تفاعلاً كثيراً وسوياً عن أماكن توفر الكتاب. أما الآن فلم يعد يقرأ أحد هذا الملخص البسيط إلا أفراداً محددين جداً، وصرنا لا نجد تفاعلاً على المنشور، مما دفعنا إلى الحديث عن الكتب بواسطة تسجيل مقطع مرئي<sup>(8)</sup>.

المناهج الدراسية والقراءة

السبب السادس وهو سبب مهم جداً ومتعلق بالمناهج الدراسية. فلا يخفى على كل مهتم أن للمدرسة بمناهجها دوراً كبيراً في التأثير في الأجيال وصناعة عقول عظيمة، فهي المكان الثاني لزرع العادات بعد الأسرة، لكن – للأسف – لا نجد في مناهج أغلب الدول العربية تشجيع النشء على القراءة، وأنها عادة عظيمة لصنع العباقرة والمخترعين والقادة والعظماء، وأن كل من يريد أن يكون ناجحاً عليه أن يجعل القراءة عادة ملازمة له.

هذا في المجمل أهم الأسباب التي وجدت لها تأثيراً مباشراً في تراجع القراءة، وما زلت أبحث وأسأل حتى وقع بين يدي كتاب أضاف إلي الكثير في القراءة وفي هذا الموضوع خاصة. وهو حديثي في المقال القادم، وهذا المقال كان تمهيداً فقط للحديث عنه.

## القرءة وتبدل أحوالها 2

في أثناء تجولي في معرض مسقط الدولي للكتاب في نهاية شهر فبراير 2024م وصلت إلى ركن جناح دار التنوير، ف وقعت عينا في عنوان كتاب «تركيزنا المسلوب.. لماذا صرنا نعاني مشكلة قلة الانتباه» للكاتب الأمريكي «يوهان هاري».

الكاتب ليس بجديد عليّ، فقد قرأت له سابقاً كتابه المترجم أيضاً من دار التنوير «إخفاق التواصل»، وانبهرت بأسلوبه في التأليف وعمق بحثه، مما دفعني مباشرة من دون تفكير إلى اقتناء كتابه «تركيزنا المسلوب» وشرعت في قراءته فور وصولي إلى البيت.

وجدت نفسي أقرأ كتاباً مميّزاً جداً، إذ عمل عليه مؤلفه مدة ثلاث سنوات ونصف ليخرجه لنا بهذه الصيغة الإبداعية. ويكفي الجهد الكبير الذي بذله المؤلف وعناء السفر الذي تكبّده للقاء أكثر من 250 خبيراً متوزعين في أنحاء مختلفة من العالم. كما ناقش في كتابه أكثر من 250 دراسة علمية، يقع على أسباب مشكلة قلة التركيز، ولماذا أصبحنا مشغولين بالانتباه؟ وما أهم الأمور التي أوصلتنا إلى هذه المرحلة؟ وهل من طريقة لإعادة تركيزنا؟ يقول يوهان: «ارتحلنا في أنحاء العالم كله كي أجري أبحاثاً من أجل هذا الكتاب».

يبدأ يوهان كتابه بالحديث عن ابنه الذي قال سأطلق عليه اسم «آدم» كي يُخفي هويته، وكيف أن آدم كان يعاني مشكلة عدم التركيز، إذ ترك المدرسة وهو في الخامسة عشر من عمره، وصار جالساً في البيت ينتقل من شاشة إلى شاشة، فيقضي وقتاً على هاتفه المحمول، يتجول من الواثس إلى السناب شات إلى الفيسبوك، ثم ينتقل بعدها إلى الأيبياد لمشاهدة الفيديوهات. كان آدم لا يستطيع أن يجري حواراً مدة خمس دقائق من دون العودة إلى هاتفه وتصفح هذه المواقع. كما كان لديه مشكلة كبيرة وهي أنه يقفز في الحديث من موضوع إلى موضوع وكأنه في سناب شات ينتقل بين الحسابات!

هذا ما دفع يوهان إلى دراسة هذا الأمر والبحث فيه، ليتبين له بعد ذلك أن مشكلة قلة التركيز ليست حصراً في الجيل الجديد، بل إن الجيل السابق كان يعانيها. يقول يوهان: إن قدرتنا على التركيز ونحن في بدايات القرن الواحد والعشرين تشهد تدهوراً، بل تهاوياً شديداً. ولاحظ يوهان ذلك على نفسه أيضاً إذ يقول: إنه بدأ يعاني قلة التركيز لما دخل في عقده الرابع، وهذه المشكلة ليست خاصة به وحده بل هي مشتركة مع أبناء جيله، حيث صاروا يشتكون من فقدان التركيز.

ولتعلم خطورة الأمر وأنا فعلاً نعاني مشكلة كبيرة في التركيز، أسوق لك هاتين الدراستين اللتين ذكرهما يوهان في كتابه. يقول يوهان: أُجريت دراسة صغيرة لمعرفة ما يوليه الطالب الجامعي الأمريكي من انتباه إلى أي شيء، وأوضحت الدراسة أن الطالب - في المتوسط - ينتقل من أمر إلى أمر كل 55 ثانية، وكان متوسط الزمن الذي ركز فيه الطالب على أي أمر بعينه 19 ثانية فقط!

يقول يوهان: ليس الطلاب فقط هم من يعانون هذه المشكلة، بل البالغين الذين يعملون أيضاً، حيث قامت غلوريا مارك، أستاذة المعلوماتية في جامعة كاليفورنيا، بدراسة اهتمت فيها بمراقبة الزمن الذي يمضيه الشخص البالغ في مكتبه، مركزاً على مهمة واحدة، وكان الزمن فقط 3 دقائق!

### الهواتف الذكية وصور السيلفي

ولاشك في أن أكبر سبب لمشكلة عدم التركيز هو الهواتف الذكية بتطبيقاتها ومواقع التواصل الاجتماعي. يقول يوهان: إن هواتفنا الذكية شغلتنا عن العيش في العالم الحقيقي، حيث جعلتنا نعيش في العالم الافتراضي أكثر من أن نعيش في عالمنا الواقعي، وكان تأثيرها فينا كبيراً، منها أن جعلت أغلبنا يُصاب بهوس التقاط صور سيلفي لكل ما نفعله، لننشر صورنا بعد ذلك في حساباتنا في مواقع التواصل الاجتماعي.

يذكر يوهان بعض الأمثلة التي كان شاهداً عليها بنفسه، ليوضح كيف وصلت بنا الحال مع تصوير السيلفي، يقول: إنه مرة كان ذاهباً لرؤية لوحة الموناليزا الشهيرة في باريس، ففاجأه بأن اللوحة قد صارت مخنقة خلف جمهرة متراحمة من الناس الآتين من كل بقاع الأرض، يزاحم كل منهم الآخرين كي يصل إلى المقدمة، ثم يستدير على الفور مولياً اللوحة ظهره، ليلتقط صورة سيلفي قبل أن يعود من حيث أتى.

يقول يوهان: ظللت أنظر إلى هذه الجموع أكثر من ساعة كاملة. لم ينظر واحد ولا شخص واحد إلى الموناليزا أكثر من عدة ثوانٍ!! ويُعلق ويقول: وكان الموناليزا تنتظر إلينا مخاطبة الجموع. لماذا لم تعودوا تنتظرون إليّ مثلما كنتم تنتظرون من قبل؟!!

وبذلك هذه القصة العجيبة التي حدثت مع يوهان لتعلم أن الهواتف الذكية وسومومها لم يسلم منها إلا القلة، وكيف أنها قد شغلتنا عن إنجازاتنا وأعمالنا. يقول يوهان: قرأتُ كتاباً من تأليف أهم مختص في العالم في ميدان قوة الإرادة، اسمه البروفيسور «روي باومستر» الذي يعمل في جامعة «كوينز لاند» في أستراليا. هذا البروفيسور عمره 66 عاماً وقد أمضى أكثر من ثلاثين سنة عاكفاً على دراسات علمية في قوة الإرادة والانضباط الذاتي، وهو مسؤول عن عدد من أشهر التجارب العلمية التي أُجريت في ميدان العلوم الاجتماعية.

ذهب يوهان لزيارة هذا البروفيسور. يقول يوهان: جلست أمام هذا العالم وقلتُ له إنني أفكر في تأليف كتاب عن التركيز وكيف فقدناه وكيف نستعيده؟ كانت إجابة البروفيسور غير متوقعة ليوهان، حيث قال له إنه أصبح ضعيف السيطرة على انتباهه، فقد كان في السابق يجلس بالساعات يقرأ ويكتب، أما الآن فيبدو له أن ذهنه يقفز من مكان إلى مكان!

يقول البروفيسور ليوهان إنه لمّا بدأ يبحث عن السبب في ذلك، انتبه إلى أنه كان في الأونة الأخيرة حين يصيبه شعور سيء، يدخل لعبة Candy Crush Saga على هاتفه ويلعبها! وصار ينصرف عن إنجازاته العلمية الكبيرة جداً ليلعب! لذلك لم يعد البروفيسور قادراً على المحافظة على انتباهه مثلما كان سابقاً.

يقول يوهان: إذا كان هذا البروفيسور صاحب الإنجازات العظيمة وفي هذا العمر يشككي من قلة الانتباه، فمن عساه لا يُعاني هذا الأمر؟!!

كل هذا جعل يوهان يتأكد أننا نعاني أزمة حقيقية في التركيز، وهي أزمة ملحة، فلا بد من معرفة أسبابها وإيجاد الحلول. فكانت هذه الأسباب هي التي دفعته إلى تأليف الكتاب الذي بحث فيه عن أهم أسباب المشكلة، ولا عجب أن يجعل يوهان السبب الأول متعلقاً بالهواتف الذكية وهو السرعة وكثرة التنقل بين التطبيقات والفترات.

الكتاب رائع جداً! ولست هنا بصدد ذكر هذا الأسباب ومناقشتها، لكن أكثر ما استوقفتني في هذا الكتاب هو السبب الرابع؛ لأنه مرتبط بموضوع القراءة. ولكني لم أستطع الحديث عن السبب الرابع مباشرة قبل أن أتحدث عن موضوع الكتاب وسبب تأليفه، وهو ما فعلته في الأعلى، والآن أستطيع الحديث عن السبب الرابع.

### انهيار عادة القراءة

كنت أظن أن تراجع عادة القراءة بشكل مخيف حدث فقط معنا في دولنا العربية، ولم أكن أعلم أن هذه المشكلة عالمية إلا بعد أن قرأت كتاب يوهان. نعم، كنت أعرف أن هناك تراجعاً في عادة القراءة عالمياً، لكني لم أتصور أن يصل الأمر لديهم إلى هذه الدرجة.

يبدأ يوهان الفصل بحديثه أن فقدان التركيز أثر بشكل كبير على عادة القراءة، وذلك من خلال سرده لقصة بائعة كتب مستعملة في منطقة من «بروفستاون»، وكان يوهان يذهب كل يومين إلى تلك المكتبة ليشتري كتاباً جديداً ويقراه. يقول يوهان: إن البائعة شابة ذكية حقاً، وأنه قد اعتاد الحديث معها، لكنه لاحظ في الزيارات الأخيرة أنها في كل مرة تقرأ كتاباً غير الذي كانت تقرؤه في المرة السابقة.

قال لها يوهان ذات مرة: أنت سريعة في القراءة. فوضحت له أنها ليست كذلك، بل أصبحت في الأونة الأخيرة لا تستطيع قراءة أكثر من فصل واحد في الكتاب، أو فصلين كحد أقصى! ولما سألتها يوهان عن سبب ذلك أجابته بأنها غير قادرة على التركيز! يقول يوهان إن هذه الشابة ذكية ولديها وقت كثير للقراءة، وحولها عدد كبير من أفضل الكتب في العالم، ولديها رغبة في القراءة، لكنها لا تستطيع أن تقرأ أكثر من فصلين حتى يضعف انتباهها!

يؤكد لنا يوهان تراجع التركيز في القراءة بقصته لما التقى «ديفيد أولين»، محرر وناقد للكتب في صحيفة «لوس أنجلوس تايمز» لأكثر من ثلاثين سنة، إذ قال له ديفيد إنه فقد قدرته على الاستمرار في القراءة العميقة منذ زمن، والسبب أنه كلما حاول أن يجلس كي يقرأ يجد نفسه مشدوداً إلى العودة إلى تلك المحادثات عبر الإنترنت! يقول يوهان إن ديفيد رجل شديد الذكاء، ورجل كانت حياته كلها كتباً وقراءة! ومع ذلك فقد التركيز على القراءة! أليس هذا أمر يدعو إلى الفلق وبشدة؟

يوهان لا يُبيري نفسه بأنه أحد الأشخاص الذين أصيبوا بالعدوى أيضاً، حيث قال: كنتُ أشتري أكواماً من الكتب، ثم أنظر إليها مع شعور بالذنب وأنا أرسل تغريدة إضافية. يؤكد يوهان أنه ما زال يقرأ كثيراً، لكنه يرى نفسه مع كل سنة تمر عليه، أشبه بمن يجري صاعداً على سلم يتحرك هبوطاً ببطء!

## تراجع القراءة

يذكر لنا يوهان دراسات وإحصائيات مخيفة توضح تراجع الذين يقرؤون سنوياً، حيث يقول: لقد بلغت نسبة الأميركيين الذين يقرؤون الكتب من أجل المتعة أدنى مستوى سجل حتى الآن. فقد ذكرت دراسة أقيمت على 26 ألف شخص في الولايات المتحدة أن عدد الرجال الذين يقرؤون من أجل المتعة انخفض بنسبة 40% بين عامي 2004 و2017م. أما لدى النساء فقد بلغ التراجع 29%.

وفي دراسة أجرتها شركة غالوب لاستطلاعات الرأي، ذكرت أن نسبة الأميركيين الذين لم يقرأ الواحد منهم أي كتاب خلال سنة كاملة قد ازدادت ثلاث مرات بين عامي 1978 و2014م. والآن قرابة 57% من الأميركيين لا يقرؤون كتاباً واحداً في السنة. يقول يوهان: إن هذا التراجع حدث للكتب الأدبية أكثر من غيرها، فلمرة الأولى في التاريخ الحديث، يكون الذين يقرؤون الأدب من أجل المتعة أقل من نصف الأميركيين.

ليس شعب أمريكا وحده من تراجع لديه القراءة، ففي بريطانيا تراجع سوق الروايات بين عامي 2008 و2016م بنسبة 40%. وفي سنة واحدة فقط تراجع الكتب الأدبية عامة بنسبة 26%.

ما الأسباب في هذا التراجع؟ الهواتف الذكية أكبر مسبب. يقول يوهان: إنه في سنة 2017م كان المواطن الأميركي ينفق على قراءة الكتب ما يبلغ متوسطه 17 دقيقة في اليوم الواحد، في حين يمضي قرابة خمس ساعات ونصف على هاتفه! تود أن تقرأ كتاباً لكن وسائل التواصل الاجتماعي تُبعِدك عنه، على حد تعبير يوهان.

تذكرت - لما قرأت كلام يوهان - حديث ذلك المؤلف القدير الخمسيني في العمر، الذي كان يقضي أغلب وقته في القراءة والتأليف، وله كتب رائعة، لما قال لي: لقد شغلني الهاتف الذكي عن القراءة، فلدي الوقت والرغبة في القراءة، لكن لا أدري كيف أنشغل بالمحادثات في الواتساب ومتابعة ما يرسل فيه من مقاطع، كما أنني أنتقل إلى متابعة فيديوهات في اليوتيوب ولا أشعر إلا وقد مرت ساعة أو ساعتان وأنا على الهاتف!

يؤكد يوهان بعد سرده لهذه الدراسات وغيرها أن القراءة تشهد اختناقاً في ثقافتنا القائمة على التنشيط، يقول: «إن حضارتنا قد غطاها نوع من مسحوق يثير الحكمة، وأن عقولنا صارت تمضي الوقت في اهتزاز وارتعاش متواصلين، غير قادرة على الانتباه إلى ما هو مهم، وأن النشاطات التي تستلزم وقت تركيز أطول - كقراءة كتاب - تشهد تراجعاً مستمراً منذ سنين».

## القراءة ودورها في تطورنا البشري

يذكر يوهان أن «ميهالي تشيكسنتميهالي» اكتشف في أبحاثه أن قراءة كتاب هي أيسر شكل من أشكال حالة الفيض التي يعيشها الناس في حياتهم<sup>[2]</sup>. يؤكد يوهان صحة كلام «ميهالي»، فيقول: إن قراءة الكتب من أعمق أشكال التركيز التي يعيشها بشر كثيرون، فانت تتركس ساعات كثيرة من حياتك لموضوع واحد. تتركسها بسرور وتترك ذلك الموضوع «تختم» في عقلك. هذا هو «الوسط» الذي جرى فيه التوصل إلى أكبر التطورات في تاريخ الفكر البشري خلال أكثر من أربعمئة عام، وجرى فيه تفسيرها وشرحها، لكنه للأسف - والكلام ليوهان - يشهد تراجعاً كبيراً جداً.

## الكتب الورقية والكتب الإلكترونية

أحد أكثر الأمور التي ذكرها يوهان وتعبت منها، هو أنك حين تقرأ كتاباً ورقياً ليس كما تقرؤه إلكترونياً، فهناك فرق! كنتُ قبل أن أقرأ كتاب يوهان أُجيب عن كل من سألتني أيهما أفضل؛ أن أقرأ الكتاب ورقياً أم إلكترونياً؟ وأقول: إنه ليس هناك فرق، المهم أن تقرأ بأي طريقة تترتاح لها، فهذه كلها وسائل فقط. لكن يوهان أكد لي عدم صحة اعتقادي هذا.

يقول يوهان: إن «نيكولاس كار» بيّن أن أسلوب قراءتنا تغير مع دخولنا إلى الإنترنت، مما دفع يوهان إلى أن يلتقي بأن مانغن، أستاذة إجابة القراءة والكتابة في جامعة ستانفورد في النرويج، وهي واحدة من أكبر الخبراء في هذا المجال، وقالت له: بعد عشرين سنة من البحث في هذا المجال تبين لها أن هناك فرقاً كبيراً بين القراءة من كتاب ورقي والقراءة من خلال الشاشات.

فالقراءة من كتاب ورقي تدرّبنا على طريقة بعينها في القراءة، وهي القراءة على نحو خطي والتركيز على أمر واحد خلال فترة زمنية متصلة، لكن القراءة من الشاشات تدرّبنا على القراءة بطريقة مختلفة، وهي الففز الموهوس من أمر إلى آخر. وتوصلت أبحاثها إلى هذا الأمر المخيف، حيث إننا نكون أميل إلى الاستعراض السريع للنص بقصد اقتناص الفكرة حين نقرأ من الشاشة، فتجري عيوننا سريعاً على المعلومات التي أمامنا كي نستخلص منها ما يلزمنا.

يلحق يوهان فيقول: المشكلة أننا إذا بقينا على هذه الحال مدة طويلة، فإن هذا الأسلوب في القراءة - أي الأسلوب السريع في القراءة - يستحوذ علينا، والمشكلة الأكبر أن هذا الأسلوب يبدأ أيضاً بالتأثير في طريقة قراءتنا ما هو مكتوب على الورق، حتى يصير سلوكاً أساسياً لدينا، ففعله من دون أن نعي ذلك!

ويقول كذلك: إنه - بعد أن أخبرته الأستاذة «مانغن» بهذه الدراسة - لاحظ أن لديه هذه المشكلة. فيذكر أنه حاول أن يقرأ كتاب لديكنز، فوجد نفسه يندفع سريعاً في قراءته وكأنه يقرأ مقالة إخبارية، ويحاول الوصول سريعاً إلى ما فيها من معلومات أساسية.

يبين يوهان بأن طريقة القراءة هذه تخلق بيننا وبين القراءة علاقة مختلفة، حيث تكف القراءة عن كونها انغماساً ممتعاً في عالم آخر، وتصير أشبه بان دفاعنا سريعاً في سوبرماركت مزدحم كي نجمع ما يلزمنا ونخرج خلال أقصر زمن ممكن. يقول يوهان: إذا حدث لنا هذا التحول في القراءة، فإننا نفقد جزءاً من متعة قراءة الكتب نفسها،

وتصير الكتب أقل جاذبية في نظرنا.

وهذا الأمر حدث مع كثيرين كما ذكرت في المقال السابق، لذلك صاروا لا يجدون متعة في قراءة الكتب للأسف!

### فهم وتذكر أقل

الأمر لم يقتصر على فقدان متعة القراءة فقط، بل إن هناك آثاراً سلبية أخرى للقراءة من خلف الشاشة. يقول يوهان: أجريت دراسات قسمت فيها الناس إلى مجموعتين اثنتين، قُدمت المعلومات إلى إحداهما من خلال كتاب مطبوع، وقُدمت المعلومات نفسها إلى المجموعة الأخرى عن طريق شاشة.

بعد ذلك، طُرحت على الجميع أسئلة عما قرؤوه. فتبين أن أفراد المجموعة الذين تلقوا المعلومات عبر الشاشة، فهموا وتذكروا أقل مما فهمه أفراد المجموعة الأخرى. يقول يوهان: إن هذا الأمر أكد من خلال 54 دراسة، وكلها توصلت إلى النتيجة نفسها. تقول الأستاذة «آن مانغن»: إن الهوة في الفهم بين الكتب والشاشات كبيرة إلى حد يجعلها لدى تلامذة المدارس الابتدائية، تعادل ثلثي سنة من التطور من حيث القدرة على الاستيعاب عند القراءة!

ما الأسباب في أن يقل فهمنا وتركيزنا حينما نقرأ من خلال الشاشة؟ يقول يوهان: إن السبب هو واحد من أعراض ضمور الانتباه، إذ يُشبه الأمر دوراناً في حلقة مفرغة، حيث نبدأ الانتقال من الكتب إلى الشاشات فننقذ جزءاً كبيراً من قدرتنا على القراءة العميقة، هذه القدرة المستمدة من قراءة الكتب، مما يجعلنا بدورنا أقل رغبة في قراءة الكتب. يُشبهه يوهان الأمر بزيادة الوزن؛ يزيد وزنا فتصير ممارسة التمارين الرياضية أكثر صعوبة بالنسبة إلينا.

يقول يوهان: إن الأستاذة «مانغن» أخبرته بأنها قلقة من أننا نفقد الآن قدرتنا على قراءة النصوص الطويلة، ونفقد صبرنا المعرفي، ونفقد الحافز والقدرة على التعامل مع نصوص تحتوي تحديات معرفية. يؤكد يوهان صحة كلام «مانغن» بما أخبره أحد الأساتذة في جامعة هارفارد، إذ قال له: إنه صار يجد صعوبة في جعل طلبته يقرؤون الكتب، حتى إن كانت صغيرة. وقال: إنه - عوضاً عن ذلك - أصبح يُقدّم إليهم مقاطع بودكاست ومقاطع عبر يوتيوب، كي يستطيعوا متابعة المطلوب منهم!

يقول يوهان: بدأت أتساءل عما سيصيب العالم إن كان التركيز العميق يتراجع هذا التراجع كله، وبهذه السرعة؟ وماذا سيحدث حين تغدو الطبقة العميقة من التفكير في متناول عدد متناقص من الناس إلى أن تصبح موضع اهتمام قلة صغيرة؟! وصدق يوهان في توجيهه هذا، فالأمر خطير ومخيف.

### تأثير قراءة الكتب في وعينا

هل للكتب تأثير في وعينا أكبر من وسائل التواصل الاجتماعي؟ هذا ما دفع يوهان أن يذهب إلى جامعة تورنتو كي يقابل «رايموند مار»، بروفييسور علم النفس في تلك الجامعة، الذي عمل كثيراً على دراسة آثار قراءة الكتب في وعينا، وساهمت أبحاثه في فتح طرق جديدة متميزة في هذه المسألة.

يقول يوهان: إن رايموند كان مهووساً بالقراءة خلال سنوات طفولته، لكنه لم يبدأ التفكير في كيف يمكن للقراءة أن تترك أثرها في اشتغال عقولنا إلى أن بدأ مرحلة الدراسات العليا، لما طرح عليه مشرفه البروفيسور «كيت أوتلي» فكرة: أن قراءة الأعمال الأدبية قد تكون ميداناً لتنمية تفهم البشر والتعاطف معهم. حينها قرر الاثنان أن يشرعا بدراسة هذه المسألة دراسة علمية.

من خلال عدة تجارب ذكية حصل رايموند وكيت على مجموعتين؛ المجموعة الأولى هي التي تقرأ الكتب الأدبية (الروايات)، والمجموعة الثانية هي التي تقرأ كثيراً لكنها تقرأ كتباً غير أدبية، وأجروا لهما اختبارات عدة، ليس هنا مجال تفصيلها. أظهرت النتيجة بكل وضوح أنه كلما زاد عدد الروايات التي قرأها الشخص المشارك في الاختبار، كان أفضل قدرة على قراءة مشاعر الناس وانفعالاتهم. وقد أوضحت دراسات رايموند أن الأثر ضخم جداً، لكن ليس في هذا الأمر دلالة على أنهم أوفر ثقافة أو تعليماً من الآخرين، بل أكثر فهماً وتعاطفاً.

ما السبب في أن تجعلنا قراءة الروايات أكثر تعاطفاً وتفهماً لمشاعر الآخرين؟ يشرح رايموند لهاري فيقول له: إن القراءة تخلق شكلاً فريداً من أشكال الوعي، فحين نقرأ يتحول اتجاه انتباهنا إلى خارجنا، إلى العالم الموجود على صفحات الكتاب. وفي الوقت نفسه يتجه قدر كبير من انتباهنا إلى الداخل، إذ نتخيل ما قرؤوه ونحاول تقليده في أذهاننا، حيث يكون انتباهنا في مكان فريد تماماً، فينتقل بين ما هو خارجنا، صوب الصفحة والكلمات، وما هو داخلنا، أي صوب ما تمثله تلك الكلمات.

يقول رايموند: ما تفعله القراءة أمر مختلف تماماً عن إغماض عيوننا وتخيل أن أمرًا من الأمور تبادر إلى أذهاننا، لأننا حينما نقرأ الأدب خاصة، نحاول فهم الشخصيات المختلفة، والدوافع التي تحركها، وأهدافها، ونتبع تلك الأمور المختلفة، وهذا كله نوع من التمرين، ونحن غالباً نستخدم هذه العمليات نفسها في فهم أصدقائنا أو زملائنا الحقيقيين.

يوضح رايموند أكثر فيقول: «أنت تحاكي كائنًا بشرياً آخر محاكاة ناجحة جداً، بل ناجحة إلى حد يجعل القراءة الأدبية قادرة على محاكاة الواقع الافتراضي بأفضل كثيراً مما تستطيع أي آلات محاكاة متوفرة في أيامنا هذه».

والجميل في قراءة الأدب - كما يوضح يوهان - أن ما قرؤوه لا يخفي حين نضع الكتاب من أيدينا، ففي أوقات لاحقة حينما نلتقي أشخاصاً في العالم الحقيقي، نكون أقدر على تخيل كيف يكون الأمر لو أننا كنا في مكانهم. وما أجمل تفسير يوهان لما قال قد تجعلك قراءة حقائق مجردة عن ذلك الشخص الذي ستلتقيه في العالم الحقيقي أفضل معرفة به، لكنها لا تنطوي على الأثر الناجم عن قراءة الأدب، ذلك الأثر المتمثل في توسعة تفهمك البشر الآخرين وتعاطفك معهم!

من أهم فوائد تأثير الأدب ما ذكره يوهان من أن القدرة على التفهم من أثنى الأشياء التي نملكها، وأن كثيراً من حالات التقدم المهمة في تاريخ البشر كانت تقدماً في تفهم الآخرين والتعاطف معهم، فكلما اتسع نطاق التفهم البشري ازداد الكون انفتاحاً.

### قراءة الأدب للأطفال

تأثير قراءة الأدب لا يقتصر على الكبار فقط. يقول يوهان: إن هناك دراسة تقول كلما قرأ الطفل قصصاً أكثر، صار أكثر قدرة على قراءة مشاعر الآخرين، مما يؤكد أن تجربة قراءة القصص تؤدي فعلاً إلى توسعة نطاق التفهم.

### هل وسائل التواصل تُغني عن القراءة؟

السؤال الأهم: هل وسائل التواصل الاجتماعي - التي جعلها الكثيرون بديلاً عن قراءة الكتب - تُعطينا نتائج قراءة الأدب نفسها، حيث تعزّز فهمنا وتعاطفنا؟

وجدت دراسات رايموند أمراً مهماً وخطيراً، وهو أن الأطفال يصيرون أكثر تفهماً حين يقرؤون القصص أو يشاهدون الأفلام، لكن هذا لا يحدث حين يُشاهدون عروضاً قصيرة. يقول يوهان: أليس هذا يُشبهه ما تعرضه وسائل التواصل الاجتماعي الآن؛ الفيديوهات القصيرة التي لا تتعدى الدقيقة الواحدة؟!

يشرح يوهان الأمر فيقول: حين نكون على احتكاك مع قصص معقدة نتناول الحياة الداخلية لأشخاص آخرين في فترات طويلة من الزمن، فإن هذا يعيد تكوين وعينا، فنصير أوسع خيالاً وأكثر انفتاحاً وتفهماً. أما إذا كنا على احتكاك باستمرار عدة ساعات كل يوم مع النتف غير المترابطة المملوءة صياحاً وعضباً في وسائل التواصل الاجتماعي، فسوف تبدأ أفكارنا بالتشكل على غرارها. إذا رأينا العالم من خلال نتف صغيرة، فمن المرجح ألا يعزز هذا تفهمنا وتعاطفنا بقدر ما يعززهما تفاعلنا بطريقة أكثر استدامة، على حد تعبير يوهان.

#### القراءة تُعيد تشكيلنا

من كلام يوهان ندرك كيف أن هجر القراءة والاستغراق في الهواتف الذكية وتطبيقاتها – لاسيما مواقع التواصل الاجتماعي التي يندر من لا يستخدمها في وقتنا الحالي – أمر ليس في مصلحتنا.

ولا غنى لنا عن القراءة ولا يمكن أن نستبدل بها وسائل أخرى. يحذرنا يوهان فيقول: انتبه إلى ما تستخدمه من وسائل التكنولوجيا، لأن وعيك سوف يتشكل مع مرور الزمن بما يشبه تلك الوسائل. وهي رسالة مهمة جداً.

أخيراً، ليس شرطاً أن يكون تأثير القراءة لحظياً وفي الوقت نفسه، بل يحتاج الأمر مدة زمنية كي يتفاعل ما نقرؤه مع الأفكار الموجودة سابقاً في عقولنا، ثم بعد فترة يحدث بعض التغيير في أفكارنا. يقول يوهان: «إذا كان للقراءة من أثر فينا، فهو أنها تُعيد تشكيلنا على المدى البعيد، أي خلال فترة زمنية طويلة. فالأمر لا علاقة له بوصولك إلى حالة من «النشوة» تبتلع شيئاً، فتعيش آثاراً فورية تمتد بضع ساعات!».

روبن شارما والراهب الذي باع سيارته

يندر أن تجد مهتمًا بكتب التطوير الشخصي والتنمية الذاتية لم يسمع بالكتاب الشهير «الراهب الذي باع سيارته الفراري»، للمؤلف والمدرّب العالمي «روبن شارما»، الذي يُعد واحداً من أهم وأفضل خبراء العالم في القيادة والنجاح الشخصي.

كتاب «الراهب الذي باع سيارته الفراري» عبارة عن رواية خيالية تدور حول كيف تُحقق أحلامك وتغيّر حياتك إلى الأفضل. الرواية صدرت عام 1997م باللغة الإنكليزية، وتُعد من أعلى الكتب مبيعا في العالم، حيث بيع منها أكثر من 3 ملايين نسخة، وترجمت إلى أكثر من 70 لغة في أكثر من 50 دولة. وترجمتها مكتبة جرير إلى اللغة العربية في عام 2007م، وتقع في 200 صفحة.

قرأتُ هذه الرواية المُلهمة في منتصف عام 2011م وانبهرت بها كثيراً، وظللتُ أخبر أصدقائي وزملائي عنها وأشجّعهم على قراءتها، فسعى كثيرٌ منهم إلى قراءتها فأعجبوا بها وعرفوا من خلالها المدرّب العالمي روبن شارما. وما زلتُ إلى يومنا هذا أشجّع على قراءتها لكل من يرغب في تطوير نفسه.

في شهر نوفمبر من عام 2023م سألني زميلي البرازيلي في العمل وقال لي: ما أفضل كتاب قرأته وتنصحني به؟ فقلت له: هل سمعت برواية «الراهب الذي باع سيارته الفراري»؟ قال لي: لا، قلت: أنصحك بقراءتها فهي مهمة في تطويرنا الشخصي، وما هي إلا مدة قصيرة، أرسل لي بعدها رسالة يقول فيها: أريد أن أشكرك كثيراً، لقد جعلتني أقرأ كتاباً ملهماً جداً. ربما هذا أفضل كتاب قرأته.

ربما يعتقد البعض أن تأليف هذه الرواية وانتشارها كان مفروضاً بالورود لمؤلفها، وأن كل السبل لكتابتها وطباعتها ونشرها كانت متاحة له، وأن كتابتها كانت سهلة جداً ولم تأخذ وقتاً طويلاً، وأنها من فور طباعتها، لاقت نجاحاً كبيراً وتلقفتها الأيدي وكتب عنها، وصارت الأكثر بيعاً.

لكن الأمر ليس كذلك. لنقرأ قصة المؤلف وقصة كتابته لهذه الرواية كما رواها بنفسه، لنعلم أن الكتب المميزة والخالدة لا تُكتب بسهولة، بل تحتاج إلى وقت وجهد وعرق جبين، في كتابتها أولاً، ثم في انتشارها ثانياً لتصل إلى معشر القراء في كل مكان، فليس هناك أمر جيد يحدث بين يوم وليلة.

### قصة كتابة الرواية

بحكي لنا روبن بدء قصة حياته وتسلسلها، وما الذي دفعه إلى كتابة هذه الرواية المُلهمة فيما بعد. فيقول عن نفسه إنه ليس شخصاً مميزاً ولا خبيراً، ولم ينشأ من عالم آخر غير الذي نشأنا فيه. هو شخص عادي - مثل أي واحد منا تماماً - لديه مواهبه كما لدى كل واحد منا مواهبه، ولديه أيضاً عيوبه كما لدى كل واحد منا عيوبه، ويشعر بعدم الأمان وعدم الجدارة والخوف في أوقات، وفي أوقاتٍ أخرى يشعر بالشجاعة والنعف والأمل، كأي واحد منا تماماً.

قال: إن نشأته كانت عادية تماماً، فلم يولد وفي فمه ملعقة من ذهب، فهو ابن لأبوين مهاجرين، وتربى في منزل صغير، وفي المدرسة كان طفلاً عادياً غير أنه لم يكن يُحب الازدحام. كان يُحب أن يكون بمفرده دوماً ويحلم أحلاماً رائعة، ويفعل ما يريد وما يحلو له.

قال مدير المدرسة ذات مرة لوالده: إن ابنها تلميذ غير واعد، ومن المحتمل ألا يتخرج في المدرسة الثانوية. كما قال مدرسون آخرون لوالده: إن إمكانيات ابنه ضعيفة جداً وتوقع بعض الأشخاص له أن ينتهي به المطاف متسكعاً أو متشرداً. يقول روبن: ببساطة؛ لقد سخر مني معظم الناس.

يقاط العماق في داخل روبن

بقي شخص واحد لم يسخر منه، بل آمن به وساعده في الإيمان بنفسه. يُخبرنا روبن عن هذا الشخص فيقول: إنها معلمتي في مادة التاريخ في الصف الخامس، الأستاذة «جورا جريناوي». لقد علمتني الأستاذة أن كل إنسان يولد موهوباً بشكل من أشكال الموهبة، وأوضحت لي أن كل واحد منا يمكن أن يكون جيداً بشكل مدهل في شيء ما؛ لأن كل واحد منا يولد بقوى خاصة وقدرات رائعة.

كان أهم ما علمته «جوريناوي» لروبن أنه إذا عمل بجد وكان صادقاً مع نفسه، وتيقن بأن كل واحد منا لديه موهبة فريدة، فستحدث له أمورٌ جيدة تتبعها نِعَم عظيمة. يقول: لقد أبصرت هذه الأستاذة أفضل ما في داخلي وشجعتني في مجتمع غالباً يُحط من قدرنا بدلاً من أن يُشجعنا، ويقال من تفوقنا.

كان تأثير هذه المعلمة فيه كبيراً. يوضّح روبن فيقول: في بعض الأحيان يكون كل ما يتطلّبه الأمر هو محادثة مع شخص استثنائي لتصحيح مسار ما تبقى من حياتك في اتجاه جديد تماماً. وهذا ما حدث معي تماماً، مع هذه المعلمة المُلهمة التي صحّحت مسار حياتي.

يقول لقد ألهمني «جوريناوي» لتجاوز التوقعات المحدودة التي حكم بها الكثيرون على حياتي، وإتمام المرحلة الثانوية ثم إنهاء الجامعة، ثم الالتحاق بكلية القانون، والحصول على درجة الماجستير فيه.

لقد تغيّر بعد ذلك تماماً، وخابت التوقعات التي رسمها الكثيرون عنه بدءاً من مدير المدرسة وكثير من الأساتذة وأفراد المجتمع. يُهدينا روبن هذه الكلمات المُلهمة فيقول لنا: «لا تتق بمنتهديك، ولا تول اهتماماً لمن يحاول إضعافك. تجاهل محيطك. إنهم لا يعرفون الأعاجيب التي في داخلك».

### ناجح لكن يشعر بالخواء

يُكمل روبن لنا قصته فيقول: لقد أصبحت محامياً ناجحاً، أتعابي جيدة، ولكنني كنت أجد نفسي خاوياً! لقد كنت أستيقظ كل صباح وأنظر إلى نفسي في مرآة الحمام، وأكره الرجل الذي ينظر إليّ منها. لم يكن لدي الكثير من الأمل، ولم يكن لدي أي انسجام!

على الرغم من أنه كان شخصاً ناجحاً بمقاييس المجتمع، فإنه كان يرى نفسه فاقداً احترام الذات. والنجاح من دون احترام الذات هو نصر أجوف، على حد تعبيره.

### بداية التغيير الحقيقي

شعور الخواء وفقدان احترام الذات، دفعا ليعيد تشكيل نفسه، ليجعل من نفسه نسخة أكثر صدقاً وسعادة وسلاماً وأفضل من الشخص الذي هو عليه الآن، وذلك من خلال السعي إلى الارتقاء بنموه الشخصي، والسعي إلى الشفاء العاطفي البالغ، والتقدم الروحي العميق.

هنا يوجه لنا روبن رسالة مهمة، ويقول لنا: إن كل واحد منا يستطيع فعل ذلك، فالعقوبة ليس لها صلة بتكويننا الوراثي، بل هي أكثر ارتباطاً بعاداتنا، فمع التدريب والقيام بما يلزم وأداء الممارسات، نستطيع تحويل الأحلام إلى حقيقة. وهذا ما فعله.

شرح في تلك الفترة في إعادة بناء حياته من جديد، وتغيير الشخص الذي كان عليه، ليكون شخصاً يستمد قوته من نظام توجيه داخلي لا من عوامل الجذب الخارجية، كالمنصب والممتلكات المادية والوجاهة الاجتماعية، شخصاً صادقاً مع نفسه ولو كلفه أن يخسر الجميع، شخصاً ثابتاً على مبادئه العليا، شخصاً لم يكن بحاجة إلى شراء أشياء ليتذوق طعم الثراء.

بعض الأشخاص - كما يقول روبن - يُخطنون طريق النجاح، يعتقدون في إيمان المُلهيات والافتتان باللهو الذي يمنحنا إحساساً زائفاً بالتقدم، ولكن هذه الأمور - في الواقع - تسرق أثنى ساعات أيامنا الأكثر قيمة. ومن يجرف خلفها كمن يقضي عمره في تسلق سلسلة من الجبال، ليدرك في النهاية أنه تسلق الجبال التي لم يكن عليه أن يتسلقها!

لماذا هذه الأمور تُعطي إحساساً زائفاً بالتقدم؟ يُجيبنا فيقول: لأنها لا تُحقق أي قدر من الإشباع الروحي، إلا كما تُحققه رحلة سريعة إلى أقرب مركز تسوق!

### النجاح يحتاج إلى جهد خارق

بدأ روبن يعمل على نفسه بجهد كبير جداً، يقول: مدة ثلاث سنوات طويلة كنت أستيقظ باكراً بينما كانت أسرتي نائمة، وأقوم بتجربة ممارسات من شأنها أن تقلل نقاط ضعفي، وتلبي قدراتي، وتضعني بشكل كامل في اتساق مع قدرتي.

بدأ يقرأ ويدرس الكتب التي تتحدث عن الرجال والنساء العظماء في التاريخ، أي العباقرة والمحاربين والشجعان والعلماء الاستثنائيين، وعالمة الأعمال وغيرهم، ليتعلم ويستكشف المعتقدات الجوهرية والروثين اليومي، والطقوس الصارمة التي انتهجوها وجعلت حياتهم مضيئة(40).

لم يكتف بذلك، بل حضر مؤتمرات ودورات النمو الشخصي، وتعلم الكثير. تعلم فن التأمل والتخيل، وفن تدوين المذكرات، وفن التفكير، والصوم والدعاء. حضر مع أفضل المدربين في الأداء، وعمل مع اختصاصي الوخز بالإبر، والمعالجين بالتدويم المغناطيسي، والمستشارين الروحيين، وغيرهم.

باختصار عمل على نفسه باجتهاد كبير، وطور من نفسه بشكل عميق جداً. لكن هل كانت هذه العملية بطول مدتها سهلة ومريحة؟ بالتأكيد لا. يقول: كانت هذه الثلاث سنوات في بعض أوقاتها مربكة وغير مريحة ومرعبة، وفي بعض الأحيان مثيرة ورائعة، لكن في كثير من الأحيان كانت جميلة بشكل خلاب.

التغيير كما يُخبرنا روبن مؤلم، لأنك تتحول بشكل كبير من النسخة الأضعف منك إلى النسخة الأقوى. وبالتأكيد لا بد أن يكون الأمر صعباً وليس مريحاً، لكنه يستحق ذلك لمن يرغب في أن يعيش بانسجام وحياء مملوءة بالإشباع الروحي العميق.

### تغير نظرتة إلى نفسه

هنا يُخبرنا روبن بأمر مهم جداً، فيقول: إنه في أثناء هذه الثلاث سنوات التي كان يستيقظ فيها باكراً، ويعمل على تطوير نفسه بشكل ثابت، ويقضي الكثير من الوقت مع أفضل المدربين، تلاتت لديه عدة مخاوف يومية كانت تؤرقه، واختفت السلوكيات الهدامة. والشيء الأهم أن حاجته إلى إرضاء الآخرين وإثارة إعجابهم واتباع عقلية القطيع، قد تبدد معظمها.

إذن، أين توجهت طاقته؟ يُجيب فيقول: لقد أصبح ولائي بدلاً من ذلك متوجهاً إلى أعمق قيمي، ونتيجة لذلك أصبحت أكثر صحة وإبداعاً وبهجة وسلاماً، وقضيت أوقاتاً أقل في العيش داخل عقلي، وأكثر ارتباطاً بعقلي، وأدى هذا إلى زيادة الإلهامي ونمو إنتاجيتي، وزيادة ثقتي بنفسي، وبدأت أدرك الروعة المتاحة لأي إنسان مهتم جدياً بملازمتها.

### فكرة تأليف كتاب

يقول روبن: إنه عند اقتراب نهاية هذه الثلاث سنوات، التي ما زال يجد أثرها فيه إلى اليوم، والتي توجه فيها إلى الإلتقان الشخصي والقيادة، هَمَسْتُ إليه نفسه بضرورة تأليف كتاب عن تجربته هذه، والدروس التي تعلمها خلال هذه الفترة، كي يستفيد منها الآخرون ويصنعوا تقدمهم. يقول: قلت سأجعل عنوان الكتاب «الراهب الذي باع سيارته الفراري»!

أخبر بعض أصدقائه عن عنوان الكتاب وفكرته التي يرغب في تأليفها، فماذا كان ردّهم عليه؟! يقول: لقد ضحك بعضهم وقالوا لي: إنه لن يوجد من يقرأ كتاب مساعدة ذاتية من تأليف محام! وقال آخرون: إن حياة مؤلفه صعبة، وعليه أن يترجم قبل أن يبدأ.

ماذا كانت ردة فعله على هذه السخرية؟! هل استسلم وأصغى إلى وجهات نظرهم وآرائهم التي رسموها عنه؟! بالتأكيد لا. فالشخص الذي صنعته هذه الثلاث سنوات، لا يقبل وجهات نظر الآخرين والقيود التي يضعونها له، بل يرفض آراءهم تماماً وبشدة.

بدأ يكتب بحماسة شديدة عن الدرب الذي يأخذ كل واحد منا بعيداً عن الحياة الناقصة، لتُصبح أشخاصاً مفعمين بالإعجاب والشجاعة والإمكانية. يقول: لقد كانت عملية تأليف هذا الكتاب ممتعة.

بعد الانتهاء من الكتابة واجهته بعض الصعوبات. هل يستسلم كما يستسلم الكثيرون عند أول عقبة، ويقولون إن هذه رسالة لنا بأن نتوقف ونتجه إلى أمر آخر؟! لا، فهو ليس من هذا الصنف. يقول: إنه لم يكن يعرف إلا القليل عن أمور النشر والأمور الأخرى المتعلقة به من تحرير وطباعة وغيرها.

إذن، ماذا فعل؟ يقول: لقد كنت مؤمناً أن التعليم الذاتي هو الطريق السريع لتحويل الخيالات المتقدمة إلى واقع يمكن ملاحظته بسهولة، وأنه بإمكانني أن أتعلم هذه الأمور بل أن أصبح خبيراً فيها أيضاً. لم يوجه لنفسه رسائل سلبية ويقول إنني لا أستطيع فهم هذه الأمور، فهي صعبة ومعقدة عليّ، بل سعى إلى معالجة ضعفه في هذا الجانب، فسجل في دورة متخصصة لتعليمه هذه الأمور.

تعلّم روبن في هذه الدورة أموراً عن المخطوطات والمحررين والناشرين والطباعة والموزعين وبناعي الكتب. والجميل أن هذه الدورة - كما ذكر هو نفسه - قد ملأته حماسة أكثر لنشر كتابه. يقول إنه بعد انتهاء هذه الدورة التي دامت ليلة واحدة فقط، عاد إلى منزله وهو يراوده شعور بأمل عميق، وألزم نفسه حينها بشكل غير عادي بإخراج كتابه إلى العالم. وهذا ما حدث فعلاً.

### صدور الكتاب

قرّر روبن أن ينشر الكتاب بجهوده الذاتية، واستعان بوالدته لتقوم بتحرير مسودة الكتاب. من قرأ المسودة الأولى للكتاب؟ عدد قليل من أصدقائه المخلصين الذين وثقوا بقدراته. وقد طبع الكتاب في محل يعمل 24 ساعة من دون توقف. يقول إنه لا ينسى تلك الأيام لما كان والده يأخذه بالسيارة إلى هناك الساعة 4 فجراً ليرى العمل، وقبل حلول الساعة 8 صباحاً يتوجه إلى وظيفته التي كانت محامي تقاض.

لكن بسبب قلة خبرته في هذا الأمر، صدر الكتاب بحجم صغير، لذلك كان من الصعب قراءته. هل استسلمت وندب حظ؟ بالتأكيد لا، بل سعى مباشرة إلى ترويج كتابه، وكان أول مكان هو نوادي الخدمة في الحي الذي يقطنه، حيث قدم ندوة عن الكتاب، وقد حضرها 23 مشاركاً، وكان 21 من هؤلاء من أفراد أسرته!

«رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة» كما قال «لاو تزو»، وهذا ما فعله روبن، فلم ينتظر الظروف المثالية ليُحقّق أحلامه، ولو انتظرها لما بدأ أصلاً! بل شرع مباشرة في وضع هدفه والسعي إلى تحقيقه ومحاولة تجاوز كل العقبات التي لا بد أن يُصادفها كل صاحب هدف، فتحقيق الأهداف ليس لها طريق معبد، نصل إليها بسهولة.

### صدمة أخرى

للحصول على مزيد من التوجيه سعى روبن إلى مقابلة مؤلف مشهور، ليتعلّم منه كيفية الوصول إلى جمهور أكبر للتأثير بشكل إيجابي فيهم. فالعثور على معلم حكيم أمر لا يُقدّر بثمن، كما يقول روبن.

يقول: لقد ارتديت بدلة، وأحضرت له نسخاً من كتابي، وذهبت إلى مقابلته وجلست أمام مكتبه الضخم، بينما كان هو جالساً بين جمع من المعجبين. ماذا قال هذا المؤلف الشهير لروبن؟ قال له: التأليف عملية شاقة، وفئة قليلة هي التي تنجح في القيام به، وأنت لديك عمل جيد بوصفك محامياً، فالزمه ولا تغامر بشيء غير مؤكد!!

كيف كان تلقي هذه الصدمة التي لم يكن يتوقعها؟ يقول: «فنتت كلماته في عضدي، وأحبطتني، بل خيبت ظني، واعتقدت أن طموحي – أن أضع كتاب «الراهب الذي باع سيارته الفراري» في أيدي القراء الذين سيستفيدون منه – ربما كان سخيفاً. ربما أخطأت في تقدير قدراتي، فانا لم أولف كتاباً قط، ولم أكن معروفاً. وكان هذا مجالاً من الصعب اقتحامه. ربما كانت وجهة نظر المؤلف الكبير صحيحة؛ يجب ألا أجازف، وأن ألتزم بمهنتي في القانون».

وهو يُحدث نفسه بما قاله له المؤلف الشهير من كلام قاس، والصدمة القوية التي تلقاها منه والتي أوقعت أرضاً، وكاد أن يظل واقعاً لا ينهض من تصديقه لكلامه، تظهر له لمحة قوية ترفعه عالياً بعيداً عن كلام المؤلف! فتقول له: إن هذا مجرد رأي لشخص! ليس شرطاً أن يكون كلامه حقيقة، وتقييم هذا المؤلف لا علاقة لك به. بهذه اللمحة استعاد ثقته بنفسه مجدداً، ونهض من سقوطه، وقرّر ألا يدع مشورة هذا المؤلف تخنق شغفه وتُميت طموحه، فحفز نفسه قائلاً إن كان هناك شخصٌ سيؤلف الكتاب التالي ليكون الأكثر بيعاً، فلماذا لا أكون أنا هذا الشخص؟

بنصحننا روبن فيقول لنا: إن علينا أن ننقّ بحسنا أكثر من المنطق العلمي المحض، فقوتنا وعبقريتنا لا تكمنان في المنطق. ويقول أيضاً: إنه من الأفضل أن تغامر وتخاطر بأن تبدو أحمق وقد بذلت ما في وسعك، بدلاً من أن تضع الفرصة وينتهي بك الأمر فارغاً منكسر القلب في آخر أيام حياتك. وهنا نرى بوضوح كيف أن لدى روبن الشجاعة للمثابرة في مواجهة المعارضة والتحدي.

### صدمة ثالثة

أصر روبن على التحدي وعدم الاستسلام للتثبيط، وهنا أخذ كتابه «الراهب الذي باع سيارته الفراري» إلى محرر محترم بهدف تحسينه، وكان متحمساً جداً للحصول على تغذية راجعة من أحد الخبراء حول كتابه هذا. كان على يقين أن المحرر سيقول له لقد أنتجت شيئاً مميّزاً بحق.

لكن للأسف! خابت توقعاته مرة أخرى! لم يحصل سوى على سلسلة من الانتقادات من هذا المحرر، وقال له: إن هناك مشكلات كبيرة في كتابك ولا فائدة من ترميق الكلمات! كما قال له إن شخصياتك في الكتاب لا تبدو أكثر من صور نمطية! وأنهى خطابه قائلاً له: إنه يرجو أن تكون اقتراحاته مفيدة، وعليه أن يعلم أن الكتابة الجيدة تتطلب عملاً شاقاً وإن كانت تبدو سهلة!

كيف كانت ردة فعل روبن تجاه هذه الصدمة الجديدة غير المتوقعة أيضاً؟ يقول: ما إن قرأت ملاحظة المحرر، حتى جلستُ في سيارتي بلا حراك، وقلبي يخفق، وراحتا يدي تتعرقان. لقد كنتُ محرجاً مرفوضاً مكتئباً. ما زلت أتذكر ذلك المشهد بالتفصيل، وأتذكر كيف شعرت! لقد حطم ذلك الرجل قلبي بشكل ما في ذلك اليوم المشرق.

كيف كانت ردة فعله أمام هذا التحطيم الجديد؟ هل قال بالفعل كلامه يتفق مع المؤلف الشهير فانا لا أصلح لأكون كاتباً؟ لا، لم يقل ذلك، بل وجد صوت الغريزة التي تكون أكثر حكمة من العقل تقول له: «لا تستمع إليه. وتماماً مثل المؤلف الشهير الذي لم يشجعك، إن هذه الرسالة هي وجهة نظر هذا المحرر فقط، فاستمر».

### النهوض من الصدمة بقوة

يُخبرنا روبن بأن كل تقدّم حقيقي جاء من الحالمين الذين أخبرهم من يُطلقون عليهم اسم «الخبراء» بأن أفكارهم المستهلكة لوقتهم وطاقتهم كانت حمقاء، وأن عملهم هذا لم تكن له قيمة. ويشجعنا بألا نستمع لكلام هؤلاء الخبراء ولتصريحاتهم المثيرة للخوف والمثبّطة للهمم. وهذا ما فعله هو أيضاً.

نهض من هذه السقطة القوية من جديد. نهض بقوة وإصرار أكبر من إصراره السابق لما أسقطه كلام المؤلف الشهير، ليواصل دربه ويستمر في تحقيق هدفه الذي رسمه، وليقول لنا: إن الانتكاسات هي طريقة الحياة لاختبار مقدار رغبتنا في تحقيق أحلامنا.

وينصحننا بأن نهض مباشرة حين يُسقطنا أحدهم ويُسعنا ضرباً – قليلاً أو كثيراً – ونُصاب بالكدمات، وتسيل دماؤنا، ولا نظل ساقطين. لماذا؟ لأن الحياة لا تتألق إلا لدى أولئك الذين استوحذت عليهم طموحاتهم الرائعة، والكون لا يدعم إلا الإنسان غير الراغب في الاستسلام لقوى الخوف والرفض والشك بالنفس.

### النجاح من نصيب المثابرين

يقول روبن: إنه بعد بضعة أشهر من نشر كتابه، كان في مكتبة محلية لبيع الكتب مع ابنه البالغ 4 سنوات. وبمجرد دخوله المكتبة توجه مباشرة إلى القسم الذي عُرض فيه كتابه، وجمع نسخه الموجودة على الرف وتوجه مباشرة إلى المنطقة الأمامية، واستأذن منهم بأبد التوقيع باسمه على كتابه. وافق البائع. يقول لقد وقعت كتابي المجهول تماماً.

يقول: إنه في أثناء التوقيع لاحظ أن شخصاً كان يراقبه، وشاهد كل حركة قام بها. بعد بضع دقائق اقترب هذا الشخص منه وقرأ عنوان كتابه: «الراهب الذي باع سيارته الفراري»، وقال له: إنه عنوان رائع! حدثني عن نفسك. فسرد روبن قصة حياته، وما الذي استدعاه لتأليف كتابه هذا، كما أخبره أيضاً أنه تعرض لسخرية الكثيرين في أثناء العمل على مشروعه هذا.

يقول: نظر إليّ هذا الرجل وتحصني فترة طويلة، ثم أخرج محفظته وسلّمني بطاقة العمل الخاصة به. كان الاسم المكتوب على البطاقة: «إدوارد كارسون. رئيس دار نشر هاربر كويترز!». أمر لم يكن متوقفاً إطلاقاً!

وبعد 3 أسابيع فقط، اشترت هذه الدار الحقوق العالمية لكتاب «الراهب الذي باع سيارته الفراري»، وأصبح أحد أفضل الكتب بيعاً على الإطلاق، ليفيد مع الوقت ملايين البشر في جميع أنحاء العالم.

هذه باختصار قصة تأليف هذا الكتاب المُلهِم، الذي كان بداية الانطلاق لروبن في عالم التأليف، وثلته كتب أخرى أيضاً لها تأثير وقبول رائع.

## الدروس المستفادة

نخرج من قصة روبن بدروس منها:

□ أولاً: علينا أن نثق بأنفسنا وقدراتنا التي حباها الله لكل واحد منا، وإذا لم نثق بأنفسنا فلن يثق بنا أحد. طريق الإبداع يأتي أولاً من ثقتنا بأنفسنا بعد ثقتنا بالله سبحانه، وأنا خلقنا لنبدع ولنكون لنا بصمة في مجال ما. يقول د. جلال أمين: إن أسوأ ما يُمكن أن يُصاب به الفرد، فقدانه لثقته بنفسه.

□ وقد نطق بالحقيقة فعلاً. فما فائدة المواهب التي حباها الله بها إذا لم يكن لدينا ثقة بأنفسنا، وأنا خلقنا للإنجاز والتميز لا لتكون على هامش الحياة؟! من يفقد الثقة بنفسه يفقد كل شيء ولن تنفعه جميع المواهب التي يملكها. كم خسرنا من عظيم يملك مواهب فذة لعدم ثقته بنفسه! (لل) وكَم من رجل متوسط المواهب فاق رجلاً عبقرياً ذا موهبة فذة؛ لأن الأول كان يملك ثقة عالية بنفسه والثاني يفقدها للأسف!

لو تتبعتنا قصص كل المبدعين الذين استطاعوا أن يجعلوا لهم بصمة قوية في مجال ما، لوجدنا أنهم كانوا يتحلون بثقة نفس عالية جعلتهم يؤمنون أشد الإيمان بمواهبهم، ولا يلتفتون إلى كل كلام مُحبط يقول لهم عكس ذلك.

## سلوى العضيديان تتحدّى

تحتكي الكاتبة سلوى العضيديان قصتها فتقول: لما كانت في الصف الرابع الابتدائي، سألتهم معلمة اللغة العربية قائلة: ماذا تحبون أن تصيروا حين تكبرون؟ تقول: لَمَّا جاء دوري قلت بكل ثقة تملؤني حماسة الطفولة: «إني أتمنى أن أصبح كاتبة مشهورة ويكتبون اسمي في الجرائد»، ثم جلست تنتظر ردة فعل المعلمة التي تأخرت كثيراً، وجاء بدلاً منها ضحكات زميلاتها واستهزاء منهن!

تقول: لقد أوجع قلبي الطفولي استهزاء زميلاتي، لكن الوجد الحقيقي شعرتُ به لَمَّا رأيت معلمتي تضحك بشكل هيسبيري وتقول: «كاتبة مرة وحدة!». تقول: كان هذا أول موقف يسخر فيه أحد ما من حملي، لأنني أول مرة أتحدّث عنه أمام الآخرين. شعرتُ لحظتها بمرارة ورغبت في أن أهرب، لكن ليس هناك مكان أهرب إليه.

أمر مؤلم جداً أن يسخر منك أحدهم أمام جمع من الناس، وأشد إيلاماً منه أن يسخر منك شخص تُحبّه وتثق به! هكذا قالت وصدقت تماماً. نُكلم قصتها فتقول: كان من شأن تلك الجملة أن تجعلني أكفر بكل أحلامي، وأمحوها من عقلي الصغير، لكني شعرتُ بالتحدي في تلك اللحظة، ولا أدري لماذا شعرتُ بذلك؟!

ماذا فعلت الطفلة سلوى في ذلك الموقف العصيب والمرح والمؤلم؟ جلست على الكرسي وأخرجت دفترها المهترئ من حقيبتها وكتبت بطريقة لا شعورية هذه الجملة: «غصبن عنكم راح اصير كاتبة». أعلنت التحدي، لذلك احتفظت بهذه الورقة معها لتذكرها بهدفها الذي رسمته لها.

لم تستسلم، بل طاردت حلمها بإصرار وتحذّر وعزيمة لا تعرف الاستسلام وعقلية لا تفكر بالهزيمة، ولم تقبل من أي أحد – كانناً من كان – أن يقتل حلمها. هل كان الأمر سهلاً؟! بالتأكيد لا. تقول: لم يكن طريقي مفرشاً بالورود. كم مرة تعثرت في بداياتي! كم مرة بكيت لقسوة الانتقادات اللاذعة المؤلمة! كم مرة شعرت بالانكسار والخذلان والمرارة! لكنني لم أستسلم وظلت أطارِد حلمي حتى حققته.

ماذا كانت النتيجة؟ لقد حققت الكاتبة سلوى حلمها وأصبحت كاتبة وأصدرت حتى الآن خمسة كتب لاقت رواجاً كبيراً، وصارت تكتب في أكبر الصحف في بلدها.

تقول في أثناء سيرك في طريق الحياة ستقابل أشخاصاً يسخرون من أحلامك، بل يحاولون كسر مجاديف الأمل لديك. سيخترعون لك ألف حكاية وحكاية ليثيروا مخاوفك من الإخفاق، لأنهم يعلمون أن سقوطك نجاح لهم، ونجاحك وصمة وإخفاق لهم. وإذا أنصت لهؤلاء الأشخاص واقتنعت بكلامهم، فقد كتبت النهاية لأحلامك، لذا عليك أن تثبت لهم عدم صحة كلامهم، وأنت تستطيع أن تحقّق حلمك.

كما تُخبرنا وتقول لنا: إنه لا يوجد شخص ناجح في هذه الحياة إلا وقد سخر من حوله من أحلامه وطموحاته واستكثروها عليه، وانتقدوه وعايروه بها! لكن الفرق يكمن فيمن يستسلم ويقبل هذا الكلام ويقوم بتصديق نُبوءاتهم، أو من يرفضها تماماً ويؤمن بقدراته ويثبت لهم عكس ذلك وأنهم مخطئون في توقعاتهم.

□ حقيقة أخرى مهمة تؤكدنا لنا من خلال سردتها قصتها، وهي أن طريق النجاح لا يأتي إلا بعد صعوبات كثيرة علينا أن نقهرها بعون الله. تقول: «لن تحظى بالنجاح وتستمتع به قبل أن تحمصك الحياة مثل حبات القهوة الخضراء، التي يجب أن تقلب في كل اتجاه فوق نار هادئة حتى تفوح رائحتها الزكية ويحلو مذاقها».

## اعرف نقاط قوتك واستثمرها

□ ثانياً: علينا أن نعرف أين تكمن مواهبنا وقدراتنا الإبداعية؟ وما الشيء الذي نتميز به. فكما قالت أستاذة روبن: إن كل واحد منا حباه الله موهبة في مجال معين، وواجبنا أن نعرف أين تكمن هذه الموهبة.

السؤال المهم: كيف أهديت إلى موهبتي؟ الأمر ليس بذلك الصعوبة كما يعتقد البعض. نعرف ذلك من خلال بعض المؤشرات، وهي أننا نجد سعادة وفرحاً ونحن نمارس هذا الأمر، ولا نشعر بمرور الوقت ونحن مستغرقون في هذا الأمر، ويكون لدينا توق وشغف شديد للعودة إليه كلما ابتعدنا عنه، ونكون مستعدين لترك أي شيء من أجل فعل شغفنا هذا. هذه بعض المؤشرات التي تجعلنا نعرف أين تكمن مواهبنا.

□ كل من له اطلاع بقراءة السير الذاتية للعظماء والمفكرين والعباقرة وغيرهم، سيجد أن كل واحد منهم لديه شغف في أمر ما، يبدأ الوضع عنده باهتمام صغير ثم يتطور لاحقاً. فمثلاً تجد أحدهم مولعاً بعزف البيانو منذ صغره، وتجد الآخر مولعاً بالمسرح منذ مراهقته، ثم يتطور هذا الاهتمام لديهم حتى تُصبح حياتهم تدور حوله.

مثلاً تجد بعضهم منذ طفولته يجد نفسه تنجّه إلى معرفة الأجهزة الكهربائية وكيف تعمل، ويُحاول أن يتعلّم كل صغيرة وكبيرة، ولا يشعر بمرور الوقت وهو يحاول معرفة الجهاز كيف يعمل أو محاولة إصلاح جهاز متعطّل. وشيناً فشيناً يُصبح خبيراً في هذا الأمر ويُسيطر على أغلب أوقات فراغه، ويسعى بعدها إلى دراسة الهندسة ويتطوّر الوضع لديه شيناً فشيناً حتى تكون حياته كلها تدور حول مجاله هذا، فيؤسس مَحال كهربائية وتمتد أفرعها. كل ذلك بدأ من شغف صغير.

بالنسبة إليّ كما ذكرت في مقال سابق، وجدت نفسي في القراءة، فكنت أجد سعادة وأنا أقرأ ولا أشعر كم مرّ عليّ من الوقت؟! ويكون لديّ توق شديد للرجوع إلى القراءة إن انشغلت عنها بدراسة أو أي شيء آخر، إلى أن تطوّر الأمر معي وأصبحت القراءة والتأليف هما محور حياتي الأساسية.

الرسالة هي ابحت عن شغفك واستثمر مواهبك فيها.

## طُورَ مواهبك

ثالثاً: لابد من مرحلة التكوين. فبعد أن نعرف أين تكمن موهبتنا الحقيقية، علينا أن نسعى إلى تطوُّرِها وتمييزها. موهبة من دون تطوير لا نجعلنا مميزين. استغرق الأمر لدى روين - كما مر معنا - ثلاث سنوات كاملة ليُطوَّرَ من قدراته ويُتمييزها، ويُبرز مواهبه الكامنة فيه.

الكل يمتلك موهبة في مجال ما، لكن قلة فقط من يسعى إلى تطويرها. لماذا؟ لأنهم مصابون بالكسل ويفضلون أن يكونوا أشخاصاً عاديين على أن يُبرزوا مواهبهم للمجتمع. ولا تثبت بعد مدة من الزمن إلا أن تموت هذه المواهب، لأنهم لم يمتدحروها، فما لا نستخدمه نفقده كما تقول الحكمة الشهيرة<sup>(12)</sup>.

هناك صنف مستعجل، يُريد أن يظهر موهبته للجميع بسرعة من دون مرحلة إعداد، وهذا التصرف للأسف يضره أكثر مما ينفعه. كل موهبة تحتاج إلى وقت وجهد كبير. ليس هناك أمر يحدث بسهولة وبسرعة، فإن تُبرز مواهبك تحتاج أن تتعلم الكثير والكثير في مجالك، وأن تسعى بكل طاقتك وجهدك إلى ذلك، حتى تصبح متمكناً وخبيراً في هذا المجال. ومتى ما تراخيت في هذا الأمر، فإن تكون مبدعاً في مجالك، وسيسبقك كثيرون.

## لا تستسلم

رابعاً: لا تستسلم، ثم لا تستسلم، ثم لا تستسلم. كن أقوى من كل التحديات والصعوبات. هذه نصيحة مهمة جداً. التحديات والصعوبات موجودة في كل عمل تسعى إلى فعله، وهي اختبار الحياة - كما قال روين - لتري صدقنا في هذا الأمر، فإذا استسلمنا فمعنى ذلك أن هذا الشيء لم يكن شغفاً حقيقياً.

يقول لنا روين: إننا حين نبدأ في السعي إلى تحقيق طموحاتنا، سيبرز لنا الكثير من الأعداء، وسيقومون بالسخرية والاستهزاء منا ومن طموحاتنا ليحاولوا إيقافنا عن تحقيقها، لكن علينا أن نتذكر أنه قد استهزئ بكل صانعي التاريخ في البداية قبل أن يُجَلِّوا بعد ذلك.

## نزار شقير و«باتشي»

قصة رجل الأعمال اللبناني «نزار شقير» خير مثال على رجل عرف نقاط قوته وسعى إلى تطوير نفسه فيها، ولم يستسلم للتحديات والعقوبات التي واجهته. نزار شقير يُعد أحد رواد صناعة الشوكولاتة في العالم<sup>(13)</sup>، وذلك من خلال تأسيسه لشوكولاتة «باتشي» الشهيرة. لقد كان مولعاً بالشوكولاتة منذ طفولته ويحلم في تأسيس محل خاص به للشوكولاتة، متأثراً في ذلك بأخواله الذين كانوا ملوك الشوكولاتة والسكاكر في كل بيروت في تلك الفترة.

يقول: «كنتُ ولا أزال مهووساً بالشوكولاتة. أراها في كل مكان، حتى في كوب الماء». كان نزار وهو في سن الحادية عشر كثيراً ما يهرب من المدرسة ليذهب ويشاهد الشوكولاتة، ويطلب من والده أن يسمح له بالعمل في محل أخواله في عطلة نهاية الأسبوع، وقد اعترف له أخواله بفظنته في الأعمال ليضعوا قفصهم فيه، ويصبح مسؤولاً عن المحل. في سن الرابعة عشر أقنع أخواله أن يدفعوا له راتباً لائقاً مقابل العمل معهم، ليوافقوا على عرضه ويترك حينها الدراسة ويتفرغ تماماً للعمل في الشوكولاتة.

صار يُدير كل المصانع والمحلات التجارية التابعة لأخواله، ولكن الأمور لا تجري دائماً كما نُريد، إذ وجد أخواله أنه سيكون منافساً لهم في الشوكولاتة، فأقنعوا والده بأن يُرسله إلى الكويت مع قريب له ليعمل في شركة للغاز.

الشغف لا يموت ولو حاولوا أن يبعدوك عنه وحاربوك بكل ما أوتوا من قوة، فستظل نفسك في توق لذلك الذي شغفت به. ظل شغف الشوكولاتة ساكناً في قلبه لا يتركه، ليقرر العودة من جديد إلى بيروت بعد عام واحد فقط، وكان قد تزوج في الكويت.

لكن مرة أخرى تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، حيثُ يطلب منه والده أن يتولّى أعماله في مجال المنتجات الغذائية، لأنه لم يعد قادراً على الاستمرار فيها. ظل نزار وفيماً لذلك خمس سنوات إلى بعد وفاة والده، ليجد أن شغفه يدفعه مرة أخرى إلى الشوكولاتة.

عرض عليه أحد أخواله أن يعمل معه في محله، فكانت فرصة لإيقاد الشغف من جديد، وليعيد اسم محل خاله إلى «لو بونونير» الذي كان في وسط بيروت. بدأ الشغف يوثي ثماره حيث أسس نزار أول محل له في عام 1974م في بيروت، ونجح المحل ليتحوّل كل زبائنه القدامى إلى محله الجديد. أطلق نزار على محله اسم «باتشي»، ويقول: إن سبب التسمية لمع في ذهنه وهو جالس في يوم ما بانتظار طائرته، حيث شاهد إعلاناً لطيفاً كتب عليه كلمة BACIO بالإيطالية التي تعني قبلة، ليحوّر الاسم قليلاً فيكون «باتشي» علامة تجارية.

تظهر تحديات كثيرة لكن صاحب الشغف لا يستسلم ويترك شغفه، ويطول المقال لو تحدّثنا عنها كلها، لكننا نخلص إلى النتيجة النهائية مباشرة، فاليوم تمتد محلات «باتشي» إلى 26 دولة بأكثر من 150 فرعاً، لتصبح «باتشي» العلامة التجارية المميزة في المنطقة لأكثر من 42 عاماً.

النسيان مرة أخرى.. حلولة.. فوائده

على الرغم من أنني تحدثت عن موضوع النسيان في كتابي «عزاءات القراءة» وتحدثت عنه أيضاً في إجابتي عن أحد الأسئلة في كتابي «شجون القراء»، فإنني أرى أن هذا الموضوع لابد من الحديث عنه مرة ثالثة ورابعة، لكثرة ما يسألني عنه القراء.

فلا أكاد أحصي عدد الذين يقولون إن لديهم مشكلة كبيرة، وهي أنهم ينسون ما قرؤوه مباشرة ولا يبقى في ذاكرتهم شيء من الكتاب، ويسألون كيف يستطيعون أن يتغلبوا على هذه المشكلة؟

سألني أحدهم ذات مرة: كيف سأربط المعلومات وأقارنها بمعلومات أخرى قرأتها في كتب أخرى إذا كنت أنساها ولا يثبت في ذاكرتي شيء منها؟! وثالث يقول: كيف سيأتي تأثير القراءة إذا كنت لا أذكر شيئاً مما قرأته؟!

ولأهمية هذا الموضوع، خصصت هذا المقال للحديث عنه بتفصيل واسع جداً مع توضيحات واستشهادات لم أتطرق لها من قبل.

النسيان هل هو مشكلة؟

علينا أن نتفق أن نسيان ما قرؤوه يحدث لكل قارئ مهما كانت قوة ذاكرته، فلا يوجد قارئ لا ينسى ما قرؤوه. ولا يقتصر الأمر أحياناً على أننا ننسى بعض فصول الكتاب، أو ننسى أحياناً مضمون الكتاب ولا نذكر إلا أننا قرأناه في فترة من الفترات، بل يصل الأمر إلى أننا ننسى أننا قرأنا الكتاب.

في بداية كتابه الجميل (حقيبة السفر التي امتلأت كتباً)، يقول الطبيب سامي بن مشوح: إنه مرت به فترة كان يقرأ بين ثلاثة إلى أربعة كتب في الأسبوع، كتب متوسطة الحجم، وقرر مرة أن يقرأ كتاباً وضع جدولاً لقراءته، وكانت الصدمة أنه وجد أن الكتاب قد قرأه سابقاً قبل سنوات، بسبب آثار القراءة فيه من تعليق وتلوين وخطوط واقتباسات ظاهرة في الكتاب، لكنه لا يذكر متى قرأه!

وتذكر الكاتبة بشرى الأحمدي أنه في إحدى المرات سألتها قارئة عن رأيها في كتاب ما؟ فأجابته بأنه كتاب يحظى بشعبية كبيرة لكنها لم تطلع عليه حتى الآن. فقالت لها القارئة: كيف لم تطلعي عليه وهو موجود ضمن مراجعاتك في تطبيق Goodreads؟! بل إنك ضمنت مراجعاتك بعض الاقتباسات التي أعجبتك من الكتاب! تقول بشرى الأحمدي لما رجعت إلى التطبيق وجدت فعلاً رأيي وملاحظاتي مدونة حول الكتاب، فتذكرت بصعوبة أنني قرأت الكتاب قبل ثلاث سنوات فقط!

كما يذكر د. محمد الأحمري في مذكراته القرائية عند حديثه عن الأديب توفيق الحكيم، فيقول: إنه قرأ له كثيراً، لكنه ابتعد عن كتبه بعداً تاماً خلال فترة دراسته في أمريكا وبريطانيا، ولم يرجع لها إلا بعد أن أنهى دراسته وعاد إلى مكتبته التي رعاها والده خلال فترة غيابه للدراسة. يقول د. الأحمري أنه وجد كتب توفيق الحكيم في مكتبته، التي كان منها «عصفور من الشرق»، الذي ما زالت ذاكرته تحفظ ببعض ما ورد فيه، لكنه تفاجئ بوجود عنوان كتاب لتوفيق الحكيم اسمه «حياتي»، فذهب إليه مستغرباً لأنه لم يمر به من قبل ولم يقرأ له كتاباً بهذا العنوان! يقول د. الأحمري وما إن تصفحته حتى وجدت أنني كتبت عليه إشارات ومراجعات!

يحدث لنا جميعاً – نحن معشر القراء – مثلما حدث مع سامي بن مشوح وبشرى الأحمدي ود. الأحمري، فمع مرور الأيام ننسى أننا قرأنا الكتاب الفلاني، والأمر طبيعي جداً. يقول الكاتب عبد اللطيف اللعبي في أحد رسائله إلى زوجته: «ذاكرتي تخونني أحياناً. كثيراً ما أضطر إلى إعادة قراءة كتاب بعد بضعة أشهر، وإلا كنتُ كما لو لم أقرأه قط. هذا أحد الجوانب الأكثر حدة لمشكلاتي الصغرى».

ثم ألا يحدث لنا نحن معشر القراء أن ننسري كتباً نظن أنها ليست معنا، ثم نكتشف بعد رجوعنا إلى البيت وتصفح مكتبتنا أنها لدينا وأنها قد اشتريتها منذ فترة؟! اشتكى لي قارئ نهم من ذلك، وأنه من كثرة شرائه للكتب التي لم يحن دور قراءتها بعد، ينسى أنها لديه، وحين يزور المكتبات أو المعارض ويرى هذه الكتب يظن أنه لم يشتريها بعد، فيشتريها من جديد! إنه النسيان الذي لا يسلم منه أحد إلا فيما ندر.

الكاتب ينسى ما كتبه!

النسيان كما ذكرت في كتابي «شجون القراء» يحدث للمؤلفين والكتّاب الذين يقضون أوقاتهم في البحث والقراءة والكتابة في موضوع ما شهوراً طويلاً، ويعيدون الكتابة مرات ومرات، ولكن حين يتهمون تأليف الكتاب ويخرج للقراء ويتجهون إلى كتابة كتاب جديد، يجدون بعد مدة – إذا لم يعودوا إلى قراءة ما كتبوه وحاولوا استنكاره – أنهم نسوا كثيراً من تفاصيل ما كتبوه.

تقول الروائية والكاتبة البريطانية «زيتي سميث»: «إن لديها عادة غير جيدة، وهي أنها تستصعب قراءة أي كتاب لها بعد أن يصدر ويكون بين يدي القراء. وقد حاولت عدة مرات قراءة روايتها «أسنان بيضاء» لكنها لم تفلح فلم تستطع أن تتجاوز الجملة العاشرة حتى أصابها الغثيان. وفي يوم ما، كانت سميث في أحد المطارات فقرأت نسخة من روايتها «رجل التوقيع»، فاشتريتها لعلها تستطيع أن تقرأها».

بدأت سميث بالقراءة لكنها لم تستطع أن تكمل قراءة الرواية كاملة! قرأت منها مقدار الثلث فقط. تقول سميث: إنها لم تكن تجربة سيئة على الإطلاق، فقد ضحكنا مرات، وتأوت مرات أكثر من الضحك، وشعرت أول مرة بشيء غير الغثيان! والأغرب أنها تفاجأت بأن الكتاب بات غريباً عنها بالكامل! إذ لم تتذكر صفحاتها بأكملها، وكأنها ليست هي من كتبتها، فقد نسيتها تماماً.

أذكر مرة أنني قرأت كتاب «مفاتيح القراءة» للدكتور منير لطفي، وظهرت لي في أثناء القراءة عدة تساؤلات حول بعض المعلومات التي أوردها المؤلف بحكم اختصاصي بالموضوع، فتواصلت مع د. منير لأسأله عن مراجع بعض المعلومات، فأجابني بأنه الآن لا يتذكر مصادر هذه المعلومات. قد نسيها وأنجته إلى كتابة كتب أخرى. وهذا أمر طبيعي جداً.

كما أذكر أيضاً أنني تعرّفت إلى أحد الشعراء، فقال لي: إن مشكلته أنه لم يكن يدون قصائده التي تجود بها قريحته! كان فقط يعتمد على سردها من ذاكرته اعتقاداً منه أنه لن ينساها بما أنه هو صاحبها، حتى انتبه بعد فترة من الزمن أنه قد نسي الكثير من الأبيات من القصائد، وفي بعض القصائد وجد أنه يتذكر فقط بعض الأبيات الشعرية، أما الباقي فقد طواه النسيان، ولم تفلح ذاكرته في تذكر الأبيات! ولا تسل عن حسرته على نسيان قصائده!

إذا كان الكاتب ينسى ما بحث وعمل فيه، والشاعر ينسى الأبيات التي تجود بها قريحته، فمن باب أولى أن ينسى القارئ ما قرأه بعد مدة قد تطول أو تقصر.

النسيان فطرة في الإنسان

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة طه: (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل نسي ولم نجد له عزماً)، وتفسير الآية أن ربنا سبحانه أخبرنا أنه عهد إلى آدَمَ – عليه السلام – أي أمره ووصاه بالآكل يأكل من شجرة بعينها، فنسي آدم ما عاهد الله به، وأكل منها! (14).

وفي الحديث الشريف الذي رواه الترمذي - وهو حديث حسن صحيح كما قال المحققون - عن قصة آدم وطلبه من رب العزة أن يأخذ من عمره أربعين سنة ويهبها لداوود عليه السلام. قال رسولنا - عليه أفضل الصلاة والسلام - في آخر الحديث: «نسي آدم فنسيت ذريته».

يُعلق د. علي الصلابي فيقول: إن النسيان فطرة في الإنسان، وإن الله لا يؤاخذ على النسيان بالإثم والعقاب الأخروي، ووقع النسيان لأدم عليه السلام، ولذلك يُقال: إن أول ناس هو أول إنسان. ويُقال: وما سُمِّي الإنسان إنساناً إلا لنسيانه، في بعض معانيها. وحصل النسيان مع آدم، وأصبح من طبيعة بني آدم، وإن الله عز وجل بيّن من خلال قصة آدم أن الطبيعة الإنسانية تنسى.

#### قصص لعلماء عن النسيان

يذكر د. القرصاي - رحمه الله - في بداية سيرته في الجزء الرابع منها ويقول: إن حدث وفاة الشيخ مصباح محمد عبده ينبغي أن يكون في الجزء الثالث وليس في هذا الجزء، لكنه نسي وطن أنه قد حدث متأخراً، ثم علق فقال: «ولا غرو أن ينسى الإنسان بعض الأحداث، أو أن ينسى ميقاتها، فقد نسي آدم أبو البشر، كما ذكر القرآن، ومن شابه آدم فما ظلم... وقال فتى موسى: (فإني نسيْتُ الحوت)».

تحدّث د. عمر الأشقر - رحمه الله - في صفحات حياته، عن الشبخين الجليلين العلامة عبد العزيز بن باز والمحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمهما الله - وذكر مزاييا كل واحد منهما. ثم ذكر قصة تبيين أن الإنسان قد ينسى ولا يتذكر بعض الأشياء إلا إذا دونها.

حدثت القصة لما كان د. عمر الأشقر يعمل في الجامعة الإسلامية التي كانت في المدينة المنورة، وكان الشيخ ابن باز مديراً في تلك الفترة. يقول د. الأشقر: إني في مرة اشكيت للشيخ ابن باز وأخبره وصول رواتبنا وقلة ما في اليد، ثم طلبت منه مبلغاً من المال، فأقرضني المال لكنه طلب مني أن أدون المقدار الذي أريده على ورقة. فكتبته إقراراً مني باستلام المبلغ وسلمته إياه من غير إشهاد عليه. يقول د. الأشقر فلما أعدت المبلغ للشيخ ابن باز، أعاد إلي الخطاب الذي سلمته إياه وقال: «إنما ذلك خشية النسيان».

يُكمل د. الأشقر فيقول: وفي مرة أذكر أنني احتجت إلى مبلغ خمسمئة ريال سعودي لشراء تذكرة طائرة إلى الرياض، فذهبت مع الشيخ محمد عبد الوهاب البنا إلى الشيخ الألباني، فأقرضني المبلغ على أن أسدده له في آخر الشهر. يقول د. الأشقر لما عدت من الرياض واستلمت راتبي سدّدت دين الشيخ ناصر كاملاً، وبعد أيام قال لي الشيخ ناصر: يا عمر! إن شئت أن تبقى بقية المبلغ عندك فلا مانع لدي، فرددت عليه بأني اقترضت منك مبلغ خمسمئة وليس ألفاً. فقال لي: بل ألفاً!

يقول د. الأشقر: قلت للشيخ الألباني كان معنا شاهد هو الشيخ محمد البنا، فلنساله. سأل الشيخ ناصر الشيخ البنا عن المبلغ الذي اقترضه د. الأشقر منه، فقال له البنا: خمسمئة. يقول د. الأشقر: تعجب الشيخ الألباني كثيراً، لأنه كان متأكداً من صواب قوله.

يُعبّد د. الأشقر على هاتين القصتين اللتين حدثتا معه فيقول: «رحم الله الشيخ عبد العزيز بن باز، فالإنسان قد ينسى، والعقل قد يشتت، ولا أحسن من الكتابة التي أمر الله بها في مثل هذه الأحوال».

المغزى من ذكر هذه القصص، أن الإنسان يحدث له النسيان كثيراً، ويحدث لنا كثيراً ما حدث مع الشيخ الألباني. فكم مرة ظننا أننا نتذكر أن فلاناً قال كذا، أو أن المبلغ كان كذا، وبعد ذلك يتبين لنا أننا لسنا على صواب!

من طبيعتنا وتكويننا البشري النسيان والخطأ، كما قال سبحانه على لسان عباده الصالحين في سورة البقرة: (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا). وهذا أمر لاصق بنا لا ينفك عنا. وقد قال العلماء: إن علم البشر يعتره النقص من أمرين، الأول أن الإنسان كان جاهلاً ثم تعلم، والأمر الثاني أنه قد ينسى ما تعلمه!

إن، نسيان ما نفروه أمر عادي جداً بحكم تكويننا البشري.

#### دراسات تؤكد شدة نسياننا

تذكر بشرى الأحمدي أن عالم النفس الألماني «هيرمان اينجهاوس»<sup>[15]</sup> قام بعدة دراسات وبحوث حول موضوع النسيان، وخلص إلى أن العقل البشري وبعد ساعة واحدة فقط ينسى أكثر من نصف المعلومات التي يتلقاها، بل أكثر من ذلك، فيعد أسبوع واحد لن تحتفظ ذاكرته إلا بـ 20% فقط منها!

في بداية الدراسة الجامعية سمعت أحد الدعاة يقول جملة كانت غريبة عليّ حينها، بل تعجبت منها كثيراً، والجملة في معناها، ألا تتعجب من انتكاسة المنكس وعدم ثباته على دينه ورجوعه إلى المعاصي والذنوب، بل اعجب من التزام الملتمزم وكيف أنه ما زال ثابتاً على دينه!

الآن أرى أن هذه الجملة صحيحة تماماً، وأستطيع أن أقول: لا تتعجب ممن قرأ كتاباً ونسى مضمونه بعد مدة، فهذا هو الوضع الطبيعي وليس الاستثناء، ولكن اعجب ممن ما زال يتذكر الكثير من تفاصيل كتاب قرأه، وبالتأكيد أنه عمل أموراً كثيرة تساعده في عدم نسيان ما قرأه، كما فعل الملتمزم أموراً كثيرة تحول دون رجوعه إلى معاصيه وذنوبه.

إن، ليس هناك أحد مخلص ضد النسيان كما يقول الكاتب محمد المرزوقي. كلنا معشر القراء ننسى ما قرأناه، وأجدي أتفق إلى حد كبير مع سامي البطاطي لما قال: «إن الكتب التي قرأناها، والكتب التي نفروها، والكتب التي سنقرأها، سننساها بعد فترة من الزمن». طبعاً هذا في حالة عدم فعلنا أموراً تساعدها في تذكرها.

#### زيادة معدل النسيان

أعتقد أن حدة النسيان زادت مع قراء هذه الأيام، وذلك بسبب كثرة المشتتات والملهيات، لاسيما الهاتف الذكي الذي أصبح لا يُفارقنا، فأغلب القراء صاروا مشتتين جداً، يفرون ربع ساعة متواصلة، أو أكثر أو أقل، ثم ينصفحون مواقع التواصل الاجتماعي خشية أن يفوتهم أمر مهم، كما يرددون على درنشات «الواتساب» وغيرها، وهذه القراءة المشتتة المنقرقة لا تجعل القارئ يستطيع التركيز فيما قرأه، ولهذا يكون نسيانه لما قرأه أسرع!

وهذا ما أكدته «يوهان هاري» كما مر معنا في مقال «يوهان هاري وانهاية عادة القراءة»، إذ وضّح بالدراسات أن القراءة من الأجهزة الذكية تجعلنا أقل تركيزاً وأسرع نسياناً. وصدق، فمن أين سيترسخ ما قرأناه إذا كنا نقرأ دقائق معدودة ثم نتجه إلى شيء آخر، وأي قراءة هذه التي ستغيرنا وستجعلنا نتذكر ما قرأناه ونحن مُشتتو أنفسنا ومُوزعو طاقاتنا بين تطبيقات وبرامج كثيرة ليس لها أول ولا آخر!؟

لذلك، أرى أن قراء اليوم في وضع وتحدّ أصعب مما كان عليه القراء سابقاً، في زمن لم تكن فيه أجهزة ذكية.

#### كيف نقاوم النسيان؟

سأورد أهم النصائح والتوجيهات التي تساعد في التغلب على نسيان ما نقرأه، والتي طبقتها ووجدت لها أثراً كبيراً في تذكيري كثيراً بمضامين الكتب التي قرأتها.

أولاً: التركيز

التركيز ثم التركيز ثم التركيز. هذا أمر مهم جداً. فيما أننا قد خصصنا وقتاً للقراءة نُغذّي به عقولنا ونشجّد أذهاننا، ونرتقي بتفكيرنا، ونقضي وقتاً ممتعاً كذلك، فأول الأمر أن نهيب مكاناً هادئاً ونبتعد قدر الإمكان عن كل المشتتات الخارجية، وأعني بالتحديد الهاتف الذكي. فالأفضل أن نضعه في مكان بعيد عنا كي لا يشغلنا بأشعاراته، وكي يكون تركيزنا منصّباً فقط على ما نقرأه.

أما إذا كان أحدنا يقرأ إلكترونياً من هاتفه الذكي، فالأفضل أن يخلق كل التطبيقات والتنبهات والإشعارات، حتى لا تشتتته وتضعف تركيزه في القراءة. دراسات كثيرة توضح أن انشغالنا بأمرين في الوقت نفسه – كأن نقرأ كتاباً ثم نتصفح حساباتنا ونقوم بالرد – يُخرِجنا من تركيزنا ويشتتتنا، ونحتاج حينها إلى ما لا يقل عن 13 دقيقة للعودة إلى تركيزنا السابق، كما ذكر ذلك «يوهان هاري».

هناك أمر مهم أيضاً نبه إليه «يوهان هاري»، وهو أن الإنسان القديم والحديث – كما أثبتت الدراسات والأبحاث – لا يستطيع عقله أن يستقبل ويستوعب سوى معلومة واحدة في الوقت نفسه، وأن كثرة المعلومات دفعة واحدة تشتتته ولا تتفعه. فحين نوزع عقولنا بين معلومات نقرأها في كتاب ومعلومات وأخبار نتلقاها من الهاتف وغيره، يقل تركيزنا وبداً يقل استيعابنا لما نقرأه، وهذا يؤثر في معدل تذكرنا لما قرأناه بعد ذلك.

القراءة بتركيز مع اختيار وقت نكون فيه في قمة نشاطنا، مع الهدوء والإضاءة الملائمة يُساعد في فهمنا لما نقرأه بعمق، إذ نجد أن المعلومات تتساق مباشرة إلى عقولنا كي تتفاعل لاحقاً مع معلومات سابقة لدينا. ينصح «بيل غيتس» – في فيديو متوفر له على اليوتيوب – أنك لتستفيد من قراءتك يجب أن تحافظ على تركيزك قدر الإمكان، لأن ما نقرأه بتركيز سيدخل إلى عقلك ويرتبط بالمعلومات السابقة الموجودة في عقلك.

ذكر د. الأهواني دراسات توضح أن الذاكرة لا تتذكر كثيراً حين لا نركز أو لا نولي انتباهاً كبيراً إلى ما نقرأه أو نشاهده، حيث تقوم الذاكرة بتخزين ما قرأناه أو شاهدنا – في هذه الحالة – في الذاكرة العرضية، وتذكرنا لاحقاً هذه المعلومات يكون ضئيلاً جداً، بخلاف الأمر حين نولي انتباهنا وتركيزنا إلى ما نشاهده أو نقرأه، حيث تقوم الذاكرة بتخزين ذلك في الذاكرة الإرادية. وقد أثبتت التجارب أن مقدار ما تحتفظ به الذاكرة العرضية أقل بكثير من الذاكرة الإرادية، التي تكون عن قصد وإرادة.

وكلام د. الأهواني والدراسات التي أوردتها تؤكد لنا أهمية التركيز والانتباه في التذكر ومقاومة النسيان.

**كيف أقرأ بتركيز؟**

يقول الكاتب والشاعر خيرى منصور: إن القراء لم يعودوا بكثرة كما كانوا في السابق، وبخاصة أننا نعيش في زمن يصعب فيه على الواحد منا، حتى لو كان راغباً في أن يقرأ، ولو كتباً خلال عدة أيام. والسبب في ذلك ليس ضيق الوقت، بل ضعف القدرة على التركيز. كلام منصور صحيح، فالتركيز من أهم الأمور في عملية القراءة، فلا فائدة ترجى من قراءة من دون تركيز.

تقول الدراسات: إن تركيزنا يبدأ يضعف ويقال من بعد عشرين إلى ثلاثين دقيقة، لذا من الأفضل أن نحاول القراءة من دون مشتتات مدة تتراوح من ثلث إلى نصف ساعة، ثم نأخذ استراحة مدة خمس دقائق، كأن نخرج إلى الهواء الطلق ونحرك أجسامنا قليلاً، ونحاول أن نستذكر ما قرأناه ونتأمل كذلك في صحة ما قرأناه. وهذا الفعل الصغير يُنشط ذاكرتنا ويُعيد لنا تركيزنا من جديد.

وهذه النصيحة تكون لمن لم يتعود بعد على القراءة بتركيز عالٍ. أما القارئ المتمرس فيمكنه أن يستمر مدة أطول في التركيز، ويبقى كل قارئ أعلم بنفسه والوقت الذي يشعر فيه بأن تركيزه بدأ يضعف، وأنه يحتاج إلى استراحة لتتسطح من جديد.

**كيف أحصل على التركيز؟**

السؤال المهم: هل التركيز يأتي بسهولة؟ بمعنى أننا سنحصل عليه بمجرد أن نُبعد هواتفنا الذكية وكل ما يُشغلنا مباشرة؟ الإجابة بالتأكيد لا، لاسيما لمن أدمن استخدام هاتفه الذكي وتعود الاستغراق فيه، فكل من لم يعتد على التركيز يصعب عليه عادة، وهذا شأن كل عادة جديدة لم نعتد عليها وليس التركيز فقط.

كما أنه يُمكن أن نُبعد المشتتات الخارجية التي تُفقدنا التركيز، لكن ماذا نعمل بالمشتتات الداخلية التي تصرفنا عن القراءة وتجعلنا نفكر ونسرح في أمور كثيرة؟ يقول يوهان هاري: إن البروفسور «غلوريا مارك» التي أمضت زمناً طويلاً في دراسة «علم المقاطعات» قالت له ذات مرة: إنك إذا أمضيت زمناً طويلاً إلى حد كافٍ في عيش حياة كلها مقاطعات، فسوف تبدأ بمقاطعة نفسك بنفسك حتى حين تتحرر من أي مقاطعات خارجية.

وصدقت في كلامها، وأعتقد أن حياة أغلبنا صارت كلها مقاطعات، والهاتف الذكي يتصدر قائمة الأسباب في هذا الأمر بأشعاراته الكثيرة.

إذن، لابد من مجاهدة في ذلك، وبالتأكيد سنواجه صعوبة وسيستغرق الأمر منا وقتاً طويلاً حتى نعتاد التركيز، لكن الأمر يستحق ذلك، لأن التركيز هو أهم عادة وأكثرها أثراً في حياة الناجحين كما بين د. مشعل الفلاحى في كتابه المهم «التركيز».

قصة يوهان هاري مع التركيز

يذكر «يوهان هاري» قصته في محاولة إعادة نفسه إلى التركيز كما كان طوال مرحلة مراهقته كلها وفي عُمر العشرينيات، حيث كان يُمضي أياماً كاملة مستلقياً في الفراش لا يفعل شيئاً غير القراءة المتواصلة. يقول: إنه قرّر السفر إلى «بروفنستاو» من دون هاتفه الذكي ومن دون وجود إنترنت، كي يستعيد التركيز الذي فقده. فقط حمل معه في هذه الرحلة جهاز لابتوب من الطراز القديم ليكتب عليه.

يقول: إنه في بداية الأمر اشتاق لهاتفه الذكي وافقد الإنترنت افتقاراً شديداً، حيث كان في كل يوم من أيام حياته المعتادة يدخل حساباته في مواقع التواصل الاجتماعي؛ فقط كي يرى كم أصبح عدد المتابعين لديه، وما معدل زيادة المتابعين؟! فلم يكن ينظر إلى ما ينشره الآخرون ولا يتابع الأخبار، إذ يكون سعيداً إذا زاد عدد متابعيه، مما يعني له أنه أصبح مهماً أكثر. لقد كان «هاري» مدمناً على هذا، ويفعله عدة مرات في اليوم.

لما قرّر «هاري» أن يتخلّى عن هذه الحياة، لم يستطع أن يحصل على التركيز في بداية الأمر بسهولة، بل عانى في أول الأيام معاناة شديدة، حيث كانت حياته السابقة تدفعه وتشدّه إلى الرجوع إلى هاتفه الذكي وفعل ما كان يفعله سابقاً. وهذا ليس بغريب، إذ اعتاد على هذا الفعل أكثر من عشرين سنة، فكان يرسل ويستقبل «إشارات» يتبادلها مع أعداد كبيرة من البشر؛ رسائل نصية، ورسائل عبر فيسبوك، ومكالمات هاتفية... الخ. كل هذه الإشارات التي كانت تُغطي معنى لحياة «هاري» قد اختفت الآن، فأصبحت حياته وكأنها بلا معنى ولا أهمية.

يقول «هاري»: إنه حاول أن يشغل نفسه بالقراءة والحديث مع الناس الموجودين في الشاطئ وفي المكتبات، لكنه وجد أن مستوى الدفء الذي يجده مع هؤلاء الناس - على الرغم من أنهم كانوا ودودين في أكثر الأحيان - منخفض قياساً على الأحاديث التي كان يجريها عبر الإنترنت، فلم يجد في العالم الحقيقي أي شخص غريب يُعرفه بقلوب حمر، ولم يجد أحداً يقول له إنه رائع، كما يحدث له كثيراً في مواقع التواصل الاجتماعي! لقد كانت هذه الإشعارات هي الأساس الذي كان يستمد منها معنى لحياته!

يقول: لقد انقطع هذا كله عني، وصرت أرى هذه الأمور تافهة، ولكن مع ذلك كنت في شوق لها. إذن ما الذي أنفذه من هذا الوضع ومتى بدأ يستعيد تركيزه، ويصل إلى حالة «الفيضان»؟ والفيضان هي حالة تعني الشعور بسعادة بالغة ونشوة وأنت تفعل أمراً ما، فتفقد إحساسك بنفسك وإحساسك بالزمن وتندمج فيما تفعله، وتتمنى فعلاً أن يستمر هذا الأمر إلى الأبد. كما أنك لا تفعل هذا الأمر للحصول على مكافأة أو تقدير، فقط تفعله لأن هذا الشيء يجعلك تشعر بسعادة، سواء أكان هذا الشيء قراءة أم كتابة أم رسماً أم عزفاً أم شيئاً آخر.

أنفذ «هاري» عالم النفس «ميهاي تشيكسنتميهاي» (1934 - 2021م) (16).

النقى هاري بـ«ميهاي» الذي اكتشف ظاهرة «الفيضان» وقام بدراسات كثيرة عليها امتدت خمسين عاماً، وقصة «ميهاي» وتوجهه إلى هذه الدراسة قصة طويلة، لذلك سنجاوزها إلى النتيجة مباشرة. تأتي «حالة الفيضان» كما أثبتت دراسات «ميهاي» من ثلاثة أمور:

أولاً: اختيار هدف واضح التحديد والتركيز عليه. مثلاً: أريد أن أقرأ في مجال ما، أريد أن أقرأ هذا الكتاب المهم، أريد أن أعلم طفلي السباحة، وغيرها. فقط نختار مهمة واحدة، فلا يمكن أن يأتي الفيضان حين تؤدي أكثر من مهمة؛ أي علينا أن نضع كل شيء جانباً ونركز على مهمة واحدة. أثبتت دراسات «ميهاي» أن تشتت الانتباه وتعدد المهمات يقتلان الفيضان؛ لأن الفيضان يستلزم طاقتنا الذهنية كلها.

ثانياً: أن يكون ما نفعله هو أمر ذو معنى بالنسبة إلينا. إذا لم يكن الأمر ذو معنى لدينا فلن تأتي حالة الفيضان. أدمغتنا مصممة - كما تقول أبحاث ميهاي - لتنتبه إلى الأمور التي لها أهمية لدينا. فإرغام أنفسنا على فعل أمور لا نشعر بأن لها معنى في حياتنا، لا يوصلنا إلى حالة الفيضان، بل العكس تماماً سيحدث.

ثالثاً: أن نفعل شيئاً يُقارب حدود قدراتنا، لكنه لا يتجاوزها. الهدف بالغ السهولة الذي نقدر على الوصول إليه من غير عناء لا يوصلنا إلى حالة الفيضان، وكذلك الهدف بالغ الصعوبة سيجعلنا نصاب بالفراق ونخور عزيمتنا، كما يقول ميهاي، ولذا لن نصل إلى حالة الفيضان في كلا الحالتين.

تقول أبحاث «ميهاي»: إن سعادة الإنسان تزداد كلما ازدادت حالات الفيضان التي يعيشها. مع ذلك توصلت أبحاث «ميهاي» إلى أمر مهم جداً، وهو أن حالة الفيضان هذه هشة إلى حد استثنائي، فمن السهل أن يقطعها أي شيء.

في الثمانينيات من القرن الماضي اكتشف «ميهاي» أن التحديق في الشاشة واحد من النشاطات التي نقوم بها فتؤدي بشكل عام إلى تدني حالات الفيضان. وقال «ميهاي»: إن إحاطتنا بأنواع كثيرة من أجهزة التسلية يؤدي إلى جعل أكثرنا مصاباً بحالة من الضجر ومن القنوط الغامض.

يعقب «هاري» على نتائج دراسات «ميهاي» فيقول: في حياتنا المعتادة، يحاول كثيرون منا الخلاص من تشويش الانتباه عن طريق الارتقاء في نشاطات يرونها مسلية ولكنها مدمرة! فنحاول التعافي من تشويش النهار من خلال مشاهدة التلفزيون أو الجلوس إلى هواتفنا، وهذا الأمر يشوشنا أكثر. وإذا لم نسع إلى إيجاد هدف إيجابي ثم نسعى إلى تحقيقه، فسوف نظل على الدوام ساقطين فيما يشوش انتباهنا ويبعد عنا حالة «الفيضان».

يقول «هاري»: إن القراءة والكتابة كانت على الدوام من أهم مصادر الفيضان عنده، وذلك قبل أن تستغرقه مواقع التواصل الاجتماعي والهاتف الذكي عموماً. لذلك بدأ هاري في تنفيذ الشروط الثلاثة ليصل إلى حالة الفيضان. وضع هدفاً له وهو كتابة رواية، طالما أمل نفسه بكتابتها، وركز على هذا الهدف ووضع جميع الأهداف الأخرى جانباً. وكتابة الرواية أمر ذو معنى لهاري، كما أن كتابتها أمر مرهق قليلاً، ولكنه ليس مرهقاً إلى حد يجعله عاجزاً عن كتابتها.

يقول: جلست على أريكة في زاوية البيت وفتحت اللابتوب القديم وبدأت أكتب. كتبت أول سطر من روايتي، ثم كتبت سطرًا ثانيًا، ثم صار ما كتبتُه فقرة، ثم صفحة كاملة، لقد كان ذلك صعباً بل شاقاً، لم أجد فيه أي متعة خاصة، لكنني أرغمت نفسي على مواصلة الكتابة في اليوم التالي، لأنني كنت مدركاً أن عليّ أن أكون عادة الكتابة لدي.

تابع «هاري» ما يفعله يوماً بعد يوم. كان الأمر شاقاً لكنه أرغم نفسه على الانضباط. بعد المداومة مدة أسبوعين بدأت حالة الفيضان تأتيه، وخلال فترة قصيرة صار يُسرع إلى اللابتوب جانعاً إلى الكتابة، ووجد كل ما وصفه «ميهاي» صحيحاً: ضياع الذات، واختفاء الزمن، والإحساس بأنه ينمو ويصير شيئاً أكبر من أي شيء كان عليه من قبل. لقد كان الفيضان يحمله ويمضي به مجتازاً المراحل الصعبة وحالات القنوط واليأس. باختصار، لقد حرز الفيضان تركيزه.

يقول «هاري»: إنه لاحظ خلال هذه المرحلة أمرًا في غاية الأهمية، وهو أنه كان إذا قضى ثلاث ساعات من حالات الفيضان، فإنه يظل طوال النهار مسترخياً مفتوحاً قادراً على ممارسة النشاطات، كالسير على الشاطئ، أو تبادل الأحاديث مع الناس، أو قراءة كتاب... وذلك من غير شعور بأي ضيق أو انزعاج، ومن غير جوع إلى هاتفه. لقد كانت حالة الفيضان تؤدي إلى استرخاء جسده وتفتح عقله.

استعاد «هاري» تركيزه من خلال الوصول إلى حالة الفيضان الذي عانى في أول الأمر حتى وصل إليها. يذكر أنه في يوم من الأيام أخذ كرسياً ووضعه عند أول الماء، حيث صارت أمواج البحر تتفرق حول قدمه. وهناك أنهى قراءة الجزء الثالث من رواية «الحرب والسلام»، ولما وصل إلى الصفحة الأخيرة أدرك أنه بقي جالساً طوال الشطر الأكبر من ذلك اليوم!

قضى معظم اليوم وهو يقرأ من دون أن يشعر بمرور الوقت. لقد دخل في حالة الفيضان فنتسي نفسه ونسي الزمن واندمج فيما يقرأه، وكان كل ما يرغب فيه هو ألا ينتهي هذا الأمر الممتع الذي يقوم بفعله. استطاع «هاري» أن يرجع حالة الفيضان التي افتقدها بعد محاولات ومجاهدات كانت صعبة بادئ الأمر.

### العبرة من قصة هاري

قصة «يوهان هاري» تُخبرنا أنه بإمكاننا أن نحصل على حالة الفيضان من القراءة، التي سنأتي من خلال محاولة التركيز على هدف محدد وهو قراءة كتاب محدد، واختيار القراءة في مجال يكون ذا معنى لنا، ويكون الهدف في حدود قدراتنا، وهو إنهاء قراءة الكتاب والاستفادة من مضمونه، وما علينا سوى أن نبعد المشوشات عنا ونركز فقط على القراءة، وبالتأكيد سنعاني في اليوم الأول والثاني والثالث، وسنجد الأمر شاقاً وسنشاق إلى هواتفنا الذكية والمُلهيات التي ابتعدنا عنها، لكن من يرغم نفسه ويحاول زرع عادة الانضباط سيتحول الأمر لديه بعد فترة من الزمن من شاق إلى ممتع، كما حدث مع «هاري».

حينها ستأتينا حالة الفيضان، وستبتعد عنا المشتتات الداخلية وسيكون تركيزنا فقط على ما نقرأه، وسنشعر بسعادة وسيختفي الزمن وسنكون نحن وما نقرأه شيئاً واحداً، وهذا سيجعلنا نعيش مع الكتاب بكل جوارحنا وأحاسيسنا، نقرأ بفهم وعمق مع استمتاع، مما يجعلنا نتذكر كثيراً مما قرأناه ويكون معدل نسياننا أقل بكثير. فاستمتعنا بما نقوم به يجعل نسياننا لما نقرأ أقل، لأن هذا الأمر صار مهماً لنا.

### الشطرنج والتركيز

في مقال جميل للكاتب التركي الساخر «عزيز نيسين» يتحدث فيه عن لعبة الشطرنج وكيف أنه يجهد كيفية لعب هذه اللعبة وقواعدها، وكيف أنه اضطر - لما كان في موسكو عام 1967م - أن يُعلم ولديه - وكان أحدهم عمره 11 عاماً والثاني 12 عاماً - قواعد اللعبة كي يُوقف الشجار بينهما ويُريح والدتهما من إزعاجها، ويشغلها باللعبة، ولكنه علمها قواعد اللعبة خطأ لأنه نسيها بحكم أنه لا يلعبها إلا نادراً وعلى فترات متباعدة جداً، وأخر مرة لعب فيها الشطرنج كانت قبل خمسة عشر عاماً!

علم صديق الكاتب «نيسين» فيما بعد ولديه قواعد اللعبة الصحيحة، وصار أحدهم - وهو علي ذو 11 عاماً - مهتماً بل شغواً بها، وأصبح يلعبها مع كل شخص يلتقيه في أي مكان. ولما عادوا إلى إسطنبول انضم علي إلى نادي الشطرنج في مدرسة لديهم هناك، كما أصبح يقرأ كتباً حول هذه اللعبة. باختصار، صار مدمناً عليها.

ومع إيمان ولده علي لعبة الشطرنج، وعلى الرغم من أنه كبر وتزوج وأنجب بنتاً، وقرّر - في رسالة بعثها لأبيه - أنه سيُعلمها لعبة الشطرنج منذ نعومة أظفارها، فإن «نيسين» في آخر المقال الطويل يدعو إلى أن نُعلم الأطفال هذه اللعبة، لماذا؟!!

لأنه يرى بأن للشطرنج وظيفة مهمة وتأثيراً كبيراً في تربية الطفل وفي تنمية قدراته وكفاءاته، ولأنه رأى الأطفال - في أيامه - لا يستطيعون التركيز على موضوع ما فترة طويلة! والسبب في ذلك أن الأشياء - والكلام لنيسين - التي تشتت انتباههم تزداد يوماً بعد يوم، من كل الوسائل السمعية والبصرية وألعاب الكمبيوتر والفيديو وصخب المدن وضجيجها وغيرها... (127) بل يقول «نيسين»: إن الكبار صاروا يجدون صعوبة في التركيز والحديث في موضوع واحد بعمق فترة طويلة من دون أن يتشتتوا ومن دون أن ينتقلوا من موضوع إلى آخر.

لماذا التركيز مهم؟ يُوضح «نيسين» فيقول: لأن النجاح الذهني لا يتحقق إلا بتكثيف وتركيز الملكات الذهنية على موضوع معين، وحين يستطيع الذهن التركيز على موضوع محدد بكل طاقاته، يستطيع فهم الموضوع من كل جوانبه وبكل أبعاده، ووقتها تتحقق عملية التفكير بشكل تام.

وبرأي «نيسين» أن لعبة الشطرنج على رأس قائمة الوسائل التي تخلق عادة التركيز على موضوع محدد من دون التشتت والقفز من موضوع إلى آخر. وعلى الأطفال أن يلعبوها، ليس من أجل اللعب والتفوق في هذه اللعبة فقط، بل يجب أن يكون الهدف هو خلق عادة التركيز على موضوع محدد فترة طويلة.

### ثانياً: اعرف ما ميولك واهتماماتك

هذا السبب لا يمكن إغفاله، فله دور كبير في نسيان ما نقرأه وتذكره، وقد نبّه إليه د. أحمد الأهواني، وأطلق عليه «الاهتمام». وفرق شاسع بين أن تكون مهتماً في مجال ما وتقرأ فيه بشغف، وبين أن يكون هذا المجال ليس من ضمن دائرة اهتمامك، بل ربما مفروض عليك.

ففي الحالة الأولى يكون التذكّر كثيراً، وفي الحالة الثانية نجد أننا لا نتذكّر إلا القليل. وقد أكد د. الأهواني أن الاهتمام من أكثر الأمور التي تساعدنا في سرعة الحفظ وقوة التعلم بل بثباته، ولذا نقلل النسيان.

وكلام د. الأهواني صحيح تماماً، فما أسهل قراءة أمور تهمننا وحفظها وتذكرها! وما أصعب وأشق قراءة أمور لا تهمننا وتذكرها! وصدق الشاعر الذي قال:

وأكثر نسياني لما لا يهمني

وإني لما أعنى به نذكورُ

ولا يخفى على كل من له اطلاع أن للجينات دوراً أيضاً في توجيه ميلنا إلى أمر عن آخر، ويُعرف بالاستعداد النفسي. فمهم جداً أن يعرف كل قارئ ما المجالات التي يميل إليها ويحب القراءة فيها، لأن ذلك سيساعده كثيراً في تذكر ما يقرأه وعدم نسيانه، وبذا سيساعده في أن يكون مبدعاً في هذا المجال بعد ذلك.

ثالثاً: تكرر القراءة

السبب الثالث المهم أيضاً في التغلب على النسيان، هو تكرر قراءة الكتاب. هذا أمر في غاية الأهمية. لابد من تكرر قراءة كل كتاب إذا أردنا أن تبقى أفكاره راسخة في ذاكرتنا. القراءة الأولى لا تكفي إطلاقاً لتذكر ما قرأناه. وكما مر معنا في بداية المقال إن المعلومات التي سمعناها أو قرأناها لا يتبقى منها بعد فترة سوى 20% فقط! (128)

في إحدى الرسائل التي أرسلتها الكاتبة الأمريكية «هيلين هانف» إلى متجر كتب مستعملة في لندن - استمرت ترسلهم مدة عشرين عاماً - تقول للبايع فرانك دويل: «أصدقائي غريبو الأطوار فيما يتعلق بالكتب. يقرؤون الكتب الأفضل مبيعاً، يقرؤونها بأسرع ما يمكنهم! أظنهم يُهملون الكثير من التفاصيل. وهم لا يكرّرون قراءة أي شيء مرة ثانية، وهذا سبب عدم تذكرهم لأي كلمة منها بعد سنة».

ما يعني هنا هو جملتها الأخيرة، أنهم لا يكرّرون قراءة أي شيء قرؤوه مرة ثانية، والنتيجة الحتمية لكل من فعل ذلك، أنه بعد سنة - غالباً - لن يتذكر مضمون الكتاب. وهذا الأمر صحيح لا يحتاج إثباته إلى دراسات وأبحاث، فقط ليز الواحد منا أغلفة الكتب التي قرأها مرة واحدة قبل سنة، ثم ليُتصفح فهرسها، سيلاحظ أنه لا يتذكر كل ما قرأه في هذه العناوين، ولو جرت أن يقرأ بعض الفصول لوجد - في الغالب - كأنه يقرأها أول مرة، أو أنه يتذكر النزر اليسير منها! هذا في سنة، فكيف بالكتب التي قرأناها قبل سنوات؟!!

أذكر في أحد اللقاءات مع د. طارق السويدان، أنه قال: إنه يقرأ قراءة منهجية في كل موضوع يرغب في التأليف فيه، وبعد أن ينتهي من التأليف ينتقل إلى التأليف في موضوع آخر، ويبدأ بقراءة الكتب المرتبطة بالموضوع، وبين أن كل قراءاته مرتبطة بالتأليف وعلل قائلًا: إن الكتاب الذي نقرأه قراءة عادية من دون تلخيص لهدف التأليف أو غير، بعد سنة لن يبقى شيء منه في ذاكرتنا!

ذكر د. محمد وفيق زين العابدين أن مجلة Consumer Research نشرت دراسة عام 2012م، توضّح فيها أن إعادة قراءة الكتاب توفر للفارئ فوائد صحية وعقلية لا توفرها له القراءة الأولى؛ لأن القراءة الثانية تسمح لعقله ووجدانه بالاتصال بشكل أعمق بالمادة المقروءة أكثر من القراءة الأولى، التي تجذب الانتباه بصورة أكبر إلى الأحداث والحبكة.

أورد د. أحمد الأهواني دراسات وتجارب لعلماء قاموا بها، تُبين أهمية التكرار، وأنه كلما زاد معدل التكرار صار معدل استنكارنا أكثر لما قمنا بتكراره. بل إنه وضع جداول محددة تبين أنه كلما كررنا أمر ما، زاد معدل رسوخه بمعدل كذا.

أذكر في أيام المرحلة الجامعية - وما زلت - أنني كنت أحب أن أكرّر سماع محاضرات الشيخ الفصيح علي بن عبد الخالق القرني - حفظه الله - وكنت لشدة تكراري سماعها أكاد أحفظها! فكنت حين أروي قصّة أو نصيحة سمعتها في أحد محاضراته وأقول لهم إن الشيخ ذكرها في المحاضرة الفلانية، يستغرب مني بعض الذين أيضاً استمعوا لمحاضراته، ويقولون: ما شاء الله! أنت تملك ذاكرة قوية في الحفظ، فنحن سمعناها ولا نذكر منها شيئاً الآن، ولا يعلمون أن الفرق في ذلك أنهم سمعوا المحاضرة مرة واحدة ثم تركوها ولم يعودوا إلى سماعها بعد ذلك، بينما كررتُ أنا سماعها عشرات وعشرات المرات حتى ترسخت تماماً في ذاكرتي.

إذن، كل هذا يؤكد أن تكرار قراءة الكتاب أو المقال يُرسخ كثيراً من مضمونه في أذهاننا، ويجعلنا نتأمل في مدى صحة كلام المؤلف، ثم يؤثر ما قرأناه في سلوكنا وأفكارنا. وكل قارئ جرب قراءة كتاب أكثر من مرة، لاحظ كيف أن القراءة الثانية رسخت لديه فهماً أعمق وتذكراً أكثر لمضمون الكتاب، فكيف بقراءة ثالثة ورابعة؟! وصدق من قال: «ما تكرر تقرر».

لماذا التكرار يُثبِت المعلومة؟

ما نقرؤه أول مرة من معلومات يتخزن بداية في الذاكرة القصيرة المدى، التي تثبت فيها المعلومات فترة محدودة، فإذا لم نُكرّر قراءة هذه المعلومات بعد ذلك فإنها تتلاشى من الذاكرة قصيرة المدى، أما لو كررنا قراءتها أكثر من مرة، فإننا بذلك ننقلها من الذاكرة قصيرة المدى إلى الذاكرة طويلة المدى.

ولا يمكننا الاحتفاظ بالمعلومات واسترجاعها إلا إذا انتقلت هذه المعلومات من الذاكرة قصيرة المدى إلى الذاكرة طويلة المدى، هكذا تقول الأبحاث والدراسات التي أوردها د. سانجاي جوبتا. فلا شيء يبقى طويلاً في ذاكرتنا من قراءة واحدة. لابد من التكرار.

قرأت بعض فصول كتاب يوهان هاري «تركيزنا المسلوب» مرات كثيرة، ولما كنت أناقش فيه أصدقائي الذين شجعتهم على قراءته وقرؤوا الكتاب كله مرة واحدة، وكان لم يمض على قراءتهم له سوى شهر أو شهرين على حد كثير، قالوا لي إنهم لا يذكرون هذا الكلام الذي أقوله ولا هذه القصص والدراسات، ولا يتذكرون أنهم مرّوا بها في الكتاب. هذا في شهرين فقط!

وفي المقابل أذكر في أكتوبر عام 2008م - كنت حينها في السادسة والعشرين من عمري - أنني قرأت سيرة د. جلال الأمين الرائعة «ماذا علمتني الحياة؟»، وأنهيتها من شدة إعجابي بها في عدة أيام. بعد مدة، ربما شهر أو شهران، تصفحت فهرس الكتاب من جديد، ووجدت في الفهرس عنوان «الكويت»، فتعجبت! هل تحدث المؤلف عن الكويت؟! الكويت؟! الكويت؟! الكويت!؟

تصفحت الفصل فوجدت أنني لا أذكر هذا الفصل إطلاقاً، ولم يمر بي أنه جلس في الكويت فترة. حينها شككت في عقلي - لاسيما أنني كنت شاباً غضباً - ولم يمض على قراءته سوى فترة قصيرة! لكن بعد عدة سنوات اتضح لي أن الأمر عادي جداً ولا يوجد أحد يحتفظ بذاكرته بكل ما قرأه تماماً من قراءة واحدة. لابد أن ينسى الكثير مما قرأه.

ذكر الأستاذ الفاضل المبدع أحمد العرفج - عامل المعرفة - في برنامجه الرائع «يا هلا بالعرفج» في فترة «مزايا الكتب» أنه قرأ كتابي «تبايرج القراءة»، ثلاث مرات كي يتحدث عنه ويُلخصه للمشاهدين، لذلك لم أتعجب من تلخيصه الإبداعي لكتابي وتذكره أهم أفكاره بشكل منظم وعميق، مع ذكر اقتباسات واستشهادات، وربطه بعض المواضيع بطريقة إبداعية؛ لأن هذه الإبداعات لا تخرج من قراءة واحدة إطلاقاً.

في كل مرة تأتيني دعوة إلى تقديم محاضرة لطلبة الجامعات والكليات حول القراءة وكيف أنها صنعت العظماء، أحتاج إلى الرجوع إلى قراءة كتابي «القراءة صناعة العظماء» وإعناش ذاكرتي بمضمونه، مع أنني أنا من ألقته وبحثت في كل شخصية وكتبت عنها، لكن بُعدنا عن أي أمر يجعلنا ننسى كثيراً من التفاصيل، ولابد من الرجوع إليه لإعناش ذاكرتنا، وإلا تطاول البعد ونسينا تماماً ما كتبناه.

من عادتني أيضاً أن أقوم بين فترة وأخرى بقراءة منشورتي التي كتبتها على صفحاتي في مواقع التواصل الاجتماعي على مدى سنوات سابقة، لأذكر نفسي بمضامينها وأنعش ذاكرتي، لأنني وجدت أنني أنسى الكثير من هذه المنشورات ومضامينها إذا مرّت فترة طويلة ولم أراجع لقراءة ما كتبت، مع أنني أنا من كتبتها، بل في أحيان كثيرة أتعجب من اقتباساتي وذكرتي أموراً قد نسينتها تماماً!

إذن، بالتكرار نقاوم نسيان مضمون الكتاب ونجد أننا نتذكر محتواه بمعدل أكبر قياساً على الكتاب الذي قرأناه مرة واحدة، وكلما زاد تكرار قراءتنا للكتاب أو الفصل، وجدنا أننا نتذكر أكثر، ونعوص بعمق أكبر في أفكار الكتاب أو الفصل.

كيف تكون طريقة التكرار؟

يذكر د. أحمد الأهواني أن أفضل طريقة للتكرار أن تكون موزعة على فترات مختلفة. فالأفضل أن نقرأ مثلاً المقال أو غيره، مرة كل يوم مدة سبعة أيام، من أن نقرأه سبع مرات في ليلة واحدة. وعلل د. الأهواني ذلك بأن تجارب علم النفس الخاصة بالتذكر والنسيان، أثبتت أن ما يحفظ<sup>[19]</sup> أول مرة يغيب في هوة النسيان مدة، من يوم إلى ثلاثة أيام، تختلف من فرد إلى آخر، ثم يظهر بعد ذلك، وتسمى هذه المرحلة هوة النسيان أو فترة النسيان. وعلل السبب في ذلك أن العقل يعمل لا شعورياً، فيربط ما حصله بجملة ما يحتويه الذهن من معلومات، وهذا الأمر يحتاج إلى فترة حتى يستقر في عقولنا ما اكتسبناه.

أنواع التكرار

ينقسم تكرار القراءة إلى نوعين؛ النوع الأول هو تكرار قراءة الكتاب أو فصل من كتاب بهدف ترسيخ المعلومة وتثبيتها، والنوع الثاني هو تكرار القراءة في الموضوع نفسه. فمثلاً يرغب أحد القراء في قراءة كتب تتحدث عن كيفية زرع العادات الإيجابية وكيفية التخلص من العادات السيئة.

هنا، بإمكانه أن يقرأ كتاباً واحداً رئيساً في هذا الموضوع ويُعيد قراءته مرات حتى يترسخ المعلومة ويستطيع تطبيق ما قرأه، أو بإمكانه أن يقرأ عدة كتب مهمة في هذا الموضوع، كلما انتهى من قراءة كتاب انتقل إلى آخر. القراءة في الموضوع نفسه تعطينا فهماً أشمل للموضوع، مع رسوخ بعض المعلومات التي نجدتها تتكرر في أكثر من كتاب. فكل من يقرأ في الموضوع نفسه لابد أن يجد تكرار بعض المعلومات والأفكار.

قد يسأل أحدهم: أي الطريقتين في التكرار أفضل؟ والجواب: ليس هناك طريقة أفضل. كلا الطريقتين لا غني عنهما للقاء، ولكل نوع فائدته، ولكن هناك أوقات وحالات يُفضل فيها طريقة على الأخرى. فمن يرغب في فهم باب من أبواب العلم، كالفقه وغيره، عليه أن يأخذ كتاباً يكون عمدة في بابيه في هذا العلم، وعليه أن يُكرر قراءته ودراسته. فهنا تكرار قراءة الكتاب في هذا الموضوع - لاسيما في البدايات - يكون أفضل من قراءة كتب كثيرة في الموضوع نفسه.

ومن يرغب في فهم موضوع ما أو قضية معينة ومعرفة جذورها المتشعبة، أو من يبحث في مسألة ما، فهنا قراءة كتب كثيرة في الموضوع أفضل من قراءة كتاب واحد وإن كان شاملاً، لأن البحث يتطلب من الباحث أن يلم بأطراف الموضوع بطريقة شاملة، وهذا لا يكون إلا بقراءة كتب كثيرة في الموضوع نفسه.

ونقطة مهمة أخرى، هو أنه ليس هناك تعارض بين الطريقتين. بإمكان القارئ أحياناً أن يفعل الأمرين معاً، يقرأ كتاباً تصب في الموضوع نفسه، ويُكرر أيضاً - في الوقت نفسه - قراءة الكتاب الأهم من بينها أكثر من مرة.

إذن، نوع التكرار يُحدده القارئ من خلال طريقة دراسته للموضوع، وما يرغب هو في الحصول عليه من قراءته.

أشعر بملل عند تكرار القراءة

بعض القراء قد يقول: لدي مشكلة. أنا مؤمن بأهمية تكرار الكتاب الجيد، الذي أُرغب في تذكر مضمونه، لكنني لا أستطيع أن أكرّر قراءة كتاب قرأته سابقاً حتى لو أعجبني! لأنني أشعر بأنني أقرأ شيئاً مكرراً لذلك أصاب بالملل، وأفضل قراءة كتاب آخر عوضاً عن إعادة قراءة كتاب قرأته. فما الحل؟

أقول: إن هذا الأمر يُصيب الكثير من القراء، وهو أمر شائع بينهم كثيراً. والجواب عن هذا السؤال يُجده القارئ بنفسه، فهو يعرف لماذا يقرأ؟ فإن كان يقرأ للتسلية والمتعة، فلا يُكره نفسه على إعادة قراءة الكتاب إذا وجد أن الملل يُصيبه حين يُعيد القراءة، وخشية أن يجعله هذا الأمر ينفّر من القراءة نفوراً تاماً.

لكن، إن كان القارئ يقرأ للاستفادة في موضوع والبحث فيه، ومحاولة تطبيقه في حياته، فهنا يحتاج أن يُكرّر القراءة. ولكن كيف وهو لا يجد قبولاً في ذلك؟

هنا عليه أن يخادع نفسه ويجعلها تتقبل فكرة قراءة كتاب مرة أخرى، وذلك من خلال توجيه رسائل إيجابية لعقله، بأن قراءة الكتاب مرة ثانية ستُظهر لها جوانب جديدة لم يكن منتبهاً إليها، وأنها ليست ضياعاً للوقت، وأن الملل سيزول عند المضي قدماً في القراءة. وهكذا، حتى يجد نفسه تطويعه على إعادة قراءة الكتاب.

ولعلّ تكرار القراءة في الموضوع نفسه، مفيد لمن يُصابون بالملل من تكرار قراءة الكتاب نفسه.

## رابعاً: التلخيص وتدوين الملاحظات

السبب الرابع الذي يجعلنا نقاوم نسيان ما نقرأه، هو تلخيص أي كتاب نرغب في الاحتفاظ بما ورد فيه من أفكار ومعلومات، وأيضاً تدوين أهم المقولات التي وردت في الكتاب. والتلخيص دوره قوي في ترسيخ المعلومات، لأننا حينما نحاول تلخيص أهم أفكار الكتاب أو الفصل، نقرأ بتركيز عالٍ ونحاول الانتباه إلى أهم المعلومات الواردة، بخلاف الأمر حين نقرأ الكتاب قراءة عابرة، حيث نمرر العينين على صفحات الكتاب، وربما لا نتوقف بين كل فصل وفصل لنستذكر أهم المعلومات التي قرأناها، بل نواصل القراءة رغبة في الانتهاء من الكتاب.

يذكر الكاتب محمد المرزوقي أنه مرّ بفترة، كان يقرأ الكتب وينسأه بعد فترة وجيزة من قراءته، ويشعر كأنه لم يقرأه. وظن أن ذاكرته بها شيء، وكان يتعجب من نسيانه ما يقرأه! يقول المرزوقي: إنه بعد ذلك خطرت له فكرة، وهي أن يقوم بتلخيص كل كتاب قرأه، والعودة إلى قراءة الملخصات كلما رغب في تذكر محتويات تلك الكتب.

يقول المرزوقي: إن الفكرة جاءت في الفترة نفسها التي نشأ فيها تطبيق Goodreads. فقرر استخدامه كأرشيف يضع فيه ملخصات للكتب وتقييمها كي يحارب النسيان. يقول: إن عدد المتابعين له في التطبيق قد ازداد، لأن ما يكتبه كان يعجبهم، حتى إنه بعد فترة استخدم التطبيق، ليس فقط لوضع الملخصات، بل لترك انطباعه وآرائه حول الكتاب ومشاركة القراء بذلك.

كل من لخص كتاباً قرأه، ودون أهم ما ورد فيه من أفكار ومقولات، سيجد أنه يتذكر مضمون الكتاب أكثر من كتاب لم يلخصه. كما أنّ من أهم الفوائد التي نجنيها من كتابة الملخصات، أنها تجعلنا نتذكر ما قرأناه في الكتب كلما رجعنا إلى قراءتها، وبدا نتعش ذاكرتنا ونستذكر كثيراً من مضمون الكتاب. وقد مرّ معنا في بداية المقال قصة د. عمر الأشقر مع الشيخين ابن باز والألباني – رحمهم الله جميعاً – وفائدة تدوين الشيء، للرجوع إليه خوف نسيانه.

يقول الكاتب «خيسوس مارتشامالو غارثيا»: إن الشاعر والناقد الفرنسي «ستيفان مالارمييه» كان يُعاني نسيان ما قرأه، مما يجعله يُعيد قراءة كتاب كان قد قرأه سابقاً، فاتخذ «مالارمييه» في لحظة من حياته قراراً بأن يكتب في نهاية كل كتاب قرأه رأيه ونبذة قصيرة عنه، وذلك تجنباً من أن يُعيد قراءته. التلخيص وتدوين آرائنا حول كتاب قرأناه، يُعشّ ذاكرتنا فيذكرنا بمضمون الكتاب.

مر معنا في أول المقال كلام الطبيب سامي بن مشوح أنه كان يقرأ كثيراً. وفي مرة من المرات وقع اختيار القراءة على كتاب ظن أنه لم يقرأه من قبل، فوجد وهو يتصفح أنه قد قرأه سابقاً، ومن حينها اتخذ قراراً في قراءته أن يكتب يومياً ما قرأه في ذلك اليوم، سواء أكان عن الكاتب أم الكتاب، أم اقتباساً من الكتاب أو تقييماً أو حتى تلخيصاً له، والسبب في ذلك ليستطيع الرجوع إلى ما كتبه ويُعشّ ذاكرته ولا يُصبح ما قرأه في طي النسيان.

في بداية كتابه «أراك على القمة» ينصح المدرب الشهير والكاتب الأمريكي «زيج زيجلار» أنك إذا رغب في الاستفادة من كتابه وتكون قارئاً فاعلاً ونشطاً، لا قارئاً سلبياً، أن تقوم بتدوين أهم النقاط والأفكار التي شدت في الكتاب في مفكرة خاصة بك، لتستطيع العودة إليها ومراجعتها. وعمل «زيجلا» قائلاً: إن هذا الأمر في غاية الأهمية، لأن تكرار عرض المعلومة يجعلنا أكثر تذكرًا لها، ثم أكثر احتمالاً للعمل بها.

ينصح د. عبد الكريم بكّار فيقول: «لا تقرأ في كتاب مهم إلا أمامك ورقة وقلم لتسجيل الأفكار والمعلومات الجديدة التي تعثر عليها. بعد مدة ينسى الإنسان معظم ما قرأه، ويبقى له كل ما كتبه». نصيحة صحيحة وشميلة.

## كيف أقوم بالتلخيص؟

قد يسأل أحدهم: كيف أقوم بالتلخيص؟ والجواب: إن هناك عدة طرائق للتلخيص، والقارئ يأخذ الطريقة التي تلائمهم. بعضهم يقوم بالتلخيص عن طريق الكتابة على الصفحات الأولى أو الأخيرة من الكتاب، حيث يكتب أهم الأفكار التي عالجه الكتاب، مع ذكر أرقام الصفحات. وهذه الطريقة مثلاً ينتهجها الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي الشهير «أندريه موروا» إذ يقول: إنه لا يقرأ إلا والقلم في يده، ويكتب في الصفحة الأولى أو الأخيرة عدة عبارات تُشير إلى الموضوعات الأساسية التي عالجه الكتاب، ويكتب تحت كل عبارة أرقام الصفحات التي يرغب في الرجوع إليها وقت الحاجة إليها، فلا يضطر بذلك إلى قراءة الكتاب من جديد. وعمل «أندريه موروا» السبب في أن يكون لدى القارئ قلم لكتابة أهم أفكار الكتاب، بأنه لا أحد يستطيع أن يستذكر كل ما قرأه، إلا من يملك ذاكرة جيّارة تحتفظ بكل ما يقرأه! ولا اعتقد أنه يوجد قارئ بهذا الوصف إلا حالات معينة هي في حكم النادر، فكل قارئ ينسى ما قرأه بعد فترة، والملخصات تُعشّ ذاكرتنا بتذكر مضمون الكتاب.

هناك صنف آخر – وأنا أنتمي لهذا الصنف – حيث إننا لا نُحب أن نضع علامات ولا أن نكتب على كتبنا، نحبه أن تكون نظيفة كما هي، ونلخص ملاحظتنا في دفاتر خاصة أو في هواتفنا الذكية. وبالنسبة إليّ أقوم بكتابة الملخص في هاتفي الذكي، لأن الهاتف يكون دائماً معي، أستطيع قراءة ما لخصته من كتب في أي وقت والاستفادة منه.

فكل كتاب أقرأه – كما ذكرت في «شجون القراء» – أصنع له ملفين باسمه؛ الملف الأول أدون فيه أهم الأفكار التي وردت فيه وأهم الموضوعات التي تطرق إليها الكتاب عبر فصوله، والملف الثاني أكتب فيه المقولات والاستشهادات التي شدتني، للاستفادة منها وتوظيفها لاحقاً في كتيبي أو منشوراتي التي أنشرها على صفحتاتي في مواقع التواصل الاجتماعي. كما أنني أقرأ بين فترة وأخرى هذه الملخصات لإنعاش ذاكرتي بما قرأته.

إن، التلخيص ليس له طريقة واحدة كما ذكرت. هناك عدة طرق ذكرها المختصون، وكل قارئ يأخذ ما يراه ملائماً له، ولا مانع أن يجرب القارئ بداية عدة طرق ويتنقل بينها، بل مطلوب منه أن يفعل ذلك حتى يصل إلى الطريقة التي يراها أكثر نفعاً وإفادة له. لكن الأهم أن يعود القارئ نفسه على تلخيص الكتب المهمة التي قرأها؛ لأنه سيسفيد من هذه الملخصات لاحقاً، وسيعرف قيمتها في قادم الأيام.

التلخيص يُضيق وقتي!

قد يقول قائل: التلخيص يحتاج إلى جهد ووقت، وبذا يُضيع وقت القراءة الذي بإمكانني أن أقرأ فيه كتاباً آخر! أقول: نعم، التلخيص لمن لم يعتد عليه يراه أمراً شاقاً ويأخذ الكثير من الوقت، وقد وقع لي – في بداية انتهاجي لتلخيص الكتب التي أقرأها – مثل هذه الأفكار، حيث كنتُ أتهم الكتب التهاماً، ولما قررت أن ألخص الكتب التي أقرأها وأدونها، وذلك كي أستطيع الرجوع إليها فيما بعد والاستفادة منها، وجدت أن الأمر بدايةً صعبٌ، إضافة إلى أنه يأخذ وقتاً كثيراً أراه شيئاً لقرءاء كتاب آخر.

ولأنني اعتدتُ على القراءة سنوات، أصبحت قراءة كتاب ما أمراً سهلاً جداً بفضل الله سبحانه، لكن أن تبدأ بكتب وتلخص – بقلمك أو بهاتفك الذكي – فإنك تجد الأمر بدايةً صعباً جداً، لأنك بدأت تعمل عقلك في محاولة تلخيص فكرة الفصل أو الأفكار التي تحدثت عنها الكتاب، ثم إنك لم تعتد أن تنقل الأفكار من عقلك إلى الورقة أو الشاشة، فبالتأكيد ستحتاج إلى وقت طويل بداية الأمر.

إذا جاهدت وظللتُ مستمرّاً على ذلك، فستجد أن تلخيص الكتاب صار أمراً سهلاً بل ممتعاً، وستجد أنك عوّدت عقلك على اقتناص أهم الأفكار والاستشادات التي تمر عليها في قراءتك. وستصل قلمك بهذا الفعل، فتجد أن لغتك وأسلوبك في التلخيص قد ارتقى كثيراً، إضافة إلى أنك ستجني فوائد كثيرة تعرف قيمتها مستقبلاً حين تحتاج إلى هذه المعلومات والأفكار التي دونتها، بدلاً من أن تجد صعوبة في محاولة عصر مخك لتذكر أين قرأت هذه الفكرة أو المقولة.

ولمن يقول: إن التلخيص يُضيع عليه الوقت، فهذا الاعتقاد غير صحيح، إذ ليست العبارة التهاماً الكتب وراء بعضها هكذا، من دون محاولة إيجاد طرق لاستذكار أهم ما ورد فيها. الفرض هو الاستفادة من قراءتنا للكتب بطريقة صحيحة. فما فائدة قراءة عشرة كتب في الشهر، ثم بعد عدة شهور لا نذكر أهم ما ورد فيها، وليس لدينا تلخيص نستطيع الرجوع إليه لاستذكارها؟ هذا سيجعلنا مضطربين إلى أن نرجع إلى قراءة هذه الكتب من جديد، وفي هذا التصرف هدرٌ لوقت ثمين جداً.

ألم يكن من الأفضل أن نقرأ خمسة كتب مع تلخيصها تلخيصاً جيداً، لنستطيع الرجوع إلى هذه الملخصات واستذكارها والاستفادة منها لاحقاً. والعبارة – كما أكرر دائماً – ليست بكثرة قراءة الكتب، فالكتب كثيرة جداً، ومهما حاولنا أن نقرأ ليل نهار لن نستطيع أن نقرأ كل الكتب الجيدة التي نطمح إلى قراءتها. يقول د. عبد الجبار الرفاعي: «كل يوم تصيف دور النشر أكداً من الكتب في مختلف الأدب والفنون وحقول المعرفة، لا يكفي العمر مهما امتد لمطالعة ما هو جيد منها، فكيف يصنّف الإنسان العمر بكتب بائسة؟ كما يعمل الإنسان على انتقاء أحسن الأشياء من كل شيء، عليه أن ينتقي الكتاب الذي هو منبعٌ أساس في بناء وعيه بمهارة».

ولنعرف صعوبة قراءة عُشر ما يُنشر من كتب جديدة تصدر، أسوق لك الخبر الآتي؛ يقول الكاتب «خيسوس مارتشامالو غارثيا»: إنه طوال المئة عام التي تلت اختراع الطباعة، نُشر ما يقرب من خمسة وثلاثين ألف عنوان، أي إن 53 عنواناً كانت تصدر كل سنة. وهذا عدد محدود جداً، وكان كل قارئ هم شغوف بالكتب يستطيع أن يكون موسوعياً ويمتلك كل كتب العالم.

لكن الأمر خرج عن السيطرة بعد ذلك، إذ صدر خلال الأعوام الخمسين الأخيرة 36 مليون كتاب! يقول «خيسوس»: تنشر البشرية عنواناً جديداً كل نصف دقيقة، أي أكثر من 2800 كتاب في اليوم! فحان القراء – كما يقول «خيسوس» – لا نفقتي إلا جزءاً هزيباً ضئيلاً صغيراً لا يكاد يُذكر مما يُنشر!

يطرح «خيسوس» مسألة حسابية بسيطة، فيقول: لو قرأ الواحد منا كتاباً كل أسبوع، لما تجاوز عدد الكتب التي يستطيع أن يقرأها خلال عقد واحد، خمسمئة كتاب! أي ألف كتاب خلال عقدين من الزمان! وهذا عدد ضئيل جداً!

إذن، محاولة قراءة أكبر عدد من الكتب من دون الاستفادة منها، لا يجعلنا نجني الفائدة المرجوة من قراءتها. العبارة بالاستفادة مما قرأناه في الكتب، وليس بعدد الكتب التي قرأناها.

ولعل في تلخيصنا للكتب جواً لمن سأل كيف سأربط معلومات قراءتها في كتاب، مع معلومات أخرى قرأتها في كتاب آخر، وأوازن بينها، وأنا أنسى ما قرأته؟! فالمُلخصات ستجعلنا نتذكر كثيراً ما قرأناه من الأفكار نفسها في عدة كتب مختلفة، وحينها نسجد أننا نستطيع الربط والموازنة والتقدير والتحليل والترجيح.

### قد ينتفع بملخصاتك غيرك

نقطة مهمة أخرى هنا؛ إن كتابة الملخصات قد لا تتفعل أنت فقط بل قد تنتفع غيرك، وقد تصدر كتباً بسببها ينتفع منها قراء كثيرون. وهنا أذكر – على سبيل المثال لا الحصر – الكاتبين الرائعين «مودة الغرباء» و«الأنس بالراحلين» للرائع الكاتب الجميل «محمد عبد العزيز الهجين»، إذ إنه نشر ملخصاته عن السيرة الذاتية التي قرأها، وذكر انطباعاته وأهم ما تميزت به، مع إضافات رائعة. وقد انتفع بهذه الملخصات التي نُشرت في الكتابين قراءً أكثر، وسعى كثير منهم إلى اقتناء الكتب التي تحدثت عنها المؤلف.

وقد ذكر الهجين في مقدمة كتابه «مودة الغرباء» أن هذا الكتاب هو حصيلة قراءة ست سنوات في السيرة الذاتية والمذكرات، إذ كان كلما استهوته سيرة شخصية معينة كتب عنها، ثم جمع ما كتبه عن هذه الشخصيات من ملخصاته في كتابه هذا، ثم أصدر كتابه الثاني كذلك بالهجوم نفسه. ولعله يتبعه بكتاب ثالث ورابع وخامس.

فالمُلخصات التي يرى البعض أنها قد تضعيف وقتهم في كتابتها، قد ينتفع بها غيرهم من القراء، ويكونوا بذلك قد ساهموا في تحفيز غيرهم على قراءة هذه الكتب، فضلاً عن أنه سيكون لهم اسم معروف بين المهتمين بمثل هذه المواضيع.

### هل تُثقي كتاباً الملخصات عن تكرار قراءة الكتاب؟

هنا موضوع ذكرته في كتابي «شجون القراء»، ولكن لا بأس من تأكيده لأهميته، فقد يقول أحدهم بما أني ألخص الكتاب فلا أحتاج أن أكرر قراءته، يكفيني الملخص الذي كتبتُه عنه. وأقول: نعم، هذا يصلح في كتب كثيرة تكفيها قراءة مرة واحدة، وترجع لاستذكارها بقراءة الملخص الذي كتبتُه عنها، لكن هناك كتب لا تستطيع أن تفهمها بعمق وتتسربل أهم أفكارها من دون قراءتها مرات ومرات، حيث نجد في كل قراءة جديدة، شيئاً جديداً وفهماً أعمق نُضيفه إلى التلخيص.

إذن، تلخيص الكتاب مهم لاستذكارها، لكنه لا يُعني أحياناً عن تكرار قراءة الكتب العميقة والمتشعبة في الأفكار، أو العمدة في بابها، ولا تعارض بين تكرار قراءة الكتاب وتلخيصها.

### خامساً: الحديث والمناقشة في الكتب التي نقرأها

هناك سبب آخر يساعدنا في مقاومة نسيان ما قرأناه، ألا وهو الحديث عن الكتب التي قرأناها مع الأقران والأصدقاء والمزلاء، والمشاركة في المجموعات القرائية التي تتناقش مضامين الكتب. فكلما ناقشنا ما قرأناه، وجدنا أننا نستذكر الكثير من أفكار الكتاب ومضمونه، بل تظهر لنا استنتاجات جديدة لم ننتبه إليها في أثناء قراءتنا للكتاب.

في عام 2012م قرأتُ في كتاب «خواطر قرآنية» للدكتور عمرو خالد معلومة انتفعت بها كثيراً، ذكرها وهو يتحدث عن أهمية الدعوة إلى الله وفانديتها، فقال: إنه توجد منطقة في مخ الإنسان تسمى منطقة القناعات، وهناك منطقة أبعد وأقوى هي منطقة الهوية والانتماء، وكما تنتقل فكرة في المخ من منطقة القناعات إلى منطقة الهوية والانتماء لابد أن نتحدث عنها؛ لأن الحديث عنها يُقوي انتمائنا للفكرة ويثبتنا عليها.

والأمر تماماً يحدث مع القراءة، فالكتب التي نكثر الحديث عنها ومناقشتها، تثبت أفكارها في عقولنا ولا ننساها، بخلاف الكتاب الذي قرأناه ولم نتناقص أفكاره. يقول د. عبد الكريم بكار: «إن عثر الواحد منا على فكرة عظيمة في أثناء قراءته، فليستخدمها في أحاديثه وكتاباته حتى تُصبح ضمن منظومة التفكير لديه».

ولعل المناقشة والحديث عن الكتب هو من أهم فوائد مجموعات القراءة، حيث يختارون قراء كتاب معين، ثم يُحدّدون وقتاً معيناً لمناقشته، وفي النقاش يذكر كل شخص مشارك أهم الأفكار التي ظهرت له من قراءته للكتاب ويدور النقاش حولها. وقد ذكر لي قراء كثيرون أنهم استفادوا من هذه المجموعات، وخرجوا بأفكار كثيرة حول الكتاب لم يكونوا منبتهين إليها في أثناء قراءتهم له.

لمجموعات القراءة فوائد؛ منها أنها تجعلك تعلم أنك لست وحدك من يقرأ، بل هناك أشخاص كثيرون شغفون بالقراءة أمثالك، وهذا بحد ذاته يُعطيك دافعاً إلى الاستمرارية، ويجعلك ملتصقاً بالكتب لا تهجرها بدعوة أنه لم يعد أحد يقرأ.

يذكر الصديق الكاتب د. ساجد العبدلي أن المجموعات القرائية كانت واحدة من المحركات الأساسية التي أبقتة لصيقاً بالكتب والقراءة طوال حياته، ففي كل وقت كان هناك كتاب في يده، في حله وترحاله، في البيت وخارجه، وفي العمل، وفي أوقات الفراغ.

### ملاحظات حول مجموعات القراءة

حتى الآن لم أُنترك في نقاش كتاب معين مع مجموعة قرائية، لكنني شاركت عدة مرات في حلقة نقاشية مع مجموعة قرائية حول بعض كتبتي، منها كتاب «القراءة صنعة العظما». وكما أعجبتني التفاعل من المشاركين، وكل شخص يبرز فكرة مختلفة عن الكتاب وأهم ما استفاد منه! وبالتأكيد الذين قرؤوا كتابي وشاركوا في الجلسة القرائية سينتسخ ما قرؤوه في عقولهم أكثر ممن قرأه ولم يتحدث عنه ويناقشه.

إذن، فكرة المجموعات القرائية جميلة، لكن هنا تنبيه إلى أمرين حولها؛ الأول هو نوعية اختيار الكتب، فبعض المجموعات تستنزف وقت القارئ باختيار كتب لا ترقى إلى مستواه، كتب تجاوزها القارئ منذ فترة بعيدة. وهذا إضاعة لوقت القارئ.

والأمر الثاني، أن بعض القراء يعتمد على هذا المجموعات اعتماداً كلياً، حيث لا يقرأ إلا الكتب التي يُحددها مؤسسو المجموعة، وهذا الأمر لا يصنع قارئاً خراً، إذ يتشكل عقله مما يُحدده له أصحاب هذه المجموعات من كتب.

ينبغي على القارئ أن يقرأ بنفسه ويكتشف كتباً جديدة تناسبه، يزور المكتبات ومعارض الكتب ويطلع على الكتب المعروضة، ويختار حسب ذائقته، فالكتب للعقل كالطعام للمعدة كما قالوا، وما يلائمك قد لا يلائم غيرك. حينها لا مانع أن يشارك القارئ في المجموعات القرائية إذا وجد أن الكتاب المُحدّد ملائم له ولم يتجاوز مضمونه وأفكاره منذ فترة طويلة.

أين هي المجموعات القرائية؟

قد يقول قائل: لكن أين هي المجموعات القرائية؟ لقد توقف كثير منها ولم يُكتب لها الاستمرار. وأقول: نعم، مجموعات كثيرة بدأت بحماسة وشغف ولم تلبث بعد زمن إلا أن توقفت تماماً. وقد سألت بعض الإخوة الذين كانوا من مؤسسي مثل هذه المجموعات ومديرها: لماذا توقفت؟ فأجابوني بأن التفاعل كان ينقص شهراً عن شهر، حتى توقفتنا تماماً بعد ذلك، لأنه لم يعد أحد يحضر.

وهنا أقول: لا مانع - إن كنت متحمساً للقراءة، ولديك فقط عدة أصدقاء يشاطرونك هذا الشغف - أن تُنشئوا مجموعة قرائية بعددكم المحدود. فمن يدرني؟ ربما حماسكم هذا يُعيد من جديد الحماسة للآخرين في أن يُشاركوكم في هذه المجموعة، فتفكر المجموعة يوماً بعد يوم، أو تكونون أنتم السبب في إشعال حماسة الكثيرين من جديد، فينشئون مجموعات قرائية، أو يُحيون ما توقف منها ويُعيدونها إلى الساحة الثقافية من جديد، فالحماسة تعدي كما قالوا.

ولمزيد حول كيفية تأسيس المجموعات القرائية وكيفية إدارتها، أنصح بالاطلاع على كتاب «اقرأ» للصديق الكاتب د. ساجد العبدلي، فقد تحدّث عن هذه الموضوع بالتفصيل بدءاً من كيفية إنشائها، والاستعداد لها، والعراقل التي قد تواجه مؤسسيها، إلى كيفية إدارة الجلسة والخروج بأقصى فائدة. كتاب مهم في هذا الجانب.

### سادساً: التدريس والتأليف

هذان سببان آخران مهمان أيضاً، وهما لا يُساعدنا فقط في عدم نسيان ما قرأناه، بل يجعلاننا متعمقين في الموضوع بشكل كبير، كما ذكر المختصون، وأقصد بهما: التأليف في الموضوع، أو التدريس فيه.

كل موضوع ترغب في فهمه بعمق، أكتب فيه - أو درس فيه، وستجد أنك أصبحت أكثر استيعاباً للموضوع، والمعلومات التي حصلت عليها أكثر رسوخاً، كما ذكر د. أحمد الطيار. وهذا منهج د. طارق السويدان حفظه الله، إذ إنه كلما أراد أن يفهم عن قضية معينة أو يعرف شخصية معينة، بحث فيها وألف عنها، ولأنه لا يقرأ عن القضية أو الشخصية قراءة عابرة بل يبحث ويكتب عنها، فإنه لا ينسى بعد ذلك تفاصيل القضية أو الشخصية كما قد ينساه من قرأ قراءة عادية.

يذكر الكاتب زهران الصرامي في سيرته «البحث عن وطن» أنه في أثناء سجنه قرّر أن يتعلّم اللغة الإنكليزية، واتّضح له أنه لا يستطيع فهم قواعد اللغة الإنكليزية إلا بفهم قواعد اللغة العربية أولاً، فبدأ بدراسة اللغة العربية من خلال كتاب «شرح ابن عقيل» الذي حصل عليه بطريقة تدل على حرصه الشديد على التعلّم، ودرسه مدة سنتين حتى استوعب قواعد اللغة العربية، ثم اتّجه بعد ذلك إلى دراسة قواعد اللغة الإنكليزية.

واعتكف كذلك على دراسة قواعد اللغة الإنكليزية مع زميل له آخر مدة تقارب السنتين أيضاً. وبعد هذا الاعتكاف الطويل في تعلّم اللغتين، تحوّل زهران من تلميذ إلى معلّم يُعلّم كثيراً من رفاقه في السجن. يقول زهران: إنه بعد أن درّس رفاقه وجد أن المعلومات التي درسها ترسخت في ذهنه بفعل التدريس، وأن الحكمة التي تقول: «علم علمك من يجهد؛ فإن فعلت ذلك، حفظت ما علمت، وعلمت ما جهلت» صحيحة تماماً.

ذكرت في كتابي «عزاءات القراءة» و«تباريح القراءة» أنه على الرغم من اهتمامي بموضوع القراءة منذ سنوات طويلة، فإني لم أفهم الموضوع بعمق وأستوعبه إلا لما بدأت التأليف فيه، حيث اتضح لي أفكار واستنتاجات لم تخطر في بالي لما كنت أقرأ قراءة عادية. وكلما تعمقت أكثر ظهرت لي أشياء جديدة، لذلك صدر لي - بفضل الله - حتى الآن خمسة كتب محورها كلها القراءة ومشتقاتها.

### سابعاً: خاطب نفسك ببايجابية

الأمر السابع أيضاً مهم وينبغي الانتباه له جيداً، لأننا أحياناً نكون - للأسف - عوناً على أنفسنا - من دون أن نشعر - في مساعدتها في عدم تذكر ما قرأناه، وذلك من خلال الرسائل السلبية التي نخاطب بها أنفسنا، فبعض القراء يقول عن نفسه: إني لا أستطيع تذكر شيء قرأته... إني أنسى بسرعة ما قرأته... إن أستطيع تذكر هذه المعلومات... ذاكرتي ضعيفة... وغيرها من الرسائل السلبية التي نخاطب بها أنفسنا، والتي أثبتت الدراسات والأبحاث أن لها تأثيراً كبيراً في سلوكياتنا وتصرفاتنا.

فكل ما نحاطب به أنفسنا يُؤثر فينا، حيث يبدأ عقلنا في تصديق ما قلناه عن أنفسنا وإن لم يكن صحيحاً، ثم نبدأ التصرف وفقاً لما رسمناه وقلناه عن أنفسنا. فمن يقول عن نفسه إنه لا يمكن أن يتذكر ما قرأه، سيجد فعلاً أنه لا يتذكر ما قرأه. لكن من يخاطب نفسه برسائل إيجابية ويعززها، ويقول إنه يمكن أن يتذكر ما قرأه من كتب، وإن عقله يستوعب ويحفظ المعلومة، فهذا يُساعد نفسه كثيراً ويُعطيها جرعة إيجابية ويعززها في حفظ وتذكر ما قرأه. وسيجد فعلاً أنه يتذكر كثيراً مما قرأه بعد ذلك. فلا يخفى على أحد العامل النفسي وتأثيره في أفكارنا وتصرفاتنا.

فينبغي ألا نكون ضد أنفسنا ونوجه لها رسائل سلبية من دون أن نعي ذلك، فننبتطها ونحبطها ونضعف عزيمتها، بل ينبغي أن نكون عوناً لها لكن عوناً لنا.

## ثامناً: مارس الرياضة

قد يقول قائل وما علاقة الرياضة بالتذكر والسيان فيما نقرأه؟! وأنا أحد هؤلاء الأشخاص الذي كان لديه هذا الاعتقاد، ولكن اتضح لي أن للرياضة علاقة وطيدة جداً في ذلك.

بالنسبة لي ولكل من يعرفني عن قرب، يعلم أن الرياضة في حياتي هي آخر اهتماماتي. فلا أمارسها إلا في أوقات متباعدة، حتى المشي تراخيتُ فيه كثيراً ولم أكن الجأ إليه إلا لجلب أفكار وقت البحث والتأليف! والأدهى أنه كان لدي اعتقاد خاطئ أن ممارسة الرياضة تُضيق علي وقت القراءة والبحث، وبخاصة أن وقت الفراغ لدي قليل، حيث يذهب أغلبه في ساعات العمل الطويلة، والحياة الأسرية والاجتماعية ووقت الراحة، وما يتبقى من الوقت هو نزر يسير أفضل أن أصرفه في القراءة والبحث.

وظللتُ هكذا حتى نهاية شهر ديسمبر من عام 2023م، حيث اضطرتت رغباً عني أن أمارس حمية غذائية وأمارس الرياضة للحفاظ على صحتي، وعدم وصولي إلى الأسوأ. حينها فجأة وجدتُ وقتاً لممارسة الرياضة لمدة ساعة من الزمان كل يوم! ومع ذلك لم يقل وقت القراءة لدي، بل صار تركيزي واستيعابي لما أقرأه أفضل، ووجدتُ أن هذه الساعة تعود بالفعل على صحتي ونفسي وقرائتي أكثر وأكثر.

في الوقت نفسه تقريباً قرأتُ كلاماً مهماً للدكتور سانجاي جوبتا - جراح أعصاب أمريكي مدة عشرين عاماً - أكد فيه أهمية ممارسة الرياضة لتحسين قدرات دماغنا. يقول د. سانجاي: إنه لطالما كان شخصاً مولعاً بالكتب، ولم يكن يعد الرياضة أكثر من مجرد وسيلة للحصول على اللياقة البدنية أو شكل من أشكال الترفيه، حتى بلغ الثلاثين من عمره، حين تبين له من خلال الدراسات والأبحاث أن ممارسة الرياضة وسيلة لتحسين الدماغ.

فلا تقتصر فوائد الرياضة - والكلام ما زال للدكتور سانجاي - على تحسين الهضم وعملية الأيض ولباقة الجسم وقوته وكثافة العظام، لكن الأمر أكبر من ذلك بكثير. فالرياضة تدعم استقرارنا العاطفي، وتشغل جيناتنا الذكية، وتبعد الاكتئاب والخرف، وتمنع المرض وتحافظ على الصحة، لاسيما إذا اخترنا الرياضة الملائمة لنا. كذلك تزيد ممارسة الرياضة من تقننا بأنفسنا، وتقديرنا لذاتنا.

يقول د. سانجاي: يمكنك أن تكون أكثر ذكاء بعد ساعة من التمرين من خلال تأثيرات الرياضة في الدماغ. وهذا حقيقة لا مجاز، حيث ستعزز ممارسة الرياضة دماغك بطرق تساعدك في التفكير بسرعة أكبر ووضوح وتركيز. ثم ينصحنا د. سانجاي أن نجرب ونخرج لنمشي بخطاً سريعة حول المبنى، ونلاحظ كيف أنه حينما نعود نشعر أن عقولنا صارت مفعمة بالحيوية، وأن لدينا المزيد من الطاقة الذهنية - حتى لو كنا نلهث من جراء المشي - ونشعر بمزيد من التقاول وقدرة أفضل على مواجهة التحديات.

## أضرار إهمال الرياضة

يذكر د. سانجاي أن هناك دراسات جديدة تظهر كل أسبوع توّضح فوائد التمارين الرياضية على الدماغ، حيثُ أوضحت أن كثرة الجلوس تُسبب ضمور الدماغ، أو الانكماش الفيزيائي له، مع زيادة خطر الإصابة بمرض الزهايمر وأنواع أخرى من الخرف في الوقت نفسه.

ويشكل عام أثبتت الدراسات أن قلة النشاط والحركة، تسبب الموت ضعف ما تسببه السمّة، حتى إن دراسات كثيرة تصف كثرة الجلوس بالتخين الجديد، وذلك لأن خطورته تشبه خطورة التدخين، وخَلصت الدراسات إلى هذه النتيجة المهمة وهي: «أن الجلوس فترات طويلة - أكثر من ثماني ساعات في اليوم من دون أي نشاط بدني - يمكن أن تقتلنا أو تؤدي إلى الوفاة المبكرة».

كيف يقتلنا كثرة الجلوس؟ يوضح د. سانجاي فيقول: إنه حينما نبقى من دون حركة، تتباطأ الدورة الدموية ويستخدم جسمنا كمية أقل من السكر في الدم، مما يؤدي إلى زيادة نسبة السكر في الدم. كما أن عدم الحركة يؤثر سلباً في الدهون في الدم والبروتين الدهني عالي الكثافة (الكوليسترول الجيد)، وضغط الدم الانبساطي وهرمون الشبع لبين (المسؤول عن إخبارنا متى نتوقف عن الأكل).

كما أن الجلوس يضع العضلات في حالة خمول حيث يتضائل نشاطها الكهربائي، مما يؤدي إلى الضمور والانهيار. كذلك يتوقف إنتاج ليباز البروتين الدهني، وهو الإنزيم الذي يكسر جزيئات الدهون في الدم، مما يؤدي إلى زيادة الدهون أيضاً. ومع انخفاض معدل عملية الأيض لدينا، نتوقف عن حرق العديد من السعرات الحرارية.

الحركة وممارسة الرياضة تُجنّبنا - بإذن الله - كل هذه الأمور. يقول د. سانجاي أظهرت دراسة أجرتها كلية الطب بجامعة «يوتا» عام 2015م، أن مجرد النهوض لممارسة نشاط خفيف مثل المشي لمدة دقيقتين كل ساعة، ارتبط بانخفاض احتمال نسبة الوفاة بنسبة 33%.

ولا يحتاج الواحد منا أن يُتذكر بأن الإنسان وإن كان يتكون من جسد وعقل وروح، إلا أن هذه الأجزاء مترابطة وتعمل مع بعضها البعض في اتساق عجيبي، وأي خلل يحدث في أحد هذه الجوانب يؤثر بالتأكيد في الجانبين الآخرين. إذن، الرياضة ليست ترفاً بل هي ضرورية جداً، ومن يُهمّلها فإنه يُعرض جسده وعقله لأمراض هو في غنى عنها.

## الرياضة والحياة متناغمة

عدّ العالم الاجتماعي والفيلسوف الفرنسي «فريدريك لونغور» ممارسة الرياضة واحداً من أهم الطرق في الحصول على حياة متناغمة، فهي وسيلة مهمة جداً في أن نحيا حياة هادئة رائعة، فقال في كلام جميل نقله بحدافير: «تعدّ الممارسة المنتظمة للنشاط الرياضي، بدءاً من المشي أو ركوب الدراجات، مفيدة للغاية. حين يكون الجسم في حالة حركة، لا يتجدد جسمنا ويحافظ على توازن جيد للوظائف الحيوية فحسب، بل نشعر أيضاً بمزيد من التناغم والهدوء والبهجة. لذلك فإن ممارسة النشاط الرياضي اليومي بوعي كامل، هو وسيلة ممتازة لتتمية الزخم الحيوي».

## بلزك وإهمال الرياضة

كلام د. سانجاي عن أهمية الرياضة وأن من يُهمّلها فإنه يُعرض صحته للخطر، ذكرني بالروائي الفرنسي الشهير «بلزك»، إذ قال الكاتب «جو كوينن» عنه إنه كان مهتماً لصحته، وكان يلتهم المحار والحلزون وفتائر الكريما بالشوكولاتة وكل ما يُوضع على طاولة الطعام وقت العشاء، كما أنه لم يمارس الرياضة قط، وكان يحمل نفسه على البقاء مستيقظاً طوال الليل عبر شرب كؤوس عديدة من القهوة، ولم يعن نفسه مطلقاً.

ماذا كانت النتيجة؟ يقول «جو كوين» لذلك لم تدم رحلة «بلزك» في هذه الحياة طويلاً، حيث أوقع جسمه قدراً كبيراً من الأذى إلى درجة أنه حين مات كانت أعضاؤه الداخلية أشبه بمن هم في الثمانين، في حين أنه لم يتجاوز الحادية والخمسين!

## الرياضة والدماغ

يقول د. سانجاي عن أهمية الرياضة للدماغ: «حين يسألني الناس ما الشيء الوحيد الأكثر أهمية الذي يمكنهم القيام به لتعزيز وظيفة دماغهم ومرونته تجاه المرض؟ أجيب بكلمة واحدة: الرياضة».

ولو سألت د. سانجاي لماذا قلت الرياضة نفسها وليس النظام الغذائي أو حل الكلمات المتقاطعة؟ لأجابه قائلاً: «التمارين الرياضية هي النشاط السلوكي الوحيد الذي ثبت علمياً أنه يؤدي إلى تأثيرات بيولوجية يمكن أن تساعد الدماغ».

يقول د. سانجاي: إن الدراسات والأبحاث أثبتت أن تأثير التمارين الرياضية في وظائف المخ مذهل للغاية، حتى إنه في أوائل عام 2018م نشرت الأكاديمية الأمريكية لطب الأعصاب إرشادات جديدة بشأن أولئك الذين يعانون اختلالاً معرفياً معتدلاً، وغالباً ما يكون بداية الخرف. وهذه الإرشادات قالت: «تشير دراسات مدتها ستة أشهر إلى أن ممارسة الرياضة مرتين في الأسبوع لها فائدة محتملة للإدراك في حالات الاختلال المعرفي المعتدل». وقد أوصت الأكاديمية بممارسة الرياضة لمن يعانون هذا النوع من الاختلال (20).

وهنا تنبيه مهم، وهو أن الرياضة لا تُؤتي ثمرتها المرجوة تماماً إلا حينها يمارسها الواحد منا بانتظام، ويكون له روتين معين في ذلك. أما ممارسة الرياضة عدة أيام ثم هجرها أسابيع، فإنها لا تصنع جسداً ولا دماغاً سليماً نشطاً.

إن، الرياضة تقوي أدمغتنا، وتُجنبنا خطر الإصابة بالخرف أو تُوخره كثيراً، وهذا يُساعدنا في تذكر ما قرأناه، بل إن الرياضة تُكسب عقولنا التفكير الإبداعي، وما أجمل ما قاله الرئيس «جون كينيدي»: «البلياقة البدنية ليست فقط واحدة من أهم مفاتيح الجسم السليم، بل هي أساس النشاط الفكري الديناميكي والإبداعي»!

لا شيء يخنقي

لا بد من توضيح هذا الأمر المهم، في أحيان كثيرة نعتقد أننا نسبنا ما قرأناه، لكن ما إن يحدث موقف معين أو ينطرق الحديث لموضوع معين، حتى نستذكر المعلومة التي قرأناها حول هذا الموضوع، ونستذكر كثيراً مما قرأناه حولها، فالمعلومة كاملة في عقولنا وكانت تحتاج إلى مؤثر ليُخرجها كما ذكرت ذلك في كتابي «شجون القراء».

في المثال الذي ذكرته عن نسياني لفصل «الكويت» من كتاب «ماذا علمتني الحياة؟» للدكتور جلال أمين، وكيف أنني تعجبتني أنني نسيت تفاصيل هذا الفصل تماماً ولا أذكر منه شيئاً. أقول: لو غيرت نظرتي عن الموقف ونظرت له نظرة إيجابية، فإني في المقابل لم أنس الكتاب كاملاً، احتفظتُ ذاكرتي بكثير من تفاصيله. ثم هل من المنطقي أن يقرأ الواحد منا كتاباً من 400 صفحة ويستذكر كل ما فيه كاملاً من قراءة واحدة؟! بالتأكيد لا. فالأمر عادي جداً لكنني في وقتها لم أكن أدرك هذه الحقيقة.

فلا تنزعج من نسيانك بعض الكتب التي قرأتها، فأنت وإن كنت تعتقد أنك لا تتذكر مضمونها، فإن الفائدة منها قد أتت على أشكال أخرى من دون أن تعي أو تشعر بذلك في كثير من الأحيان. فقد تكون أنتك على شكل تطوّر في لغتك وأسلوب كتاباتك، وسهولة تعبيرك عما يدور في نفسك. وقد تكون أنتك على شكل قناعات غيرتها لك قراءة تلك الكتب.

وقد تكون أنتك على شكل في توجيهك لأفعال أو اتجاهات أخرى لم تكن منتبهاً إليها من قبل. وقد تكون أنتك على شكل حبب إليك عادة جيدة كنت سابقاً تجد صعوبة في الاستمرار بها. وقد تكون أنتك على شكل جعلك أكثر هدوءاً وصبراً وأقل غضباً وأكثر تقبلاً لما لا يمكن تغييره من أمور ليست بيدك، وغيرها الكثير من الفوائد التي نجنيها من قراءتنا وإن نسبنا ما قرأناه وأصبحنا لا نذكره.

## هل للنسيان فوائد؟

هنا تساؤل مهم جداً: ألا يمكن أن يكون للنسيان فوائد؟ والإجابة: نعم، للنسيان فوائد كثيرة وإن كنا نراه غير ذلك. يقول د. سانجاي جوبتا أن للنسيان قيمة كبيرة، فلو تذكرنا كل ما يدخل إلى عقولنا، فإن تعمل عقولنا بصورة صحيحة، وسوف نتضائل قدرتنا على التفكير والتخيل الإبداعي. وستكون حياتنا اليومية صعبة. نعم، سوف نكون قادرين – والكلام للدكتور سانجاي – على تذكر القوائم الطويلة والاختبارات الكثيرة، لكننا سنكفح لفهم المفاهيم المجردة، بل حتى التعرف إلى الوجوه.

ويقول أيضاً د. سانجاي أنه في عام 2019م اكتشف العلماء: إن هناك خلايا في الدماغ أطلقوا عليها «خلايا النسيان»، وهي مجموعة من الخلايا العصبية المسؤولة عن مساعدة الدماغ في النسيان، وهذه الخلايا تكون أكثر نشاطاً في الليل في أثناء النوم حين يُعيد الدماغ تنظيم نفسه ويستعد لتلقي معلومات اليوم التالي. وقد اكتشف العلماء أن لهذه الخلايا مزايا كثيرة، ويعلق د. سانجاي قائلاً: «إنها مفارقة جميلة. كي نتذكر، ينبغي لنا أن ننسى إلى حد ما!».

كما ذكر د. أحمد الأهواني أقوال بعض العلماء والباحثين في أهمية النسيان وضرورته، لأنه يؤدي وظيفة حيوية إيجابية، وهو نشاط ذهني نافع يستخدمه العقل في حذف ما لا يحتاجه العقل وما لا أهمية له، لأن العقل إذا لم يفعل ذلك فإن ذاكرته تتعب، فلا بد من الذكريات أن تطرد بعضها، وإلا بلغ المخ حداً من التشبع، على حد تعبير «دليليف».

وقال أيضاً «ريبو»: إنه بفضل نسيان ما لا أهمية له، يتيسر للذاكرة الاحتفاظ بما اكتسبته من معلومات فترة طويلة من الزمن. وخرج د. الأهواني بعد ذكره عدة تجارب قيس بها معدل النسيان لدى الأشخاص، ليُتضح أن النسيان أمر طبيعي وتلقائي ومنتظم (21).

يقول د. علي الصلابي: قد يكون النسيان إحدى النعم الكبرى حتى لا ينفجر الدماغ. إذن، النسيان ليس كله سيئاً بل هو مفيد، ولو كنا لا ننسى لتوقفت عقولنا عن التفكير والتخيل الإبداعي كما مر معنا. لنتخيل شخصاً يتذكر كل ما يقرأه ولا ينسى شيئاً تماماً. هذا الشخص سنجده يحفظ كل ما قرأه في موضوع ما، لكنه لن يستطيع أن يستفيد من قراءته هذه، لأن القراءة لا تُؤتي ثمارها من دون تأمل وتحليل وفرز لما قرأناه من معلومات.

في أثناء التشطيبات الأخيرة على موضوع النسيان، قرأتُ تغريدة جميلة نشرها صاحب حساب «هيا نقرأ»، ينقل فيه كلاماً للروائي عبد الرحمن منيف يقول فيه: «لولا النسيان لمات الإنسان ما يعرف، لمات من تخمة الهموم والعذاب والأفكار التي تجري في رأسه». وهو كلام صحيح يصل إلى النتيجة نفسها التي من كلام د. الصلابي الذي ذكرناه في الأعلى. النسيان الذي نشكي منه يحميننا من كثير من الأمراض.

كما أن عدم النسيان يمنع عقولنا من التفكير والتحليل، الذي يجعلنا نميز المعلومة الصحيحة من المعلومة الخاطئة، وبذا نتعدم الفائدة من القراءة، ويصبح الواحد منا وكأنه جهاز كمبيوتر يحتفظ بكل معلومة تخزن فيه! نحفظ بكل المعلومات لكن لا نستطيع أن نفرزها ونحللها ونوظفها ونستفيد منها!! وما فائدة القراءة وعدم النسيان إذا انعدم التفكير والتحليل؟!

يقول الأديب إبراهيم المازني: إنه التقى بأشخاص أبهرته كثرة محفوظاتهم، ولكنه لما استطرد معهم في الكلام دُهِش من عجزهم عن التفكير السديد، وعلل المازني قائلاً: إن هؤلاء حفظوا كثيراً وقوا ذاكرتهم قوة بالمرآة، ولكنهم لم يسعوا إلى محاولة هضم ما قرؤوه والتتقف به، فصاروا أشبه بمكتبة متحركة لا خير فيها لنفسها، على حد تعبير المازني (22).

كما أن من فوائد نسيان ما قرؤوه هو التحرر من سطوة الكثيرة من الكتب وتكتب بأسلوبنا، فالكتاب حين نقرؤه قد نستفيد منه معلومات جديدة، وقد يُدكرنا بمعلومات قد نسيناها، وقد يثري لغتنا بمصطلحات جديدة، وغيرها. فلو ظل كل ما قرأناه عالماً في ذاكرتنا لا ننساه، لما استطعنا أن نُعبّر عن أي موضوع بأسلوبنا وبلغتنا التي اكتسبناها من قراءات كثيرة متنوعة، بل سنظل مقيدين بما حفظناه من كتب قرأناها ولم ننسها ولعل هذا ما عناه «بورخيس» لما قال: «ما ندعوه إبداعاً هو مزيج من نسيان ما قرأناه ومن تذكره».

وقد عبّر عن هذا المعنى الأديب الكبير إبراهيم المازني، حين قال: إنه تعلم من الحياة ألا يكون أسير رأي أو كتاب، وأن فائدة الكتب هي أن يقرأها الإنسان ويدرسها ويُفكر فيها، ويُضيف عقول أصحابها إلى عقله، لا أن يظل أسيرها. ثم ذكر المازني أنه هو لا يحتاج لمثل هذه الوصية، معللاً ذلك بأنه كثير النسيان، حيث إنه ينسى كثيراً ما قرأه.

ثم يقول المازني في كلام جميل جداً أنقله بحذافيره لأهميته لكل من يعتقد أنه لم يستفد من قراءته ونسيها تماماً: «و النسيان آفة، ولكن ضيره يسير. وكون المرء قد نسي شيئاً ليس معناه أنه لم ينتفع به، أو أن هذا الشيء اندثر وانمحى؛ فإنه يبقى وراء الوعي، وإن كان لا يطفو على السطح ولا تلم به الذاكرة، فلا يسعها حين تطلبه. والفائدة العقلية تحصل في الحالين، سواء نسي المرء ما قرأه أم تذكره، كما تحصل الفائدة من الطعام وإن نسي المرء ما أكل، والمعول على الهضم. فإن العقل ليس رفواً يُصَف عليها ما يقرأ المرء أو يدرس... وما من أحد يستطيع أن يحفظ كل ما يقرأ».

ويقول في كلام آخر مهم – أذكره بحذافيره أيضاً لأهميته – وذلك لما فقد نسخة من ديوان المتنبي: «ولقد فقدت نسخة ديوانه فلم أشعر بالحاجة إليه، وكنتُ كلما ناز عتتي نفسي أن أشتريه أقول: ما ضرورة ذلك؟ ليس خيراً أن يحيا المتنبي في نفسي من أن يعيش على رف في المكتبة؟ أترى الغاية من الأدب هي اقتناء الكتب؟ لا. وليست هي أن يكون المرء كثير الحفظ أو مدمن قراءة ما لا ينتفع به. وحسب المرء من الكتب أثرها في نفسه، وفعلها في تهذيبها ورفع مستواها وصلفها. ولخير له أن يقرأ وينسى لفظ ما قرأ، بل معناه أيضاً، ما دامت الفائدة قد حصلت».

الجملة التي ذكرها المازني بأنه لا أحد يستطيع حفظ كل ما قرأه، صحيحة تماماً، فحن لسنا أجهزة ماسحة ضوئية نحفظ بكل ما قرأناه بحذافيره، بل يبقى شيء في ذاكرتنا ويغوص في الأعماق شيء كذلك. إذن، ليس شرطاً أن نحفظ بكل ما قرؤوه لنستفيد منه، بل إن كثيراً مما قرأناه دخل حيز اللاوعي لدينا، وتحوّل إلى قيم وسلوكيات، نحن لا ندرك كيف أتت لكنها أتت من قراءتنا للكتاب الفلاني الذي اعتقدنا أننا نسينا مضمونه.

ذكرتُ في كتاب «القراءة صنعة العظماء» في قصة الأديب توفيق الحكيم، أنّ والده بعثه إلى فرنسا للحصول على شهادة الدكتوراه في القانون، ولكن توفيق الحكيم لم يستطع أن يبال الشهادة، معللاً ذلك برسالة أرسلها إلى صديقه الفرنسي «أندريه» بأن الامتحان يُريد منه أن يحفظ ويكتب ما ذكر في المادة بالضبط في أثناء الاختبار، ويقول الحكيم: إن تكوينه ليس هكذا، فهو يقرأ ليُهضم ما قرأ، أي يُحلل مواد قراءته إلى عناصر تنساب في كيانه الواعي وغير الواعي.

فهو يشعر حين يقرأ – حتى مقرر الدكتوراه – أن مواد تفككت واختلطت بمواد أخرى، لكن أصحاب المقرر يُريدون منه أن يحتفظ بما قرأه من دون هضم، ثم يفرزه من جديد على ورق الامتحان! وهذا أمر عسير على الحكيم، لذلك أخفق في الحصول على درجة الدكتوراه.

### «أورليان هايمان» وذاكرته العجيبة

في أثناء كتابتي وبحثي عن هذا الموضوع، كنت أستريح بممارسة الرياضة مدة ساعة أو أقل بقليل على الآلة وأقوم في الوقت نفسه بمشاهدة فيديو ناعمة في تطبيق اليوتيوب. ومن القنوات التي أحب مشاهدتها، قناة «قرية العجائب» للمبدع بدر العلوي، وفي يوم ما وقعت على حلقة جميلة له بعنوان: (الشاب الذي يتذكر كل شيء منذ أن كان طفلاً)، حيث ذكر فيها قصة شاب اسمه «أورليان هايمان» من بريطانيا، كانت لديه ذاكرة عجيبة لا تنسى شيئاً، إذ يستطيع أن يتذكر كل أحداث يومه منذ أن كان عمره ثلاث سنوات أو أربع.

زار فريق من الوثائقيين «أورليان» وأسرته للتأكد من صحة ما يدّعيه، ثم أجرى اختبارات لأورليان. فكانوا يذكرون تاريخاً عشوائياً له، ثم يطلبون منه أن يذكر ماذا حدث في ذلك اليوم؟ فيرد «أورليان» عليهم ويقول: إن هذا اليوم – مثلاً – كان يوم الثلاثاء، ثم يذكر حالة الطقس وماذا فعل هو وأسرته في ذلك اليوم بالتفصيل، ثم ماذا حدث في ذلك اليوم من أحداث في بلاده أو ما شاهده على التلفاز!

حاول الفريق الوثائقي التأكد من صحة ما يقوله «أورليان» من أحداث عامة حدثت في التلفاز أو في البلاد، فوجدوا أن ما يقوله كان صحيحاً تماماً، من حيث حالة الطقس والأحداث العامة، وتأكيداً بالفعل أنه لم يكن ينسى شيئاً قط. قال «أورليان» للفريق: إنه لا ينسى ماضيه حيث لا توجد فراغات في ذاكرته أبداً، فهو يستطيع أن يرى كل شيء من ماضيه!

انبهر الفريق الوثائقي من قوة ذاكرة «أورليان»، إذ لم يحدث ولا مرة أن أخبرهم بحدث غير صحيح! ثم ذكرت والدة «أورليان» للفريق أنها لما كانت تتأقش «أورليان» في موقف حدث قبل سنوات وتقول إنه حدث بتاريخ كذا، كان «أورليان» يُصحح لها ويقول إن هذا الموقف لم يحدث في هذا الوقت بل حدث في وقت آخر. تقول الأم حين أعود إلى ما كتبت من ذكرياتي، أجد أن كلام «أورليان» كان صحيحاً. ومن حينها أصبحت الأسرة لا تجادل «أورليان» في أحداث الماضي، فما يقوله دائماً هو الصحيح.

بل إن أم «أورليان» فتحت أمام الفريق الوثائقي مذكرتها التي تتون فيها أحداث حياتها، وسألت «أورليان» عما حدث في يوم 30 أغسطس 2004م، وهو تاريخ قديم. لكن «أورليان» أجاب بالتفصيل قائلاً إنه كان يوم الإثنين وإننا ذهينا في ذلك اليوم إلى زيارة مصنع شوكلاتة، ثم بدأ يسرد ما دار في ذلك اليوم!

حينها سألت الفريق الوثائقي «أورليان» عن سبب امتلاكه لهذه الذاكرة الجبارة التي لا تسقط حدثاً ولو كان بسيطاً، فأجابهم «أورليان» بأنه لا يفعل شيء، فالمعلومات من تلقاها نفسها تُحفظ في ذاكرته ولا تزول.

لم يكف الفريق الوثائقي بذلك، بل إنه أحضر البريطاني «دومينيك أوبراين» بطل العالم في بطولة الذاكرة ثمانية مرات، إذ إن «دومينيك» تدرب على تقوية ذاكرته بأساليب وطرق معينة كي يستطيع أن يحفظ الأشياء بسرعة خارقة. قال «دومينيك» للفريق الوثائقي: إنه فقط يحتاج إلى ما بين ثلاثين ثانية ودقيقة ليستطيع أن يتأكد إن كان «أورليان» صادقاً أو أنه يدّعي امتلاك ذاكرة خارقة.

«دومينيك» حاز الرقم القياسي في موسوعة «جينيس» كأسرع شخص يستطيع أن يحفظ مجموعات بطاقات لعبة الورق، حيث يستطيع حفظ المجموعة كاملة خلال 43 ثانية فقط! وهذا رقم قياسي إذ إن عدد البطاقات في المجموعة 52 بطاقة، أي إن «دومينيك» يستغرق أقل من ثانية لحفظ كل بطاقة! وهذا شيء عجيب جداً ويبدل على تدرب وممارسة كبيرة.

«دومينيك» أيضاً لديه القدرة على تذكر ماذا حدث في يوم ما مثل «أورليان»، لكن الفرق بين «أورليان» و«دومينيك» أن «دومينيك» يستخدم حسابات وأسلوباً رياضياً، أما «أورليان» فيقول إنه يتذكر الأحداث لأنه عاش ذلك اليوم ولا يستخدم أية حسابات أو أسلوباً رياضياً.

بعد أن قابل «دومينيك» «أورليان» واختبره، أقر «دومينيك» فعلاً بأن «أورليان» يملك قدرة مختلفة تماماً عن البشر، وأنه لا يمكن تصنيفها كقدرة على الحفظ؛ لأن ذاكرته تشغل بطريقة مختلفة تماماً عن ذاكرة الإنسان العادي! قال «دومينيك» للفرق الوثائقي: «إني بنسبة 99% متأكد أن أورليان صادق!»

«جيل برابري» وذاكرتها الخارقة

يقول بدر العلوي أن «أورليان» كان في بعض الأحيان يأخذ وقتاً في تذكر حدث ما، أو يحاول أن يربط ما حدث بشيء ما ليتذكر، لكن هناك شخصية تملك ذاكرة أقوى من ذاكرة «أورليان»، بل إنها ظهرت قبل «أورليان»؛ إنها الأمريكية «جيل برابري» وهي أول شخص ظهر في العالم يملك هذه القدرة العجيبة على التذكر، وقدرة «جيل» على التذكر أقوى من قدرة «أورليان»، إذ إنها كانت تتذكر كل يوم من دون أن تحتاج إلى نقطة مرجعية لتذكرها. فقط اذكر تاريخاً معيناً لها، ومباشرة ستجدها تحكي لك ما حدث في ذلك اليوم بسهولة تماماً.

تقول «جيل» لو كان لديكم كاميرات لرؤية ذاكرتي كيف تعمل ستصابون بالفزع، إذ إنني أستطيع أن أرى ذكرياتي من بداية فبراير 1980م إلى اليوم (يوم إجراء إحدى المقابلات معها). لكن المشكلة ليست هذا! المشكلة أن «جيل» كانت تعاني معاناة كبيرة لأنها لا تستطيع نسيان ما تمر به من أحداث في حياتها. فلا تستطيع نسيان قرار سيئ اتخذته في فترة ما من حياتها، وتعاتب نفسها وتقول لو أنني لم أفعل ذلك لما صار لي كذا، ولو لم يحدث لي كذا لما وصلت إلى كذا! فالأحداث مترابطة وهي لا تستطيع نسيان أي حدث مر بها، بل تراه وكأنه فيديو يحدث في ذاكرتها!

كادت «جيل» أن تصل إلى مرحلة الاكتئاب، مما دعاها إلى زيارة أطباء نفسيين لعرض مشكلتها لديهم، لكنها لم تجد لديهم العلاج، لأن مشكلتها في ذاكرتها وليس لديها أي مشكلة نفسية، حتى التقت «جيل» بالدكتور «جيمس ميكشاو» - عالم وبرفسور شهير في علم الأعصاب - الذي تعرّف إلى «جيل» في عام 2000م، وصار يختبر ذاكرتها أكثر من عشرين سنة.

في أول لقاء بين د. جيمس و«جيل»، أراد د. جيمس أن يختبر «جيل»، ليعلم هل فعلاً ما تقوله صحيح بأنها لا تتسى أي حدث، أم أنها تدعي ذلك. أحضر د. جيمس كتاباً عنوانه (القرن العشرون يوماً بيوم). هذا الكتاب يذكر أهم الأحداث التي حدثت في القرن العشرين بالتاريخ، أي منذ عام 1900 إلى عام 1999م. أحداث مهمة عُرضت في التلفزيون.

فتح د. جيمس الكتاب على صفحة عشوائية واختار حدثاً عشوائياً، وسألها متى كان هذا الحدث؟ وكان الحدث الذي اختاره محاكمة للاعب أميركي معروف اسمه «أوجي سيمبسون»، وكانت هذه المحاكمة حدثاً عظيماً كبيراً حينها. استطاعت «جيل» بسرعة فائقة أن تقول إن المحاكمة حدثت في 3 أكتوبر 1995م. وظل د. جيمس يسألها وتجييب بسرعة فائقة إجابات دقيقة!

قال د. جيمس عنها إنها كانت دقيقة بشكل لافت للنظر! والموقف الغريب الذي حدث، لما سألها عن حدث في إيران عام 1979م، وهو حادثة اقتحام السفارة الأميركية في طهران واحتجاز موظفي السفارة وأخذهم كرهائن. فاجابت «جيل» بأنه حدث في 4 نوفمبر 1979م. لكن د. جيمس قال لها إن إجابتك خاطئة، فالإجابة المذكورة في الكتاب مختلفة. أصرت «جيل» على أن إجابتها صحيحة وهي متأكدة من ذلك بنسبة 100%. ود. جيمس يقول لها إن التاريخ المذكور في الكتاب تاريخ مختلف. ليظهر بعد التأكد من المعلومة أن «جيل» كانت محقة وأن التاريخ المذكور في الكتاب كان خطأ!

في عام 2008م بدأت «جيل» تظهر في وسائل الإعلام وبدأ الناس يعرفون عنها وعن حالتها الغريبة، وكانت هي أول شخص في العالم يظهر ولديه هذه القدرة العجيبة، كما نذكرنا. بدأ المذيعين في أثناء اللقاء معها بإجراء اختبارات لها على الهواء مباشرة، حيث كانوا يعطونها أحداثاً مهمة ويطلبون منها تواريخ حدوثها، وأحياناً العكس، يقومون بإعطائها التاريخ ويطلبون منها أهم ما حدث فيه.

كانت إجابات «جيل» صحيحة ودقيقة، لكن في مرة من المرات أجابت إجابة خاطئة لما سألها متى توفيت الأميرة «جريس»؟ فقالت «جيل»: كان ذلك في 14 سبتمبر 1982م، وكان ذلك أول يوم لي في الصف الثاني عشر! ردت المذيعه بأن التاريخ المكتوب في الكتاب هو 10 سبتمبر 1982م. ففتح منتج البرنامج والمصورون أجهزة الكمبيوتر وهو اتقهم المحمولة (البلاك بيري)، ليتأكدوا من خلال موقع «جوجل» من تاريخ وفاة الأميرة «جريس». ليقولوا إن الكتاب هو المخطئ! وحدث هذا كله على الهواء مباشرة.

لم يتكفوا بهذا النوع من الاختبارات، بل جربوا مع «جيل» أنواعاً كثيرة من الاختبارات الصعبة والمعقدة لمعرفة قدرة ذاكرتها، وكلها نجحت فيها «جيل». من بين هذه الاختبارات، يعرضون مقطعاً من مسلسل قديم شاهده قبل 10 أو 20 سنة وأكثر، ويسألونها مثلاً: من أي حلقة هذه اللقطة؟ فكانت «جيل» تجيب إجابة صحيحة، والعجيب أنها كانت تخبرهم بتاريخ عرض الحلقة، والأحداث التي صارت في تلك الحلقة، وتخبرهم أيضاً بحالة الطقس وقت عرض الحلقة!

وأعجب موقف حدث لما حاولوا وضعها في موقف صعب، فشغلوا موسيقى من مسلسل قديم عُرض فقط في ثلاثة شهور عام 1979م ولم يُعرض بعدها. أسمعوها الأغنية صوتاً من دون صورة، وسألوا من أي مسلسل هذه الأغنية؟ فاجأتهن بمعرفة اسم المسلسل وأنه عُرض عام 1977م لما كان عمرها 11 سنة!

تقول «جيل»: «أنا دائماً ما أشرح الأمر للناس كأنني أمشي وكاميرا على كتفي، وكل يوم هو شريط فيديو، فإذا أعطيتني تاريخاً كأنني أخرج شريط الفيديو وأضعه في المشغل وأشاهد اليوم».

صعب ألا تتسى

ما أصعب حياة من لا ينسى! تقول «جيل» في أحد المقابلات معها للمذيعة: «ما زلت أشعر بالسوء حول أشياء حدثت منذ 30 سنة». ردت المذيعة عليها: «لكننا جميعاً كذلك، أعني أننا جميعاً نتذكر شيئاً أو شيئاً». فقالت «جيل»: «ليس شيئاً أو شيئين، بل كل شيء، وأنا حقاً أعيشه وأحس به، لا يمكن السيطرة عليه. في الواقع أعتقد أنه يجب أن أكون في مصحة عقلية؛ لأن هذا يدفعني إلى الجنون!».

هذا الأمر دفع «جيل» إلى أن تكتب مذكراتها بشكل يومي، تكتب كل شيء لأنها لا تستطيع نسيان أي شيء يحدث لها في حياتها، وبدأت ذلك منذ دخولها في مرحلة مراهقتها. كتبت «جيل» أكثر من 50 ألف صفحة من مذكراتها، وكتبتها بخط صغير جداً لا يمكن قراءته!! تقول «جيل» إنها لا تقرأ ما كتبه إطلاقاً، فقط تفعل ذلك لتقريب الطاقة السلبية التي تتكون في داخلها بسبب عدم نسيانها! تقول «جيل»: «لا أكتب هذا لأتذكر؛ أكتبها كي لا أصاب بالجنون».

مرض «جيل» و«أورليان»

انتصَح أن الحالة التي تعاني منها «جيل» و«أورليان» هو مرض يُعرف باسم «فطر التذكر»<sup>[23]</sup>. بعد «جيل» ظهر آلاف الأشخاص يدعون مثل حالتها، لكن بعد الاختبارات التي أجراها العلماء عليهم، اتضح أن أغلبهم مدعون، ليتبين أنه فقط توجد في العالم كله - حتى تاريخ عرض الفيديو - 62 حالة، شخّص أصحابها بهذا

المرض، وتعد حالة «جبل» هي أول حالة في العالم لهذا المرض. أشخاص من دول مختلفة في العالم، لكن تتفاوت قدرتهم في التذكر من شخص إلى آخر، فهم ليسوا سواء. بعد الدراسات التي أجراها العلماء على أدمغة هؤلاء الأشخاص، اتضح أن لديهم في عقولهم في المنطقة المتعلقة بالذاكرة واسترجاع الذكريات، نشاطاً أعلى من نشاط الإنسان العادي. كما كانت النواة المذنبة لديهم أكبر من النواة لدى الناس العاديين بسبع مرات (24).

النسيان نعمة

يظهر لنا من عرض حالة «جبل» و«أورليان» أن النسيان نعمة، وأن من لا ينسى تصعب عليه نفسه، ويحتاج إلى مصحة عقلية كما قالت «جبل» عن نفسها، وكذلك أقر «أورليان» أن عدم النسيان يجعله يعيش حياة صعبة.

الحمد لله على نعمة النسيان، والحمد لله أن ذاكرتنا تنسى ما لا نحتاج إليه وتتخلص منه. وهذا يؤكد أن لكل شيء حكمة وفائدة ولو كنا نراه غير ذلك.

**هل لابد أن أقوم بهذه الأمور كي لا أنسى؟**

أخيراً قد يسأل قارئ: هل لابد علي القيام بهذه الأمور كي لا يتسرب من ذاكرتي ما قرأته وأنساه؟!!

وهو سؤال مهم جداً، لذلك وضعته في خاتمة هذا البحث. وأقول بداية – كما وضحت – أنه لا شيء يزول، والفائدة حصلت حتى لو لم نتذكر ما قرأناه، وعدم تذكرنا مضمون كتاب قرأناه لا يعني إطلاقاً أننا لم ننتفع به، بل تحول ما قرأناه إلى حيز اللاوعي كما مر معنا.

لكن استخدام هذه الطرق نافع لمن يريد استحضار المعلومة في ذهنه وتكون حاضرة، وبسبب أن يُوظفها متى ما احتاج إليها بعد ذلك.

لكن الهدف الأسمى من القراءة ليس هو استحضار المعلومات وتذكرها، فهذه الأمور قد تفعلها الأجهزة الذكية وغيرها، نطلب منها معلومة وتجدها في أقل من ثانية. الهدف من القراءة أسمى من ذلك، الهدف هو أن نتغير، حتى لو لم نعد نذكر شيئاً مما قرأناه.

قد يكون الهدف من قراءة أحد الكتب هو أن نتعاطف مع قضية معينة، والفائدة الكبرى التي يُفترض أن نجنيها بعد انتهائنا من قراءة الكتاب، هو أن نكون أكثر تعاطفاً وفهماً لهذه القضية، لكن ما فائدة القراءة إذا خرجنا بمعلومات وحقائق حول هذه القضية نستذكرها فترة طويلة لكننا لا نشعر بأي تعاطف معها! ولم يحدث فينا تغيير ولو بسيط نحو هذه القضية؟! هنا أرى أن الفائدة من القراءة لم تحصل.

أكد هذا الكلام الكاتب «دانيال بِنَاك» لما قال: «لا شك أننا نصبح أكثر إنسانية بعد قراءة تشيخوف منا قبل قراءته». وما عناه دانيال أن قراءة قصص الكاتب الروسي العملاق «تشيخوف» ومسر حياته ينبغي أن تجعلنا أكثر تعاطفاً وتضامناً وأقل وحشية تجاه الجنس البشري، هذا هو الهدف الرئيس من قراءتها، أما تذكر تسلسل الرواية وما جرى فيها من أحداث فليس بأهم من أننا فعلاً تأثرنا بما قرأنا وبداننا ندرك بعض معاناة الجنس البشري.

إذن، ليس شرطاً أن يفعل القارئ هذه الأمور، لأن بعض القراء يُحب أن يقرأ الكتاب مستمتعاً مسترسلاً، ولا يُحب أن يتوقف ليُدون أهم المعلومات والفوائد التي تمر عليه. يقرأ للمتعة وإن حصلت الفائدة فلا بأس.

وهذا النوع من القراءة يُحدث تغييراً في شخصياتنا، لكن بعد فترة – قد تطول أو تقصر – لا نتذكر من أين حصلنا على هذه المعلومة؟ أو ما الكتاب الذي غير فينا وجعلنا أكثر تفهماً وتعاطفاً مع هذه القضية؟ الأهم أن الفائدة حصلت ونحن ننتعز وتطور بالقراءة.

كما أن هناك مغالطات منطقية ومغالطات لغوية ذكرها د. عادل مصطفي في كتابيه الرائعين: (المغالطات المنطقية)، و(مغالطات لغوية)، فهناك أيضاً مغالطات قرآنية تقع فيها نحن معشر القراء في بعض الأحيان من دون أن نعي أنها مغالطات. أحببت في هذا المقال أن أذكر خمساً من هذه المغالطات لأنني رأيتها الأكثر انتشاراً بين القراء.

### المغالطة الأولى: لم تُصَف لي قراءة هذا الكتاب شيئاً

هذه المغالطة الأولى التي أسمعها أو أقرأها من نسبة لا يستهان بها من القراء، في تقييمهم لكتاب قرؤوه. إذ نجد أحدهم يقول مثلاً: قراءة هذا الكتاب لم تُصَف لي شيئاً جديداً، أو يقول: جميع ما ورد في الكتاب ليس بجديد علي! وأحياناً تجده يقسو في الكلام فيقول: أضعت وقتي في قراءة كتاب لا جديد فيه! أو عبارات نحوها.

هل هذا الكلام صحيح؟ وهل هناك كتب قرؤوها من الغلاف إلى الغلاف ولا تُضيف لنا شيئاً جديداً ولو كان ضئيلاً؟!

أرى أن هذا الكلام يحوي مغالطة قرآنية كبيرة، فلا يوجد شيء قرؤوه لا نستفيد منه شيئاً، ولو اعتدنا أن كل ما فيه تكرر، مع صعوبة أن نجد كتاباً فيه تكرر 100 % من كتب أخرى. فلابد أن نجد معلومة جديدة هنا وهناك<sup>(25)</sup>.

ولو سلّمنا بوجود تكرر كامل في كتاب قرأناه، ألا يمكن لطريقة عرض المعلومة وتنظيمها في الكتاب أن تجعلنا نفهم الموضوع بصورة أفضل وأعمق؟ أو تنبيهنا إلى أمر لم نكن منبهين له من قبل؟ أو ربط فكرة معينة بفكرة أخرى لم يسبق لنا أن وجدناهما مترابطين هكذا؟ ثم ليس التكرار يؤدي إلى ترسيخ المعلومات في عقولنا وفهمها بشكل أعمق، ليكون تذكرها والاستفادة منها بعد ذلك أكبر؟

ثم كيف يكون هناك تكرر، والكتابة - كما قالوا - هي الأسلوب، وكل كاتب يكتب بطريقة وأسلوبه، فالأسلوب هو ابن مزاج الكاتب وتربيته وبيئته وذوقه وفنه، كما قال د. محمد الحمد، وبالتالي سيكون عرْضه للموضوع بأسلوب آخر لا يشبه أي أسلوب كاتب آخر!

### أهمية التكرار

في أثناء تكثيفي الكبير في مواضيع القراءة في عام 2016م، وإعادة قراءة كثير من الكتب، وشروعي في الكتابة عنها، وجدتُ أنني كنت كلما تعمقت أكثر في كتب القراءة، وجدتُ تكراراً في المعلومات والمقولات والأفكار أيضاً، فكنت أظن أنني حين أجد تكراراً كثيراً في بعض الكتب، أضيع وقتي بذلك! ولكني وجدتُ أن التكرار - وإن لم أدرك جميع هذه الأمور حينها - قد نتهني إلى أمور كثيرة منها:

- أني تعرّفت إلى المقولات والأفكار الأكثر تداولاً. وهذا ساعدني في ألا أكرّر في أثناء كتابتي ما قد قيل أو استشهد به كثيراً، وأن أحاول الاتجاه إلى الكتابة من منظور آخر.
- عرفتُ أهم المصادر والمراجع التي تتكرّر ويرجع إليها الباحثون، في حالة ذكر المؤلف مراجعته.
- في بعض الأحيان أجد فكرة أو مقولة غامضة لم يشرحها الكاتب أو لم يستطع التعبير عنها بأسلوب واضح، وأجدها في كتاب آخر قد شُرِحت بشكل أوضح.
- تأكد لديّ أن هناك سيراً ذاتية وكتباً في القراءة قرأتها ولم يتطرق لذكرها بعد أحد - في الكتب التي قرأتها وكانت متوفرة لديّ - مما شجعني على أن أستمر في كتابة كتابي الأول.
- عرفتُ الكاتب والباحث العميق من الكاتب الذي يأخذ إنتاج غيره ويسطو على مراجعته.
- التكرار الذي أجده في بعض الكتب ثبت لي كثيراً من مفاصل الموضوع ورسّخها في ذاكرتي.
- جعلتني هذه الكتب أكتب بأسلوبي وأتحرّر من سطوة تأثير كاتب ما، فالقراءة لكتّاب محددين جداً، تجعلنا - من دون أن نشعر - نُكرّر أسلوبهم وطريقتهم في الكتابة، لكن القراءة المتنوعة لكتّاب من مختلف العصور ومختلف الجنسيات، كتّاب من الشرق وكتّاب من الغرب، تجعلنا نتحرّر من هذا القيد ونتجّه إلى الكتابة بأسلوبنا.

وربما هناك فوائد أخرى حصلتُ عليها، وما زلتُ - حتى الآن - غير مدرك لها، بل أقول حتى لو أننا وجدنا أن كل ما ذُكر في الكتاب تكرر، وهذا شيء نادر، فهذا بحد ذاته أمر جيد لأنه يوضّح لنا مدى العمق الذي وصلنا إليه في الموضوع، لذلك أصبحنا نجد أن المعلومة الجديدة صعبة الحصول.

هناك عالمان جليلان قالوا: «لا يخلو كتاب من فائدة»، وأعني بهما الإمام ابن الجوزي والإمام ابن حزم، رحمهما الله، وهما من هما في العلم والشغف بالقراءة. فمن نكون نحن أمام هذين الجليلين؟ وهذا ليس إنفاصاً من شأننا، ولكن اعترافاً بجلالة هذين العالمين الكبيرين وقدرهما. ومع ذلك تواضعا وقالوا سنخرج من كل كتاب نقرأه ولو بفائدة واحدة، بينما تجد كثيراً ممن لا يبلغوا عشر معشار علمهما، يقولون: لم تُصَف لي قراءة هذا الكتاب شيئاً!

قال الإمام العظيم أحمد بن حنبل، رحمه الله: «سمعتُ أن قُلَّ رجلٌ يأخذُ كتاباً ينظرُ فيه إلا استفادَ منه شيئاً». ما أروعها من مقولة وحكمة! تقول الحكمة الصينية: «أنت لا تستطيع أن تفتح كتاباً من الكتب من دون أن تتعلم منه شيئاً». وهي حكمة صائبة وصحيحة تماماً.

## كل قراءة مفيدة

في رسالة بعثها المفكر الاقتصادي والكاتب د. جلال أمين إلى أخيه الكاتب حسين أمين، في أثناء دراسته في لندن، وكان ذلك في شهر أغسطس من عام 1961: إن القراءة بيّنت له سُخف الموضوع الذي كان بنوي كتابة بحث الدراسة فيه، مما جعله يُغيّر موضوع بحثه، وأنه بسبب التغيير في موضوع البحث خسّر نحو شهرين، لكن د. جلال عقب بعد ذلك بجملة رائعة قال فيها: «في المدى الطويل لا أعتبر أنني خسرت شيئاً على الإطلاق، فكل قراءة مفيدة».

هنا مربط الفرس، كل قراءة مفيدة حتى ولو ظننا حينها أن الكتاب كان لا يستحق القراءة وأنا أضعنا وقتنا في قراءته.

الخلاصة، إن هذه المقولة التي يقولها البعض ليست بصحيحة، فكل كتاب نقرأه نخرج منه بفوائد كثيرة، حتى إن شعرنا أننا لم نستفد فائدة مباشرة من قراءته، وصدق من قال إن شخصياتنا قبل قراءة الكتاب وبعد قراءته ليست واحدة، لابد أن تغييراً قد حدث فينا ولو كان صغيراً، أو كنا غير مدركين ما هو هذا التغيير.

كما أن من يقول هذه المقولة – غالباً – هم من أصحاب الشبر الأول<sup>(26)</sup>، ويقولونها من باب الغرور والتشبع بالعلم، وفيها هضم لكتاب قد يجعل قراء كثيرين يزهدون في قراءته. أما أصحاب الشبر الثاني والثالث، فهم موقنون أنهم حتماً سيجدون ولو فائدة واحدة ينتفعون بها ولو من كتاب معدود الورقات أو من مقال من صفحاتين.

ولا نحتاج أن نكرّر أن الكتاب الذي لا يُناسبنا ونجد فيه تكراراً، قد يجده غيرنا جديداً عليه تماماً، بل قد يعدّه عمدة الكتب في بابهِ، بالنسبة إليه، والعكس صحيح.

## المغالطة الثانية: لماذا أقرأ إذا كنت سأنسى كل ما قرأته؟!

هذه مغالطة مهمة ومنتشرة بشكل كبير، ولا أهميتها فصلت عنها مقالاً مطولاً – وإن شئت قل بحثاً صغيراً – بحثت فيه من جديد حول هذا الموضوع ووضعت في كتابي هذا، وكزّرت وضع المغالطة هنا لأنها بالفعل مغالطة كبيرة منتشرة بين القراء.

وكي لا أكرّر ما قلته، أقول باختصار: إنه ثبت أننا لا ننسى ما قرأناه، وليس هناك شيء يخفي التأثير إما أن يكون واضحاً وذلك بتذكّر المعلومات والأفكار التي قرأناها، أو يكون قد تحول إلى التأثير في عقلنا اللاوعي، حيث أعطانا كلمات جديدة، أو طوّرت من وعينا أكثر، أو جعلنا أكثر تقبلاً لأفكار جديدة، أو أضفنا إليها قناعات جديدة، أو نهبنا إلى تصرفات خاطئة أو عادات كنا نفعلها، أو حفّزنا لأمر ما، وغيرها كثير.

فلا ينبغي أن نجعل هذه الفكرة المغلوطة تعشش في عقولنا وننأثر بها.

## المغالطة الثالثة: أفضل كتاب قرأته؟

من المغالطات التي تقع من بعض القراء، سؤالهم للقراء أو الكتاب الذين يُكثرون لهم أعلى درجات الاحترام: دلّني على كتاب إذا قرأته سيغيرني؟ أو ما أفضل كتاب قرأته وتنصحني به؟! أو ما أفضل الكتب التي قرأتها وغيرت حياتك؟! وغالباً ما يكون السؤال عاماً من دون تحديد مجال معين.

ويكثر هذا السؤال بالذات عند افتتاح معارض الكتب، حيث يتواصل الكثيرون مع محبي الكتب والقراءة ويطلبون قائمة الكتب التي ينبغي شراؤها، أو ترشيح أهم الكتب التي ينصحون بها ويشجعون على قراءتها.

هذا التصرف – في أحيان كثيرة – يُعدّ مغالطة قرائية كبيرة، لأنه لا يوجد كتاب يصلح لجميع القراء، فنحن القراء غير متشابهين، ميولنا ليست واحدة! تكويننا وخلفياتنا الثقافية ليست واحدة! البيئة التي نشأنا فيها والمؤثرات التي صادفناها في مراحل حياتنا ليست نفسها، ولجيناتنا أيضاً أثر في جعلنا مختلفين.

يقول الكاتب «بول أوستر»: «يمكننا القول إن لكل قارئ قراءة مختلفة لكتاب ما عن أي قارئ آخر. أنت تأتي لذلك الكتاب ولديك حياتك ومعرفتك الخاصة، لديك ماضيك وتجاربك ووجهة نظر معينة نحو أي شيء، لذلك تقرأ الكتاب بطريقة ما، فيما يقوم قارئ آخر بقراءته بطريقة مختلفة تماماً».

كل هذه الأسباب لا تجعلنا نتفق – في أغلب الأحيان – على رأي معين حول كتاب ما. وجولة قصيرة في تطبيق Goodreads تؤكد لنا ذلك، حيث نجد تبايناً في الآراء حول كتاب معين، فلا تعرف هل الكتاب جيد أم لا! حتى أعظم الروائيين والفلاسفة نجد أن القراء لم يتفقوا على رأي واحد حول كتبهم. مجمل الكلام أنك لن تجد اتفاقاً حول كتاب أو كاتبٍ ما.

فالقارئ أو الكاتب الذي تسأل – غالباً – بجهل تكوينك الثقافي وميولك واهتماماتك ونشاطك والمجالات التي تُحب القراءة فيها، مما يجعل الجواب صعباً عليه. وفي أكثر الأحوال قد لا يناسبك ما رشحه لك من كتب. هذه أحد الأسباب التي تجعل من هذا السؤال مغالطة في أكثر الأحيان.

أغلبنا نحن معشر القراء تتغير أفكارنا بين مرحلة عمرية وأخرى، وكل مرحلة عمرية لها كتب ومؤلفون يختلفون عن المرحلة التي سبقتها، فالكاتب التي أثرت فينا في المراحل المتوسطة ليست هي نفسها في المراحل الثانوية، وليست هي نفسها في المراحل الجامعية، وهذا أمر طبيعي وصحي، ففي الأغلب لا تبقى هذه الكتب ثابتة.

تحدّث «ألبرتو مانغويل» الملقب برجل المكتبة عن أفضل كتاب قرأه في حياته فقال: «في حالتي، وعبر مسيرة حياتي، إن ذلك الكتاب الفريد ما يرح بتغيّر، فثارة كان كتاب «المقاتل» لمونتيني، وثارة كتاب «اليس في بلاد العجائب»، وثارة كتاب «التخيلات» لبورخيس، أو كتاب «دون كيخوته»، أو كتاب «الف ليلة وليلة»، أو كتاب «جبل السحر» لتوماس مان. أما الآن وأنا أدنو من السبعين المخصصة لي من العمر، فإن الكتاب الجامع المانع بالنسبة إليّ هو «الكوميديا» لدانتة».

فحين نطلب من أحدهم أن يُخبرنا بأفضل كتاب أو أفضل الكتب التي قرأها، فهذا سؤال مغلوطة، لأنه لا يوجد كتاب بهذا الوصف. نعم، توجد كتب كثيرة أثرت فينا في مراحل معينة من أعمارنا، لكنها تغيرت بتغيّر المرحلة العمرية وحلت محلّها كتبٌ أخرى، وأصبحنا – في الغالب – بعد أن تجاوزناها نراها لا تستحق وصف أفضل الكتب.

هل هناك استثناءات؟ نعم، توجد استثناءات لكنها نادرة، فقليلة هي الكتب التي رافقتنا طوال مراحل أعمارنا المختلفة، وظلنا متمسكين بها لا نفارقها. فهذا سبب آخر يجعل من السؤال مغالطة.

سبب ثالث مهم أيضاً، وهو أن الكتابة – كما ذكرت في المغالطة السابقة – أسلوب. فقد يكتب كاتبان في الموضوع، نفسه، ولكن تجد بين كتابيهما اختلافاً شاسعاً، وذلك أن كل واحد منهما يكتب بأسلوبه وطريقته، فلا يوجد كاتبان لهما الأسلوب نفسه. وحين يمدح أحدهم كاتباً ما أعجب بكتابه، فهو يبتني – غالباً – على أسلوبه وطريقته في الكتابة، حيث لاقت قبولاً لديه، بينما هناك قراء آخرون لا يروقهم هذا النوع من الأسلوب في الكتابة، لذلك تجد آراءهم حول الكتاب بين طرفي نقيض.

يقول الطبيب سامي بن مشوح: إن سؤالاً (ما أفضل كتاب) سؤال خاطئ، وكل من يسأل هذا السؤال فإنه يدل على مدى جهله وسطحيته. وعلل بأن هذا الأمر يُعَدُّ أموراً كثيرة، حيث تعتمد على المجال والكاتب والنص والقارئ نفسه، وأن كلمة «أفضل» هي كلمة واهية ليس لها قيمة محسومة، فالأفضل عند قارئ بالتأكيد ليست هي عند قارئ آخر. (27)

في موضع آخر يضرب د. سامي مشوح مثلاً على نفسه بأنه شرع في قراءة الكتاب الشهير (النبا العظيم) للدكتور محمد دراز بعد أن أتت عليه قارئ نهم ومؤلف كتب، ووصفه بأنه كتاب عظيم لم يقرأ كتاباً مثيلاً له في العمق، ولكن د. سامي لما قرأ الكتاب لم يجد شيئاً مما وصفه هذا القارئ ينطبق عليه، بل وجده كتاباً عادياً وأن ما ورد فيه بديهي عند كثير من المسلمين!

وحصل أن قابل د. سامي من أتت على الكتاب بعد عدة سنوات، وأخبره بأنه بالغ كثيراً في الثناء على الكتاب وكأنه لم يُؤلف مثله قط! فقال له الرجل: بأنه قرأ الكتاب في فترة كان يتخبط فيها، وبقراءته له حل الإشكال الذي كان لديه في تلك الفترة.

يُعلِّق د. سامي على هذا الموقف فيقول: إن الحالة التي يمر بها القارئ لها تأثير كبير في ما يقرؤه، فقد يجد القارئ إجابات عن أسئلة كانت تُؤرقه. وحينما ينصحك القارئ بقراءة هذا الكتاب ولا تجد ما وصفه ينطبق على الكتاب، فلا تستعجل بالحكم؛ لأن هذا الكتاب – بتعبير يسير – لم يُؤلف لأجلك أنت!

أنت أعلم بنفسك

وهنا قد يسأل البعض: هل معنى ذلك ألا نأخذ توصية من أحدهم بأهم الكتب التي قرأها؟ والجواب: بالتأكيد ليس هذا المقصود، ولكن قبل السؤال هناك تصرف لو فعلناه قد يكون أكثر نفعاً لنا.

فيما أننا نحن أعلم بميولنا واهتماماتنا والمجالات التي نُحب القراءة فيها، وليس هناك من هو أعلم منا بأنفسنا، فالأكثر إفادة لنا أن نزرر بأنفسنا المكتبات أو معارض الكتب وننصفح الكتب المعروضة، ونختار ما يشدنا ويستهوينا وتميل إليه نفوسنا، فهذه هي الطريقة التي تخلق لنا قارئاً واعياً شغوفاً.

يقول الكاتب التركي الساخر «عزيز نيسين»: إن قراء كثيرين يسألونه عن أسماء الكتب التي يجب عليهم أن يقرؤوها في أوقات فراغهم. ماذا كان «نيسين» يجيبهم؟! يقول لهم: «افروا... يكفي أن تقرؤوا». وجوابه صحيح، ما عليك إلا أن تقرأ ثم تقرأ ثم تقرأ وستهندي بنفسك إلى الكتب التي تلامك وتلائم ميولك.

ولا مانع – في الوقت نفسه أيضاً – أن نسأل ونطلب من قراء نحتزمهم ونقدّمهم ترشيحات لكتب، لكن علينا ألا نكتفي بهذه الطريقة لمعرفة الكتب المهمة، بل تكون مساعدة لنا. كما علينا أن نضع في حسابنا – للأسباب التي ذكرتها آنفاً – أن ترشيحاتهم قد لا تروق لنا، وليس هناك أي خلل منا أو منهم، بل اختلافنا جعلنا لا نتفق مع اختياراتهم وترشيحاتهم.

كما أننا من خلال اختيارنا بأنفسنا الكتب التي تشدنا، سنقوم نحن فيما بعد بترشيح الكتب التي تُعجبنا لقراء آخرين، وبذا سننفع غيرنا ونفيدة.

كلُّ منا يقرأ على شاكلته

ذكر د. عبد الجبار الرفاعي أنه أكثر من مرة طالع كتباً امتدحها غيره لكنه عجز عن إكمال مطالعتها، فبعضها تركها بعد قراءة المقدمة، وبعضها قرأ بضع صفحات منها ثم تركها إلى الأبد، وهذا ما دعاه بعد ذلك إلى أن يُمارس طريقته الممتعة في اكتشاف الكتب النافهة والثرية بنفسه، وعلل ذلك قائلاً إن القراءة هي ضرب من الدهشة وامتعة اكتشاف، والقارئ الذي يُقاد كالأعمى يخسر بهجة الدهشة وامتعة الاكتشاف. ثم يقول في كلام رائع: «ليس بالضرورة أن تكون كل الكتب الجيدة الملائمة لك ملائمة لي، فمسار حياتي يختلف عن مسار حياة غيري، وجبلي يختلف عن الأجيال الأخرى، واحتياجاتهم العقلية والعاطفية لا تتطابق بالضرورة مع احتياجاتي كلها في محطات زمنية متواليّة من حياتي. كلُّ منا يقرأ على شاكلته».

ذهب نصف عمرك إذا لم تقرأ هذا الكتاب

هناك جملة يقولها بعض القراء تدرج تحت هذه المغالطة، لكنني فضلت أن أضعها في عنوان فرعي وحدها، فما أكثر ما سمعت وقرأت عن قراء وكتّاب يقولون: «ذهب نصف عمرك إذا لم تقرأ هذا الكتاب»، أو «من لم يقرأ هذا الكتاب فلا أعدّه قارئاً في هذا المجال»، أو عبارات نحوها.

وأحياناً يقول بعض القراء عن بعض الكتّاب: «من لم يقرأ لهذا المؤلف فليس يقرأ»، أو كلام قريب من هذا المعنى! السؤال: هل هذا الكلام صحيح؟ الجواب: في أغلب الأحوال لا، فكما ذكرت في الأعلى أننا نحن معشر القراء مختلفون، ولا يمكن أن يوجد قارئان تتشابه أمزجتهما تماماً إلا في استثناءات نادرة لا تُذكر، فما يعدّه قارئاً ما كتاباً مهماً جداً ويخسر كثيراً من لم يقرؤه، يراه قارئ آخر كتاباً عادياً جداً لا يستحق هذا الوصف.

إذن، جملة «ذهب نصف عمرك» – في كثير من الحالات – تُعدُّ مغالطة قرآنية كبيرة، وهي تُعبّر فقط عن رأي صاحبها وتأثير كتاب ما فيه، في مرحلة عمرية معينة، وربما لو قرأ قارئ آخر الكتاب نفسه قد لا يُحدث فيه ثلث التأثير الذي حصل معه.

لكن – مع ذلك – هناك كتباً تستحق هذا الوصف وتُعدُّ عمدة في مجالها، غير أنها كتب قليلة تُعدُّ على الأصابع؛ كتب أجمع كثير من الخبراء والمختصين في القديم والحديث على أنها فعلاً تستحق هذا الوصف، لأنها كتب لا يمكن تجاوزها، وأن من لم يقرأها فقد فوت على نفسه الكثير. كتب خالدة مهما تعاقبت الأزمان.

كتاب «قائمة القراءة» لعمرو فتحي

أدعو إلى قراءة كتاب «قائمة القراءة» للكاتب عمرو فتحي، وهو كتاب جميل جداً وجهد جبار، حيث تتبّع مؤلفه أهم الكتب التي رشّحها كتّاب كبار معروفون، لهم اسم ذائع الصيت، كالعقاد وطه حسين ود. جلال أمين ود. مصطفى محمود، وأحمد بهاء الدين وزكي نجيب محمود وجبرا ورجاء النقاش... قائمة تصل إلى قرابة 78 كتاباً.

ستخرج من قراءة الكتاب بمعرفة أهم الكتب التي كان لها أثر كبير في هؤلاء الكتّاب، وستجد أن هناك تشابهاً في ذكر بعض الكتب أو بعض الكتّاب أكثر من غيرهم لدى بعضهم، وبالتأكيد ستجد هناك اختلافات أيضاً حول أهم الكتب التي تركت أثراً فيهم.

الكتاب أكّد لي أن تأثير البيئة والمرحلة التي نشأ فيها له دور أيضاً، ففي كل مرحلة زمنية تكون هناك نوعية من الكتب منتشرة، أو مجالات أكثر قراءة من غيرها، أو تجد بعض الكتّاب لهم صدى أكبر من غيرهم لدى القراء، فطبيعي أن تكون كتبهم منتشرة متداولة وتقرأ أكثر من كتب اختفت أو لم تعد متوفرة، أو مؤلفون أصبحوا هم وكتبهم

في طي النسيان! فهذا عامل مهم لا يُغفل، ويُساهم في انتشار بعض الكتب أو بعض المجالات ويجعلها وكأنها عامة لدى كثير من محبي القراءة.

الكتاب جميل وعرفني أيضاً إلى كتب مهمة كان لها تأثير في كثير من الأدباء، ويستحق الاطلاع مع التذكير بأن بعض ترشيحات هؤلاء الأدباء الكبار قد لا تروق لنا أو لا تُحدث ذلك التأثير فينا كالذي أحدثته فيهم.

### المغالطة الرابعة: لا بد أن أقرأ كل كتاب كاملاً

هذه مغالطة منتشرة لدى بعض القراء، وقد خصصت لها مقالاً كاملاً في كتاب «عزاءات القراءة»، وأجبت عن هذا الموضوع بتفصيل كبير. وقد عدّ الكاتب عبد المجيد تراز هذه المغالطة أحد الخرافات الشائعة في القراءة.

أحبُّ أن أضيف هنا أننا في القراءة الحرة نقرأ للمتعة أيضاً، وعلى حد نصيحة «بورخيس» الشهيرة إننا إذا وجدنا الكتاب الذي نقرؤه ممللاً فليتنا أن نتركه، حتى لو كان الكتاب مرغوباً من شريحة كبيرة من القراء، أو كان الكاتب شهيراً.

من حقوق القارئ التي ذكرها الكاتب «دانيال بياك»: الحق في القفز عن الصفحات، والحق في عدم إنهاء الكتاب، والحق في أن نقطف هنا وهناك، وغيرها من الحقوق. وعلل دانيال السبب في ذلك بأننا إن كنا نرغب من أبنائنا والشباب أن يقرؤوا، فمن العدل أن نعطهم الحقوق.

بعض القراء – المبتدئين خاصةً في عالم القراءة – يشعرون بتأنيب الضمير حين لا يقرؤون الكتاب كاملاً، ويعتقدون أن الفائدة لا تحصل إلا بقراءة الكتاب كاملاً. وقد أجبت عن هذه المغالطة – كما ذكرت – في كتابي «عزاءات القراءة»، ولكن هنا أرغب في أن أؤكد أنه ينبغي أن نفرّق بين نوعية الكتب، فليس كل كتاب ينبغي أن نقرأه من الغلاف إلى الغلاف.

بعض الكتب لا تستحق سوى الاطلاع السريع وتمرير العين على صفحاتها بسرعة، وبعضها نكتفي بقراءة عدة فصول منها، والبعض الآخر، كثير من صفحاته يستحق القفز عنها وتجاوزها، ولكن في المقابل هناك بعض الكتب التي ينبغي أن نقرأ من الغلاف إلى الغلاف، كما أنّ هناك كتباً أخرى ينبغي تكرار قراءتها مرات ومرات، إذا أردنا أن نحوز على دررها.

قد يسأل أحد القراء: من الذي يُحدّد أن هذا الكتاب يُقرأ بطريقة سريعة، أو تُقرأ منه عدة فصول فقط، أو ينبغي القفز عن كثير من صفحاته؟ وأقول: القارئ هو من يُحدّد ذلك. فمثلاً إذا كان القارئ متعمقاً بشكل كبير في موضوع ما، ففي هذه الحالة لا يجب عليه أن يقرأ الكتاب من الغلاف إلى الغلاف، وإذا وجد أن أغلب المعلومات التي يقرؤها في الكتاب الفلاني قد مرّت به مرّات كثيرة، حتى إنه أصبح شبه حافظ لها! فالتصرف الصحيح هنا أن يتجاوز قراءة هذه الصفحات، ولا يُضيع وقته المحدود في تكرار ما يحفظه عن ظهر غيب.

أما إذا كان القارئ يقرأ في كتاب، ووجد أنه يحتوي على معلومات يعرفها نوعاً ما، لكنها ليست معروفة إلى درجة أن أصبح شبه حافظ لها، فهنا يكتفي القارئ بالقراءة السريعة وتمرير العين على هذه الصفحات. وإذا كان القارئ يقرأ في كتاب ووجد فيه عدة فصول تتحدث عن مواضيع لا تهمه ولا يرغب في معرفتها، فهنا بإمكانه تجاوز هذه الفصول وقراءة الفصول التي تهمه، من دون الشعور بأي ندم.

وإذا كان القارئ لديه شغف في معرفة موضوع معين، ووجد نفسه لا يعرف عن هذا الموضوع إلا أقل القليل، فهنا عليه أن يقرأ الكتاب كاملاً ليأخذ فكرة عامة عن الموضوع، ولكن إن وجد أسلوب الكتاب لا يروق له ويُصيبه بالملل، فمن حقه أن يبحث عن كتاب آخر ويترك قراءة هذا الكتاب.

هذا في القراءة التخصصية أو البحثية أو ما شابهها، أما كتب الأدب فقراءتها مختلفة، فنحن نقرأ للاستمتاع والفائدة أيضاً. فالعمل الأدبي كالرواية أو غيرها، الأصل أن يُقرأ كاملاً، متى ما كان الكتاب ممتعاً واستطاع أن يشدنا بسرده وحيكته، لكن إن وجدنا أن الكتاب لم يستطع أن يمتعنا بقراءته ويُصيبنا بالضجر ونحن نمضي في صفحاته، فهنا علينا أن نتركه وننجم إلى قراءة كتاب آخر يكون ممتعاً لنا. وليس هناك أية فائدة من أن نُعذب أنفسنا بقراءة كتاب لم يستطع أن يجذبنا إليه، حتى لو أتى على هذا الكتاب كتاب وقراء لهم نُقلهم في عالم القراءة.

إذن، الكُتب لا تُقرأ بطريقة واحدة، والقارئ هو من يُحدّد ذلك حسب أهمية الموضوع بالنسبة إليه، ومدى عمقه فيه، ومدى رغبته وشغفه في قراءة موضوع ما، أو حسب إمتاع الكاتب وأسلوبه، وغيرها من العوامل الأخرى.

فحقك أيها القارئ كما قال «دانيال بياك» ألا تُكمل قراءة أي كتاب لا يروق لك، ولا تشعر بالندم على ذلك، فالكتب كثيرة والوقت قصير، والوقت أثن من أن يضيع في قراءة كتاب لا تجد بينك وبينه أي كيمياء.

### هل ستقرأ كل هذه الكتب؟

ولعل في هذه المغالطة إجابة عن السؤال الذي يُسألُه كل صاحب مكتبة ضخمة: هل قرأت كل هذه الكتب؟ ماذا تُريد بكل هذه الكتب؟ لماذا تشتري الكتب بكثرة؟ هل لديك الوقت لتقرأ كل هذه الكتب؟! متى ستجد الوقت لقراءة هذه الآلاف المؤلفات من الكتب؟ وغيرها من الأسئلة التي يتعجب منها كل شخص غير قارئ ولا يعرف ماذا تعني الكتب لأصحابها.

بالتأكيد لن يجد أي قارئ شغوف وقتاً ليقرأ كل كتاب تهفو إليه نفسه، لأن معدل شرائه للكتب يفوق بكثير معدل قراءته لها، لاسيما في أيام معارض الكتب (28)، لذلك تجد لديه عشرات الكتب بل المئات في القائمة التي يرغب في قراءتها، ولكن لا وقت لديه.

أما الجواب عن كل من يسأل مثل هذه الأسئلة أعلاه، فسأذكر ثلاثة أسباب مهمة تدفعنا إلى شراء كتب أكثر بكثير مما يسمح للوقت بقراءتها، وهي:

أولاً: كما أوضحت في الرد على المغالطة أعلاه، إن القارئ الشغوف لا يشتري كل كتاب ليقرأه من الغلاف إلى الغلاف، بل هو على يقين أن بعض الكتب يحتاج منها بعض الفصول فقط ليقرأها. كتب كثيرة تشتريها ليس بغرض قراءتها من الغلاف إلى الغلاف – كما ذكرت ووضحت – بل تشتريها لأسباب أخرى.

بعض الكتب وجودها ضروري في كل مكتبة، لا يستغني عنها أي بيت مسلم، ككتب تفاسير القرآن الرئيسية، وأهم كتب الأحاديث النبوية الصحيحة، وأهم كتب السيرة النبوية والكتب التي تروي أخبار الصحابة والتابعين والسلف، وأهم كتب الفقه التي تعلمنا أمور ديننا، والكتب التي تروي تاريخ الدولة الأموية والعباسية وغيرها، فهذا جزء مهم من تاريخنا لا يجوز أن نكون جاهلين فيه، ووجود معجم لغة عربية ولو مبسط يشرح مفردات اللغة العربية، وغيرها.

كل هذه الأنواع من الكتب ليس شرطاً أن تُقرأ جميعها من الغلاف إلى الغلاف، بل وجودها ضروري في المكتبة المنزلية كما ذكرت، للرجوع إليها لمعرفة حكم فقهي أو شرعي أو تفسير آية أو معرفة معنى حديث، أو استذكار خبر من السيرة النبوية، أو فهم معنى كلمة، وغيرها. في الغالب نقرأ هذه الكتب عند الحاجة إليها، ولكن ليس معنى ذلك ألا ننصح بقراءتها من الغلاف إلى الغلاف.

بعض الكتب نشريها على أمل أننا سنقرؤها في المستقبل القريب، أو أننا نرغب في قراءتها متى ما سنحت لنا الفرصة، لذلك نقتنيها ونضعها على أرفف مكتبتنا. بعض الكتب نشريها لأنها تذكرنا بمرحلة عمرية معينة تجاوزناها، لكننا نرغب أن نكون في مكتبتنا ولو لم نعد نقرأها.

بعض الكتب نشريها لأنها تقيد أبناعنا وأسرتنا وإن كنا نحن قد تجاوزنا مضامينها بمراحل. بعض الكتب نقتنيها لأننا نعرف قيمتها الدينية والعلمية، وإن كنا نعلم أننا لن نقرأها، لكننا نرغب أن نكون في مكتبتنا ونفرض باقتنائها.

ثانياً: منظر الكتب وهي محيطة بنا، يكفي بأن يدخل السعادة إلى قلوبنا، وإن كنا على يقين أننا لا نملك الوقت لقراءتها كلها. لكن السعادة – كما قالوا – هي أن تُحيط بك الكتب من كل جانب.

يقول الكاتب «خيسوس مارتشامالو غارثيا» في شرحه للأسباب التي تدفعنا إلى الاحتفاظ بكتب كثيرة نعرف أننا لن نعاود قراءتها، وأنها نملك مكتبة مكتظة بالكتب، بأن الكتب توحي بشيء من السلطة الثقافية، فهي تسبغ على أصحابها وجاهة، كما تُعد علامة على الطموح الفكري بوجه عام، وتسبغ على البيت طابعاً خاصاً.

وصدق في تحليله فالكتب لها هبة، لاحظت ذلك في كل من يأتي لرؤية مكتبتي الشخصية، حيث ينهر بمنظر الكتب الكثيرة المتراسة جنباً إلى جنب، ويرأها مصفوفة بطريقة مرتبة، فيشعر بهيبة المكان واحترامه وتقديره له، ولا يرغب في أن يتركه. وقد قال لي كثيرون: إنهم يشعرون باسترخاء وهم جالسون هنا في المكتبة، فهناك هدوء يحيط بالمكان يُبعد عنهم ضجيج الحياة الصاخب.

ولا عجب في ذلك، فحين تجالس الكتب إنما أنت تجالس أرواح مؤلفيها لا أوراقاً، كما قال مانغويل، تجالس الفلاسفة والمفكرين والمصلحين والمخترعين والعظماء وغيرهم، فتشعر بروحهم وأفكارهم تسري في روحك بمجرد جلوسك بجوار كتبهم التي هي أرواحهم، من دون أن تشرع في قراءتها.

ثالثاً: هذا من أهم الأسباب: الكتب النافعة من العلم النافع الذي يُنتفع به بعد موت صاحبه، فمهما طال الزمن لا بد أن نرحل عن هذه الحياة الفانية ونترك مكتبتنا، وقد توضع مكتبتنا في إحدى مكتبات المساجد، أو يُتبرع بها إلى إحدى مكتبات الجامعات، أو تكون مكتبة عامة، ينتفع بقراءتها خلقٌ كثير، أو تُؤول إلى أحد الشغوفين بالقراءة فينتفع بها وينفع غيره بعد ذلك، من خلال تأليف الكتب وتقديم المحاضرات والدروس وغيرها.

كل ذلك يحفزنا على ألا نخجل بشراء كتاب نافع ولو لم نستطع أن نقرأه في حياتنا، فالمال الذي نصرفه على المأكول والملبس والماديات يذهب ويذهب ما اشتريناه به، ولكن الكتب تبقى معنا ننفع بقراءتها، وغالباً تعيش عمراً أطول من أعمارنا، فالكتب تبقى ونحن نرحل، كما قالوا. لذلك لا أبخل على نفسي بشراء كتاب نافع ولو أنني شبه متأكد أنني لن أجد الوقت لقراءته مع جبل الكتب الذي معي، لكن قد يقرؤه أشخاص غيري من بعدي ويصلني أجر نفعهم بكتاب اقتنيته.

هذه أهم الأسباب التي تجعلنا لا نتوقف عن شراء الكتب، مع علمنا علماً يقينياً بأننا نحتاج إلى عُمر كعُمر نبي الله نوح – عليه السلام – لقراءة جميع الكتب التي بحوزتنا.

#### المغالطة الخامسة: لا أقرأ كتب المعاصرين! لا أقرأ إلا في مجال واحد!

في أحد دورات معرض مسقط الدولي للكتاب، رأيت أحدهم – وهو من دولة خليجية – يسأل الدار التي كنت موجوداً فيها عن اسم كتاب معين أين يجده، فلم يعرف الناشر، فأخبرته بالدار التي نشرته، فقال لي يبدو أنك على معرفة بالكتب ولديك اهتمام شديد بها. فقلت له: نعم، ومن ثم تحدثنا حول الكتب واهتماماته.

قال لي الأخ الفاضل: إنه قارئ جيد، وسألته حينها عن يقرأ لهم ومن الكتاب الذين تأثر بهم؟ ففاجأني بأنه لا يقرأ ولم يقرأ لكتب المعاصرين إطلاقاً! مهتم بكتب التراث وفي مجال واحد فقط! وهو مجال اللغة العربية، وزيارته لهذا المعرض وغيره هي بحثاً عن الطبعات القديمة والنادرة لا الجديدة لهذه الكتب!

حينها سألته: لماذا لا تقرأ للمعاصرين حتى في المجال الذي شغفت به، فكان معني جوابه أنه يرى أن الأولين هم من حازوا هذا العلم وأن من جاء بعدهم ليس لديهم أي جديد حول ذلك، بل يكرزون ما قاله السابقون!

جواب هذا الأستاذ الفاضل جعلني ألقب الفكر مرات، فهو لديه قناعة تامة بأن الكتاب المعاصرين لا يُحسنون الكتابة ولا جديد لديهم ليضيفوه، ولا ينبغي إضاعة الوقت في قراءة كتبهم، لذلك هو يجهل تماماً من هم الكتاب المعاصرون؟ كذلك تركيزه منصب فقط على مجال واحد وليس لديه فكرة ولو صغيرة وعامة عن المجالات الأخرى!

هل من يفعل ذلك بعدُ قارئاً جيداً؟ بالتأكيد لا، ففي تصرف الأستاذ الفاضل مغالطتين قرأتهن كثيرتين! الأولى هي أن العلم كله قد حازه الأولون، وأما المعاصرون فكل علمهم قد أخذوه من كتب السابقين وليس لديهم جديد، فلماذا نضيع أوقاتنا في قراءة كتبهم. وهو – للأسف – اعتقاد ليس بصحيح.

نعم، الأولون لهم الفضل الكبير – بعد الله – في اكتشافهم وسبرهم لكثير من أغوار العلوم، وقد مهدوا لمن أتى من بعدهم في كثير من العلوم، لكن هذا لا يعني إطلاقاً أن الابتكار قد توقف عندهم، وأن من يأتي بعدهم لا يمكن أن يضيف شيئاً.

يقول د. محمد الحمد في نصحه لمن يزهد في الكتابة والتأليف بحجة أن ليس لديه جديد ليضيفه، وأن السابقين ما تركوا شيئاً إلا وقد سبقونا إليه: «وما زال العلماء يُحذرون من مقولة: «ما ترك الأول للآخر شيئاً»، ويوصون بالكلمة الأخرى وهي: «كم ترك الأول للآخر»».

كم أضاف المتقدمون من علم لم يصل إليه علم السابقين! وكم من كتب كتبها السابقون لم يستطع فهمها كثير من طلبة العلم واستغلقت على أفهامهم، حتى أتى أحد المعاصرين فشرح علمهم وسهله ونشره في كتاب وقدم خدمة جليلة لمحبي العلم، وأصبح كتابه مدخلاً لمن يُريد أن يقرأ الكتاب! ولا بد أن يُقرأ كتابه أولاً لمن يُريد قراءة الكتاب.

نعم، كثير من كتب المعاصرين تُعد مدخلاً لكتب السابقين، التي في العادة لغتها وطريقة كتابتها تستغل على كثير من طلاب العلم المعاصرين. لذلك يُصح المبتدئ في أي مجال بعدم قراءة كتب الأولين مباشرة، لأنه سيجد أن هذا العلم صعبٌ عليه وربما تتأثر نفسيته ويعتقد بأنه عديم الفهم لا يصلح لهذا العلم، فيتركه. والأمر ليس كذلك، فكتب السابقين كتبت في زمان مختلف عن زماننا، والكتابة – كما هو معلوم – تتأثر بالبيئة التي ينشأ فيها الكاتب.

إذن، كم يفوت الواحد منا حين يزهد في كتب المعاصرين، بحجة أن ليس لديهم جديدًا ليقدموه! فما يدري الواحد منا، ربما لو قرأ كتاباً لأحد المعاصرين، لوجد أنه استعاد وفهم أموراً كانت مستغلة عليه ولم يفهمها لما حصر نفسه في قراءة كتب السابقين فقط!

القارئ الجيد يقرأ للسابقين والمعاصرين، يقرأ للمخالف والموافق، يقرأ لمن من بيئته ولمن ليس من بيئته، يقرأ ولا يحصر نفسه في بيئة معينة أو زمن معين أو طائفة معينة؛ لأنه يعلم أن الفائدة قد يجدها في أي مكان وليست حصرًا في زمن ما أو بيئة معينة.

اقرأ في مجال واحد فقط!

المغالطة الثانية الكبيرة عند الأستاذ الفاضل، هو حصر نفسه في القراءة في مجال واحد. نعم، القارئ الجيد لديه مجال يُركز عليه بنسبة تتراوح بين 50% إلى 60%، ولكن النسبة الباقية يوزعها على مجالات أخرى، وقد ذكرت هذا الكلام في أحد إجاباتي في كتاب «شجون القراء»، وذكرت أن القراءة في مجال واحد تجعلنا محدودين الألق، ذوي نظرة قاصرة، محصورين في مجالنا فقط لا نرى سواه. وهذا النوع من التفكير يُعدُّ مشكلة كبيرة، لأنه يجعلنا متعصبين متحيزين لمجالنا الذي غرقنا فيه ونرى أن غيره من المجالات هو إضاعة للوقت! والتعصب والتحيز هما من أكبر المشكلات التي ينبغي قدر الإمكان أن نتجنبها.

### العلوم مترابطة

ينصح الإمام ابن الجوزي فيقول: «ينبغي لكل ذي علم أن يُساهم بباقي العلوم، فيطالع منها طرفاً، إذ لكل علم تعلق». نصيحة صحيحة من عالم فذ، لا يختلف على صحتها اثنان. فالثقافة العامة مطلوبة لتوسعة عقولنا، وعدم الدخول في التعصب الذي أحد أسبابه التركيز على مجال واحد فقط من دون الالتفات – ولو قليلاً – إلى المجالات الأخرى، كما بينت.

حين نُريد أن نُثني على كاتب ما، فإننا نقول عنه إنه قارئ موسوعي، يقرأ في مجالات عدة ولا يحصر نفسه في مجال واحد. والكاتب نفسه يفرح كثيراً حينما يصفه أحدهم بأنه موسوعي القراءة، لأنه يعلم أن هذا الوصف يعني أنه رجل لا يحصر نفسه في تخصصه ويجهل ما يجري خارجه.

الكاتب يعلم قبل غيره أن القراءة الموسوعية تنفعه في تخصصه الذي يكتب فيه، وأنه يستفيد من القراءة في مجالات بعيدة عن تخصصه في الكتابة في مجاله. وهنا نُذكر بقصة العملاق عباس محمود العقاد الشهيرة التي وردت في سيرته الماتعة (أنا) لما قال إن أديباً زاره في بيته فوجد على مكتبه بعض المجلدات التي تتحدث عن غرائز الحشرات، فسأله متعجباً ما علاقته بالقراءة في الحشرات وهو أديب يكتب في الشعر والنقد والاجتماع والسياسة؟!

فأجابه العقاد إنه إذا اطلع أحدهم على كتاب عن الحشرات، ليس معنى ذلك أنه يرغب في أن يكتب كتاباً عن الحشرات، ولكنه يطلع لينفذ إلى مواطن الطبائع وأصولها الأولى، ثم يعرف كيف ينشأ هذا الإحساس أو ذلك، فيتقرب بذلك من صدق الحس والتعبير، ولو في غير هذا الموضوع.

بالنسبة إليّ فإني لا أحصي الفوائد التي جنيتها في موضوع القراءة ومؤلفاتي فيها، من كتب قرأتها بعيدة كل البعد عن تخصص القراءة، إذ كنتُ أقرأها فقط للترويح والمتعة والابتعاد عن المجال قليلاً ولتجديد النشاط. فكم من فائدة، وكم من معلومة رائعة، لم أجدتها في كتب القراءة، بل وجدتها في كتب تاريخية، أو سياسية، أو علم نفس، أو غيرها!

أذكر – إن لم تخني الذاكرة – أنني سمعت في إحدى محاضرات د. سلمان العودة، التي كان يتحدث فيها عن أهمية القراءة الموسوعية، بأنه سُئل ذات مرة عن أنهم يجدون في تفسيره لكتاب الله الخالد (القرآن الكريم) معاني لا يجدونها في غيره من التفسيرات؟ فأجاب د. سلمان بأنه ربما لم يكتف بقراءة كتب التفسير فقط، بل قرأ في كتب متنوعة في مجالات مختلفة، فأضافت إليه معاني جديدة وفهماً أعمق في تفسير آيات القرآن.

إن، حصر أنفسنا بالقراءة في مجال واحد يضرنا من دون أن ندري، وقد جعلنا الانهماك في هذا المجال من دون الاسترواح منه بالقراءة في مجالات أخرى، ننفر منه بعد ذلك ولا نُطبقه. وما أجمل أن تجعل للشوق مساحة، فنترك ما ألفناه قليلاً، لنجعل الشوق يجذبنا إليه بقوة وشغف كبيرين!

## ثلاثون يوماً مع القراءة والكتابة

خلال قراءاتي الكثيرة المنتوعة التي امتدت سنوات طويلة - بفضل الله - كنتُ أقع على مقولات وعبارات ونصائح وقصص تدور حول القراءة والكتابة، عبارات تشدني فأدونها وأحتفظ بها. ورغبة في إفادة غيري كنت أنشر بعضها على حساباتي في مواقع التواصل الاجتماعي، وقد فعلت ذلك طوال سنوات كثيرة قبل أن أدخل عالم التأليف، وواصلت بعد التأليف.

في السنتين الأخيرتين قُلْتُ بشكل كبير من النشر في حساباتي لأسباب لا داعي لشرحها هنا، فكنتُ أنشر بعضاً منها على فترات متباعدة، ومع ذلك بقي لدي الكثير مما لم أنشره، إضافة إلى أنني قرأت كتاباً جديداً، وقعت على أشياء جديدة متعلقة بالقراءة والكتابة.

مضت السنوات وأخرجت - بفضل الله - كتباً في القراءة واستفدتُ من بعض هذه المنشورات في إخراج كتبي، ولكني بقيت محتاراً كيف أنقل هذه المنشورات القرآنية - التي نشرتها في حساباتي، والتي لم أضعها في أحد كتبي - وأضعها في كتاب قد يستفيد منه القارئ؟ فمواقع التواصل مهما كانت سرعة اللوح إليها، فإني أرى أن ما ننشره فيها يُنسب لبعضه بعضاً، إضافة إلى أن هناك شريحة قرآنية جيدة لا تدخل هذه المواقع وليس لديها حسابات فيها.

ظلمتُ أفكر محاولاً أن أجد طريقة سلسلة جذابة، أنشر بها هذه المقولات والقصص والنصائح القرآنية في كتاب، فلم أرغب في نشرها بالطريقة التقليدية أو وضعها في اقتباسات في مقال طويل. كنتُ أرغب في طريقة مختلفة تشدُّ القارئ نحو قرآنها ببساطة.

في كتاب «تباريح القراءة» نسجت حوارات مُتخيَّلة بيني وبين بعض الكتاب لأضع أهم نصائحهم وآرائهم في القراءة. والحمد لله، لاقت هذه الفكرة قبولاً شديداً من القراء بل الكتاب أيضاً! إذ تواصل معي كتاب كثر يشكرونني على هذه الحوارات المتخيَّلة، ويقولون لي: لو وضعت كتاباً كاملاً بهذا الأسلوب لكان أفضل.

كم أسعدتني كثيراً هذه الحفاوة! إلا سيما أنها ليست من كاتب أو اثنين أو ثلاثة، بل كتاب كثيرون جداً أقدرهم وأحترم رأيهم يشيدون بجمال الفكرة، ويطلبون مني أن أفعل ذلك مع كتاب آخرين. والفضل لله أولاً وأخراً أن المهني هذه الفكرة! فكل ذلك محض توفيق من الله وحده.

وما زلتُ أتأمل وأفكر في طريقة لنشر ما نشرته من هذه المنشورات وما لم أنشره أيضاً، حتى هداني الله سبحانه أن ضع النزر اليسير من هذه المقولات على طريقة توزيع الأيام. وخشية تضخم الكتاب اخترتُ ثلاثين مقولة، نشرتُ بعضها من قبل في حساباتي والبعض الآخر جديد لم أنشره<sup>[29]</sup>.

بداية قررت أن أذكر المقولة أو القصة أو النصيحة من دون تعليق مني، وأجعل القارئ يستخرج منها ما شاء، لكنني عدلتُ عن هذه الفكرة وقررتُ أن أضع تعليقاً صغيراً مني ولا أتوسع في ذلك إلا إذا دعت الضرورة، لإيماني بوضوح الفكرة من المقولة أو القصة أو النصيحة. كما أن كل قارئ قد تظهر له استنتاجات من المقولة أو الحكمة أو القصة مختلفة عن قرائ آخر، لأننا معشر القراء - كما هو معلوم - لسنا سواء، تختلف خلفياتنا الثقافية وميولنا وتوجهاتنا، وهذا كله يجعلنا مختلفين في الفهم والاستنتاج.

قد يسأل أحدهم: هل معنى ذلك أن أقرأ في كل يوم نصاً واحداً فقط؟ وأقول: ليس شرطاً. القارئ أعلم بنفسه وما يلائمها؛ فيبعض القراء يكتبون بقراءة نصيحة واحدة في اليوم، ولا يُحب أن يُنقل على نفسه بقراءة نصائح الأيام دفعة واحدة، كما أنه يجد مُنعة أكثر بتوزيعها على أيام كثيرة ويرى أنه يستفيد أكثر مما لو قرأها دفعة واحدة. أما البعض الآخر فليس لديه أي مشكلة في أن يقرأ هذه المقولات دفعة واحدة، وقد يُهيئها في جلسة واحدة أو جلستين ويرى أنه يستفيد في ذلك. فالأمر يرجع إليك أخي القارئ.

القصد من هذه التوليفة هو الإفادة والإمتاع، وأسأل الله أن أكون قد وفقت في ذلك ليكون هذا الفصل متاعاً نافعاً مسلياً.

## اليوم الأول: لا تترك الكتابة

يذكر الشيخ محمد ناصر العبودي أنه كلما كان يُوفد إلى مهمة خارجية من سماحة الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز - لما كان رئيساً للجامعة الإسلامية وأيضاً لما كان مكلفاً برئاسة الإفتاء والبحوث العلمية - كان الشيخ ابن باز يوصيه ويقول له: «اكتب يا أبا ناصر! لا تترك الكتابة».

ويقول أيضاً الشيخ العبودي إنه إذا حضر في مجلس من المجالس العلمية، يسأله سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - هل كتبت كتاباً جديداً؟ فيرد عليه الشيخ العبودي: إن كتبت - يا سماحة الشيخ - كلام مجمع! فرد عليه سماحة الشيخ في أحد المرات قائلاً: «كل الكتب كلام مجمع». كما كان سماحة الشيخ يوصي الشيخ العبودي بكتابة رحلاته التي يرحل إليها في خدمة الإسلام.

علينا أن نأخذ بهذه النصيحة البازية الثمينة ولا نلتفت إلى من يقول: وماذا سيفيد كتابك؟ ليست كتبك إلا كلاماً مجعماً لا فائدة منها! من يهتم بالكتب اليوم؟! هناك آلاف الكتب. من سيفقرأ كتابك من بينها؟ وغيرها من الكلام المثبِّط. فكم من كتاب أخرجه مؤلفه وانتفع به خلق كثير، وكان مؤلفه يظن أنه ليس ذا قيمة كبيره!

## اليوم الثاني: كن قارئاً نافداً موسوعياً

يقول الكاتب أحمد بن ناصر الطيار: «من لم يتوسّع في القراءة والإطلاع، ظلَّ عقله وتفكيره محبوساً في سجن عاداته وخبراته. ومن لم يُبحر في التفكير والنظر والنقد، بقي تبعاً وعالة على من قرأ لهم، لا يكاد يخرج عن آرائهم وأفكارهم».

نصيحة لا تحتاج إلى إيضاح لكل من يرغب في الخروج من أسر عاداته وأسرها غيره، لأن توضيح الواضحات - كما قالوا - يزيد بها غموضاً.

## اليوم الثالث: العقاد والكتب والقراءة

تحدّث عامر العقاد، ابن أخ العملاق عباس العقاد، عن ماذا تعني الكتب في حياة العقاد، فقال: «صحبتُ العقاد عشر سنوات كنت أقوم خلالها بعمل «السكرتير» له، أراجع تجارب كتبه ومقالاته الصحفية ضمناً لعدم وقوع الخطأ. كما كنتُ أحضّر الكتب التي تصل من العالم الغربي له في يومها من المكتبات المختلفة، فأعرضها عليه بصومعته ينتقي منها ما يروقّه ويُعيد ما تبقى منها، وندراً ما كان يرد كتاباً لصاحب مكتبة، فقد تعود معظمهم أن يعرف نوع القراءة التي يفضلها».

إن الكتب هي كل شيء في حياة الرجل. نادراً ما خلا ركن في البيت منها لدرجة أن صواناتها ضاقت بها فزحفت إلى الشرفات والممرات، حتى مطبخ الشيخ «أحمد حمزة»، طاهيه من ثلاثين عاماً عزّته بعض الكتب. كيف لا! وهي في نظر صاحبها وسائل الوصول إلى معرفة سر الحياة، بل هي النوافذ التي تطل على حقائق الحياة».

لا عجب - إذن - أن يكون عباس العقاد في طليعة عمالقة أدباء القرن العشرين ومفكرهم، فهو قارئ نهم موسوعي من طراز مختلف جداً، صنع نفسه بالقراءة من دون أي شيء آخر، حيث ترك العقاد - كما هو معروف عنه - الدراسة بعد انتهائه من المرحلة الابتدائية، واتجه إلى القراءة بنهم. يقول: «منذ أن أنهيت الابتدائية عام 1903م وحتى عام 1907م وبعيداً عن جدران مباني المدارس، قرأت العشرات بل مئات من الكتب التي كانت تستعصي قراءتها على أساتذة ونظار كانوا يقبعون داخل تلك

المدارس، وهم يجترون معلوماتٍ جدًّا متواضعةً إذا ما قورنت بما اكتسبته بمجهوداتي الذاتية، فهم يجلسون مدة سويغات محددة في الأسبوع، بينما كان زمن القراءة عندي مفتوحاً على مصراعيه.

والى جانب إباحتي بعيون أمهات الكتب التراثية والإسلامية كان لدي إصرارٌ على تعلُّم اللغات الأجنبية. تعلمت الألمانية، والإنكليزية، والفرنسية، بعيداً عن جدران المدارس، لأنَّ التعلُّم في تلك المرحلة بالنسبة لي كان صادراً عن الإحاح ورغبة في الارتقاء، وليس مفروضاً حسب الأوامر والنواهي داخل جدران تلك المدارس»<sup>(30)</sup>.

العقاد يُدين الفضل – بعد الله – في صنعه أدبياً يُشار إليه بالبنان إلى القراءة، لذلك لم يتركها ولا يوماً واحداً في حياته. يقول العقاد: «أنا كنتُ وما زلتُ، وسأبقى ما بقي لي يوم من العمر، نهماً جداً لقراءة الكتب».

□  
القراءة، ثم القراءة، ثم القراءة، هي سبيلنا إلى الترقى بعد توفيق الله سبحانه.

اليوم الرابع: لا نتوقف عن القراءة

تقول الكاتبة لطفية الدليمي: «كان أينشتاين في كل أطوار حياته قارئاً نهماً لم تقتر شهيبته للقراءة يوماً، وقد مكنته هذه القراءة الحثيثة على التعلُّم الذاتي من أفضل العقول التي عرفها التاريخ البشري».

هكذا ينبغي أن يكون كل شخص طامح ويرغب في إثراء عقله. لا يتوقف عن القراءة مهما كان، ومهما وصل إليه من المناصب، ومهما كتب وألف من كتب، ويحذو حذو العبقري أينشتاين؛ لأن التوقف عن القراءة معناه التراجع والانحدار، وذلك ليس من شأن المثقف الحقيقي.

اليوم الخامس: الكتب تُخبر الكثير عنا

يقول الكاتب «ثيومي دلبوي ريبالك»: «قال والتر بنجامين مرة، يمكنك معرفة الكثير عن شخص ما من خلال الكتب التي يحتفظ بها؛ أذواقه واهتماماته وعادته. الكتب التي تحتفظ بها وتلك التي نتجاهلها، وتلك التي نقرأها، وكذلك تلك التي نُقرّر عدم قراءتها، كلها تقول شيئاً عن هويتنا».

ما نقرأه يُشكلنا ويُعيد صياغتنا، ويُخبر الكثير عنا وعن مكونات أنفسنا وعن شخصياتنا. لذلك ينبغي أن ننتبه جيداً إلى ما نقرأه، وما نقتنيه من كتب.

اليوم السادس: ضرورة المكتبة المنزلية

يقول بورخيس في أحد اللقاءات معه: «نشأتُ في مكتبة والدي. صحيح أنني ارتدت المدرسة، لكن هذا لا يحمل أدنى أهمية. نشأتُ الحقيقية كانت في مكتبة والدي».

وجود مكتبة منزلية أمر من الأهمية بمكان، فقد تجذب الكتب أحد أفراد الأسرة فيكون صديقاً لها. وكما أخرج لنا العكوف مع الكتب عباقرة ومفكرين ومخترعين وفلاسفة وعظماء! والشواهد كثيرة.

اليوم السابع: القراءة لدى دوستوفسكي

يقول الكاتب الروسي «ديمتري غريغوروفيتش» عن الروائي الروسي العملاق «دوستوفسكي»، وكان قد زامله في أثناء دراستهما معاً في مدرسة الهندسة: «برزت لدى دوستوفسكي سمات عدم العشرة الاجتماعية. فهو كان يعتزل ولا يشارك في الألعاب. يجلس غارقاً في الكتاب ويبحث عن مكان معزول، وسرعان ما اكتشف هذا المكان وصار المفضل لديه؛ زاوية في الحجرة الرابعة وفيها نافذة تطل على نافورة صغيرة».

في أثناء الاستراحة يمكن إيجاده، دوماً هناك، ودوماً مع الكتاب. كان دوستوفسكي في كل المجالات أرفع مني من حيث النمو والتطور، وإطلاعه الواسع أذهلني! إن أول المؤلفات الأدبية التي قرأتها دلني إليه دوستوفسكي... وعلى الخصوص «بحيرة أونتابو» لمؤلفها «كوبرو» التي جذبتني كلياً إلى عالم القراءة».

ابحث وستجد دائماً أن الروائيين الكبار والفلاسفة وغيرهم لديهم نهم شديد نحو القراءة، لذلك كان الكتاب لا يفارقهم، ليفقههم أن الإبداع يأتي من كثرة القراءة والإطلاع على أفكار الآخرين وتجاربهم.

اليوم الثامن: القراءة لدى بورخيس

يقول بورخيس: «لطالما كنتُ قارئاً أكثر من كوني مؤلفاً... قبل أن أفقد بصري كنتُ أشعر بالملل الشديد إذا اضطرت إلى قضاء نصف ساعة من دون أن أفعل شيء، إذ كان لا بد أن أمارس القراءة».

القراءة تكون قبل الكتابة والتأليف وليس العكس. وليست أي قراءة أيضاً، فالقراءة الضحلة لا تصنع كاتباً حقيقياً، لابد أن تكون قراءة عميقة في ساعات يوماً على مدى سنوات طويلة، قراءة في مجالات كثيرة؛ في الدين والفكر والفلسفة والشعر والمسرح والروايات والتاريخ وغيرها من المجالات التي لا تعد ولا تحصى.

قراءة تُسيطر على أغلب أوقات الكاتب، وتكون شغفاً حقيقياً لديه لا تقتر بأي مؤثرات خارجية. فلو هجر كل من يعرفهم القراءة وزهدوا فيها وبقي وحده، لا يُبالي بذلك ولا تقتر همته في القراءة، بل ربما زادت.

كاتب لا يقرأ لا تنتظر منه أن يُخرج لك كتاباً فذاً. فالقراءة هي التي يخرج منها أعظم الكتاب والشعراء والفلاسفة والمفكرين.

اليوم التاسع: أمي أدخلتني عالم القراءة

قال الروائي «دوستوفسكي» عن والدته: «لولاها لما عرفت كيف أكون قارئاً. كانت تقرأ لي كل شيء يصف النفس البشرية الحقيقية. حتى وأنا مريض كانت تأخذني على صدرها وتقرأ لي من أشعار بوشكين وتبكي. ولا أحسب أحداً في هذه الدنيا أسعد الله بأم كأمي».

□  
سعيد جداً من يرزقه الله بأم كأم دوستوفسكي، حببت له القراءة وأدخلته عالمها الجميل، وصنعت منه روائياً عظيماً، وهكذا هن الأمهات العظيمات.

اليوم العاشر: القراءة عزاء

يقول «أندرو شافر» عن الشاعر والناقد الإنكليزي «صامويل كولريدج»: «كان أصغر إخوته العشرة، الذين كانوا يُسيئون معاملته، وهذا ما جعله يبحث عن عزاء في أحضان أصدقائه الوجدانيين: الكتب».

إنها الكتب أفضل الأصدقاء، لا تؤذي ولا تخذل. وإنها القراءة، عزاء لنا في كل انكسارات الحياة وخيباتها. سعيد من جالس الكتب أكثر ممن جالس البشر.

#### اليوم الحادي عشر: القراءة تُثري لغتنا وتُغيّرنا

تحدثت الروائية والصحفية الإيطالية «داريا بينياري» عن طفولتها فتقول: «لطالما تحدثت بطريقة أفضل من أبناء أعمامي، لأنني أقرأ كثيراً... ولمّا بدأت - في نحو الثانية عشرة من عمري - قراءة روايات الكبار، تغيرت حياتي».

القراءة تُثري لغتنا وتُطوّرنا، بل إنها في كثير من الأحيان تُغيّر حياتنا بالكامل عن طريق تغيير طريقة تفكيرنا.

#### اليوم الثاني عشر: القراءة صُنعت

ذكر صاحب كتاب (متلازمة تيك توك) أن «زهانج بيمينج» (مواليد 1983م) مؤسس تطبيق «تيك توك» الشهير، كان مثلاً للشباب المجتهد بحق، إذ كان انطوائياً منعزلاً عن الحياة الاجتماعية، لا يشارك في أي أنشطة طلابية في مدرسته أو جامعته، وقد وقع في غرام القراءة والمعرفة منذ طفولته، فكان يقرأ ليل نهار ويسهر إلى الساعة الثانية ليلاً قارئاً متصفحاً لما يقع بين يديه من كتب. كما حكى «زهانج» عن نفسه أنه كان يقرأ عشرين صحيفة أسبوعياً بشكل ثابت.

القراءة، ثم القراءة، ثم القراءة، هي من تصنع لنا العياقة.

#### اليوم الثالث عشر: أدركت لاحقاً أهمية القراءة

في كتابه الممتع (ماري أنطوانيت) يحكي المبدع «ستيفان تسيفايغ» سيرة ملكة فرنسا «ماري أنطوانيت» زوجة «لويس السادس عشر»، فيقول: إن والدة «ماري» كانت تتصفحها باستمرار بعد زواجها - إذ أصبحت زوجة ولي العهد وعمرها حينها في الخامسة عشر ولابد أن تكون مثقفة وبخاصة أن ثقافتها دون الوسط بكثير - بالقراءة والاطلاع، لكن «ماري» لم تكن تهتم بذلك، بل إنها تفضل اللعب على القراءة.

وفي مرة زارها أخواها «جوزيف الثاني» وحثّها أيضاً على القراءة، وكرّر لها نصائح والتهنئة، ثم قال لها: «لن تكون ساعتان منها يوماً بأكثر مما يلزمك، فتجعلناك أكثر تعقلاً وتفكيراً طوال ما تبقى من اليوم».

يقول «ستيفان تسيفايغ»: إن «ماري» حسب إجماع الشهادات لم تفتح كتاباً طوال حياتها، عدا بعض القصص الخفيفة التي كانت تتصفحها على عجل!

إذن، متى أدركت «ماري» أهمية القراءة؟

لما وضعها قادة الثورة الفرنسية في زنزانه موصدة بباب حديدي مزدوج، مسدودة نوافذها بجدار، تمهيداً لإعدامها. بقيت «ماري» - وكان عمرها حينها 37 سنة - في عزلة تامة إلا مع نفسها مدة 77 يوماً، حيث لم يعد يجرؤ سجانوها على الحديث معها، وفقدت ساعتها التي تقيس بها الزمن، ومُنعت من شغل الإبرة. حينها - كما يقول تسيفايغ - طلبت أول مرة كتباً لتقرأها وهي التي لم تقرأ كتباً في حياتها، وتذكرت إحدى نصائح والدتها الدائمة قبل 25 سنة بالقراءة، فراحت تلتهم كتاباً بعد آخر بعينيتها المتعبين الملتهينين.

يقول «تسيفايغ»: «كانت ما تطلبه من كتب وتقرؤه عبارة عن مغامرات مثيرة مثل أسفار الكابتن كوك، وأقاصيص عن الغرقى، والفتوحات الجريئة، ومطالعات تأسر الخيال وتثير الأحاسيس وتحبس الأنفاس، وتحمل السجينة «ماري» على نسيان الزمن والعالم، وتملأ دنياها بأشخاص أحسن الخيال صنعهم ليكونوا الرفقاء الوحيديين في عزلتها الأخيرة».

تبقى القراءة والكتب تقمّ لنا العزاء والسلوى حتى حين يخذلنا الجميع، وتتقلب الأمور ضدنا تماماً. إنها الكتب أفضل الأصدقاء.

اليوم الرابع عشر: ازرع عادة القراءة لدى أطفالك

يقول خبير التدريب والقيادة العالمي الشهير «جون ماكسويل»: «لقد كنتُ محظوظاً إلى حد بعيد. فقد أدركت قوة التفكير السديد في مرحلة مبكرة من حياتي. لقد طلب أبي منا نحن - أبناء الثلاثة - القراءة مدة نصف ساعة يومياً. وأحياناً كان لنا الخيار فيما نقرأ، ولكنه كان هو الذي يختار المادة المقروءة في أغلب الأحيان».

ولقد ترك كتابان من الكتب قرأتها انطباعات عميقة في نفسي. أولهما كان «قوة التفكير الإيجابي» بقلم «نورمان فينست بيل». ولقد اطلعت عليه وأنا في الصف السابع. ولقد كان اطلاعاً على كتاب «كما يفكر الإنسان» بقلم «جيمس ألان» له وقع أكبر على حياتي... ولقد قرأت هذا الكتاب لما كنت في الرابعة عشر من عمري، ولقد كان له أعق الأثر في نفسي... وما زلتُ أحفظ بهذا الكتاب».

ما أجمل زرع عادة القراءة لدى الأبناء! ومن يدري؟ فقد يقعون على كتاب يُغيّر طريقة تفكيرهم وحياتهم تماماً، ولا يكونون كسابق عهدهم بعدها، كما حدث مع «ماكسويل».

اليوم الخامس عشر: لا بد من جهد دائم

يقول الأديب إبراهيم المازني: «إن طريق الأديب طويل وشاق، وإن كل خطوة فيه تتطلب كفاً وصبراً، وإن الذين يُعدّون شيوخاً فيه إنما صاروا كذلك لا بارتقاع السن، بل لأنهم يُعدّون أنفسهم تلاميذ لا تتقضي حاجتهم إلى الدرس والتحصيل والمثابرة عليها، وبالنظر والتأمل ومحاولة الإدراك الصحيح. وهل يستطيع أحد أن يعيش بلا طعام؟ كذلك العقل لا بد له من غذاء».

يُعطينا المازني مفاتيح نجاح الأديب، فقد ذكر في بداية المقال - لم أسرد كلامه لطوله - كيف أنه كان يقرأ ليل نهار، بل كان يتغيّب بعض الأيام عن الحضور إلى المدرسة ليعتكف على قراءة الكتب، وكان يصرف نصف دخله على شراء الكتب. وهي رسالة مهمة لكل من يريد أن يكون كاتباً وأديباً يُشار له بالبنان؛ أن هذا الأمر لا يحدث من دون جهد. لا بد من قراءة نهمة عميقة يومية ثابتة سنوات طويلة، ولا بد أن نبذل النقيس في شراء كل كتاب نراه يرفي بعقولنا.

النصيحة الثانية التي نستنتجها من كلام المازني، أن القراءة لا تتوقف في مرحلة معينة، حتى لو وصل أحدنا إلى أن يُعد في طليعة الأدباء، بل هي أكثر إلحاحاً حينها. القراءة تستمر حتى آخر نفس لنا في هذه الحياة.

اليوم السادس عشر: السلطان الراحل قابوس والقراءة

عمل الممثل سمير صبري في بدايات حياته مذبذبا، وكان يُقدّم برنامج «النادي الدولي» الذي نجح نجاحاً ساحقاً، ويرجع سمير صبري هذا النجاح إلى أول وزير إعلام في العالم العربي وهو د. عبد القادر حاتم، إذ إنه خصّه دائماً بحوار مع كل ضيوف مصر من كبار الشخصيات العربية والعالمية! ومن أهم الضيوف كان السلطان الراحل قابوس بن سعيد، طيّب الله ثراه!

يقول صبري: إن د. حاتم أبلغه بأن السلطان قابوس الذي تولّى الحكم في عام 1970م سوف يزور مصر في زيارة رسمية مهمة جداً، وأن الرئيس السادات اختاره لمحاوره جلالته في قصر الظاهرة الساعة الثامنة مساءً.

يروى صبري فيقول: وقبل الثامنة بثوانٍ دخل السلطان قابوس مرتدياً الزي العسكري، فوفقتُ مرحباً بقدمه مصر... وقد كسر جلالته رهبة الموقف بيننا منذ أول دقيقة. وأكملنا الحديث، وبصوت رخيخ وعميق حنّتي جلالته عن ذكرياته في أثناء الدراسة في إنكلترا وعن عشقه للمسرح البريطاني.

يقول صبري قلت لجلالته: هل شاهد جلالة السلطان مسرحية «مصيصة الفئران» التي كتبها أجاتا كريستي؟ فأجاب: إنها رائعة مثل كل أعمالها الأدبية! ودائماً لا يمكن معرفة نهاية كل الرواية إلا في الصفحة الأخيرة!

يسأل صبري: هل تقرأ أعماله دائماً؟ يجيب جلالته: إنني أحب كل رواياتها خاصة «الموت على ضفاف النيل»، فحوادثها تدور على باخرة في النيل العظيم.

يسأل سمير صبري: من من أدباء الأدب الإنكليزي تُحب قراءة أعماله؟

جلالته: شكسبير طبعاً.

صبري: ما أحب مسرحياته إلى قلبك؟

جلالته: أحب حرفة شكسبير الدرامية في «هاملت»، ولكني أكره التردد الموجود في شخصية هاملت نفسه وخوفه من اتخاذ أي قرار، وأحب أيضاً مسرحية «يوليوس قيصر» و«عطيل».

القراءة متعة وفائدة ولا يستغني عنها أحد، تزيد صاحبها حكمة ورجاحة.

#### اليوم السابع عشر: القصصبي والقراءة

يقول د. غازي القصصبي: «مذ طفولتي الباكرة كنتُ قارئاً نهماً، وكنتُ زائراً دائماً للمكتبة التي تُعير الكتب».

هنا أمران؛ الأمر الأول: ضرورة عرس عادة القراءة لدى الأطفال منذ صغرهم، فقد تخرج لنا القراءة أديباً فذاً كالقصصبي رحمه الله. والأمر الثاني: وجود مكتبات عامة بها كتب تناسب كل الأعمار، واستخدام أهم الوسائل لتشجيع الجميع - الأطفال والمراهقون خاصة - على قراءة الكتب، والنتائج ستكون حتماً إيجابية.

اليوم الثامن عشر: القراءة طريق الكتابة

ينصح الكاتب والروائي الأمريكي «دونالد ري بولوك» كل كاتب وكل من يُريد أن يُصبح كاتباً فيقول لهم: «اقرأوا دوماً. بصراحة، إن لم تحبوا القراءة فالأغلب ليس لديكم إلا أمل ضئيل في الفلاح في مشوار الكتابة. أعتقد أن هذه النصيحة قد تبدو سخيفة لأي أحد، ولكني قابلت كثيراً من الناس الذين يحلفون إنهم يريدون الكتابة لكنهم نادراً ما يقرؤون. وقرؤوا دوماً خارج صنف كتابتكم المفضلة. فأنا على المستوى الشخصي أخطط لقراءة كتابين في الأسبوع، وغالباً ما يكون أحدهما في غير القصة والرواية».

وأرى هذه النصيحة من أهم النصائح لمن يُريد أن يُصبح كاتباً فذاً، ولذلك كررت الحديث عنها في كتابي «عزاءات القراءة»، و«تباريح القراء».

اليوم التاسع عشر: المثقف الكبير د. محمد سلمان حسن

يقول الناقد العراقي علي حسين: «كان د. محمد سلمان حسن - الذي جهل اسمه الكثير من مثقفينا الآن للأسف - قامة كبيرة - أكمل تحصيله العلمي لينال دكتوراه في الاقتصاد في أعرق جامعات العالم «أكسفورد»، ويُصبح بعدها من أبرز العقول الاقتصادية في العالم. رفض ثلاثة عروض لمنصب وزارتي قدمته له ثلاث حكومات متتالية، ولكن الظروف وضعتة فيما بعد في مكان بارز في الطاقم الذي سيهندس السياسة الاقتصادية للجمهورية العراقية الفتية عام 1958م. كان الكتاب عالماً وديناً. أي كتاب يمكن العثور عليه. وكان يقتصد في شراء أي شيء إلا الكتب، وكان يتقن العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية».

من أراد أن يكون مثقفاً حقيقياً فليحذُ حذو الكاتب العراقي الاقتصادي والسياسي د. محمد سلمان، ويسعى أن يكون الكتاب هو عالماً وديناً، ويقرأ في أي شيء، ويبحث في شراء أي شيء إلا شراء الكتب.

#### اليوم العشرون: الشيخ الشرباصي والشغف في القراءة

يقول الكاتب «وديع فلسطين» عن الشيخ أحمد الشرباصي رحمه الله: «الشرباصي العالم الديني الأريب الأديب الذي ملأ الدنيا بأدبه وعلمه ورأيه فصار بندا مرفوعاً، وغداً - وهو في شرح الشباب - أستاذ الأسانيد وموجهاً ورائداً لكثير ممن يكبرونه سناً، ولكنهم لا يكبرونه علماً. عرفته منذ أكثر من عشر سنوات، فعرفت فيه طالباً في الأزهر مجداً، عكوفاً على كتابه وقرطاسه، يأخذ العلوم مأخذ الهوي المشغوف لا مأخذ المضطر المسخر، لا يكف عن المطالعة، ولا يقلع عن الكتابة...»

وقد استطاع في فترة وجيزة أن يُصبح علماً تشير إليه الأباهم... وقرأت مؤلفات الشرباصي، ويكاد يكون عددها يبلغ عدد سني عمره. فكتبته الكثيرة، ومقالاته التي أربت على بضعة آلاف، ومحاضراته التي تتعدّد في الأسبوع الواحد بل في اليوم الواحد، جعلت هذه جميعاً للأستاذ الشرباصي مقاماً مقدوراً في الحياة».

كنت قد اقتنيت كتاب (يسألونك في الدين والحياة) للشيخ الشرباصي، والكتاب يقع في سبعة مجلدات ضخمة، وتعبت من غزارة الشيخ وعمق علمه وأنا أتصفح وأقرأه، وصبره في كتابة هذا الكتاب الضخم! ولما بحثت وجدت أن للشيخ كتباً كثيرة وليس هذا الكتاب، ولكن عجبني زال لما قرأت ما كتبه «وديع فلسطين» عنه، وجدت الإجابة عن هذا الإنتاج العظيم في أنه كان يأخذ العلوم مأخذ الشغف وليس مأخذ المضطر، وأنه لا يكف عن القراءة. إنها القراءة بشغف وحب، فهي التي تصنع لنا المعجزات، وتصنع لنا شخصيات ذات وزن.

اليوم الواحد والعشرون: الرئيس الكويي كاسترو والقراءة

تحدث الكاتب الإسكتلندي «دانيال كالدور» عن رئيس كوبا السابق «فidel كاسترو» ونهيمه في القراءة فقال(31): «كان كاسترو قارئاً عملاقاً، أشار في مذكراته إلى الكتب التي تركت انطباعاً عنه من أعمال ماركس ولينين والثوري الكوبي خوسيه مارتى – الذي قال عنه إنه من دون كتاباته لم يكن بإمكانه حتى تصور الثورة – والمؤلفين الفرنسيين مثل فيكتور هوجو – الذي كان يستمتع بمناقشة روايته «البؤساء» مع «هوغو شافيز» – وبلزاك ورومان رولاند. قرأ كاسترو جميع مجلدات روايات «جان كريستوف» العشرة.

وأعمال دوستويفسكي، وتولستوي، وبييتو غالدوس، وريجيس دوبريه، وميخائيل شولوخوف، وراشيل كارسون والددة الحركة البيئية المعاصرة، وأندريه فويسن، مؤلف كتاب «التربة والعشب والسرطان»، وهو كتاب يتحدث عن صحة الحيوان وتأثره بما يأكله من عشب سُمِد بالأسمدة الصناعية، وكتاب «ارثر شيلز نجر» المؤلف من تسعة صفحات حول اغتيال «كيندي».

وتحدث كاسترو عن تأثير «همينغواي» فيه وقد قابلته مرتين، ولديه صورة موقعة للمؤلف على مكتبه. فقد كان كاسترو معجباً به وقال عنه: «لقد قرأت بعض رواياته أكثر من مرة، وفي كثير منها كـ(لمن تفرع الأجراس»، و«وداعاً للسلاح»، كان دائماً ما يجعل شخصيته الرئيسية تتحدث إلى نفسها، وهذا ما أعجبنى أكثر في همينغواي: المؤلفون لوجات، عندما تتحدث شخصياته مع نفسها».

وأعلن كاسترو أنه يكاد يحن إلى السنوات التي قضاها في السجن، حيث كان بإمكانه القراءة مدة 15 ساعة في اليوم. ومع ذلك تجاهل كاسترو في مذكراته بشكل غامض، ذكر تأثير إصدارات أعمال «موسوليني» التي جلست على رفوفه بينما كان طالباً.

إنها القراءة لا يستغني عنها من هو أعلى رتبة كرئيس دولة، ولا من هو أقل منه رتبة، لأن ترك القراءة للعقل كترك الغذاء للجسم، أي إن النتيجة هي الضعف والهزال التدريجي ثم الموت بعد ذلك. «الكتب طعام الفكر»، كما قال العقاد.

### اليوم الثاني والعشرون: بلقيس شرارة وعلاقتها بالكتب

تقول الكاتبة العراقية بلقيس شرارة: «فالكاتب يظل جليساك بعد أن تنتهي من قراءته، ويشغل مساحة متوثبة في نشاطك الفكري. كانت الكتب تحاورني وهي فوق رفوفها، منها ما يذكرني بلحظات من الماضي الجميل. ويبقى الكتاب سجل التاريخ للساعات التي قضيتها في التهام صفحاته. أقلبها وأنتقل بين سطورها وأستعيد من خلاله أفكاراً وذكريات.

كنا – أي هي وزجها – وما زلنا نعدّ الكتب جزءاً حيوياً من حياتنا، تراقبنا. أمعنّت في قراءة بعضها، ولم أجد الفرصة لقراءة كتب أخرى. وكلما كنا نساغر، نعود مع أصدقاء جدد من الكتب التي تراقبنا في رحلتنا، حتى لم يعد هناك فسحة لكتب جديدة. فالمكتبات هي تاريخ وسجل طويل لحياتنا واتجاهاتنا. المكتبات هي حافظة ذاكرة المجتمع.

الرغبة في الحصول على الكتب واقتنائها، ووضعها على الرفوف وقراءتها، ظلت رغبة متأججة لا ينطفئ لهيبها ولا يظالها الفتور، بل تظل على الدوام تُثير الهمة في اقتناء المزيد منها».

عبّرت الكاتبة شرارة بكلامها عن حال كل عاشق للقراءة مُحب للكتب بأفضل تعبير عن علاقته مع الكتب وماذا تعني له؟ كلام رائع لا يحتاج إلى تعليق إضافي.

### اليوم الثالث والعشرون: نصيحة من جورج برنارد شو

يقول الكاتب الإيرلندي الشهير «جورج برنارد شو»: «الإنسان العاقل من يستخدم عقله، ولكن العاقل جداً، هو من يستخدم عقله بعد أن يُضيف إليه عقول الآخرين».

ما أروعها من جملة! وما أثنمها من نصيحة أن تُضيف رجاحة إلى عقولنا من خلال إضافة عقول الآخرين إلينا! والقراءة تفعل لنا ذلك، فإن لم تكن مجالسة المفكرين والفلاسفة والعلماء والعباقرة من السهولة بمكان في هذا الزمن المتسارع المملوء بالضجيج، فإن أفكارهم موجودة في كتبهم التي ألفوها، أو في الكتب التي كُتبت عنهم. ما أجمل أن نصحب هؤلاء العباقرة الذين أحدثوا تغييراً في تاريخ البشرية! وذلك من خلال قراءة كتبهم. وحتماً ستزداد رجاحة عقولنا، لأن من يُصاحب العطار لابد أن يُصبيه بعض من ريحه.

### اليوم الرابع والعشرون: الكتب وحياتنا على هذه الأرض

يقول الكاتب والشاعر خيرى منصور: «الكتب تمنحنا خبرات صافية، لم نسهم في معاناتها في الواقع، وتجعل عيوننا أكثر اتساعاً وهي تتشرب عوالم لم يسبق أن عشناها بأنفسنا. شكر لمن سيقونا وأودعوا خلاصات أرواحهم وخبراتهم في الكتب، فجعلوا إقامتنا في هذا الكوكب محتملة، على الرغم من كل الشرور».

إنها الكتب، أجمل ما فيها أنها تجعلنا نستطيع أن نحتمل حياتنا على كوكب الأرض، حيث تجعلنا نعيش في عالم جميل يُخرجنا ويُبعِدنا قليلاً عن ضغوطات الحياة، لنرجع إلى حياتنا بعد ذلك ونحن أكثر صبراً واحتمالاً وتفاؤلاً.

### اليوم الخامس والعشرون: بركة ساكن والقراءة

تحدث الكاتب عبد العزيز بركة ساكن عن شغفه بالقراءة منذ الصغر، وسبب ذلك أنه رأى أخاه الأكبر يقرأ في كتاب «قصص الرعب والخوف» لإدجار آلان پو باستمتاع، فسرق ذلك الكتاب وحاول أن يقرأه، ثم حكى فقال: «لم تكن قراءة الكتاب سهلة على الرغم من أنني كنت في الفصل السادس بالمدرسة الابتدائية... شغفي بالتعلم دعم تميزي في مواد اللغة العربية مبكراً مثلما ساهمت في ذلك قراءتي للمكتبة المدرسية العامرة بكتب الأطفال والشباب لكامل كيلاني، وبعض ترجمات أجاتا كرسني المخففة، وروايات جرجي زيدان التاريخية، وبعض القصص المنقولة من الإنكليزية لشكسبير وتشارلز ديكنز التي كانت تخر بها المكتبة المدرسية في سبعينيات القرن الماضي.

ولكن ظل الكتاب عصباً على القراءة. لا أدري كم مرة أعدتُ قراءة الكتاب، ولكن أخذتُ أبحث في مكتبات القرية والمدن المجاورة التي تأخذني إليها أمي في سفرها الشاسع عن كتب أخرى، وذلك بعد أن أتيت على مكتبة المدرسة كلها، حيث أصبح نشاطي الوحيد وهَمِّي وشغلي الشاغل هو القراءة، قراءة كل شيء، كتباً كانت أم صحفاً يومية أو إعلانات أو لافتات، باختصار كنت أقرأ كل شيء مكتوب وقعت عليه عيني».

الأطفال يتأثرون بالقوة، فالكاتب عبد العزيز بركة تحمّس للقراءة لما رأى أخاه سعيداً بما يقرأ، ورغب في أن يجد هذا الاستمتاع، ثم دخل إلى عالم القراءة وصار قارئاً نهماً واستمرت معه القراءة إلى أن أصبح كاتباً رائعاً. وأيضاً وجود مكتبة في المدرسة يصنع لنا قراء، ومن ثم يصنع لنا مبدعين.

### اليوم السادس والعشرون: وجود مكتبة شرط أساسي لتطور عقولنا

في رسالة بعثها د. جلال أمين إلى أخيه حسين أمين في عام 1985م - كان د. جلال يدرس في لوس أنجلوس حينها - قال فيها: «أنا مثلك أقرأ بنهم، فبلغ عدد ما قرأته من كتب منذ مجيبي عشرين كتاباً أخذت فيها كلها نقاطاً وملاحظات. ومن ثم أملي كبير في أن أصل إلى شيء في نهاية إقامتي هنا. وكما أنا أسف على أن الشرط الأساس للتطور العقلي والوصول إلى جديد في أي موضوع، وهو وجود الشخص بجوار مكتبة جيدة، غير متاح لي في مصر».

لابد أن يكون لدينا مكتبات نوفر فيها جديد الكتب دائماً، إذا رغبتنا في إبقاء عقولنا متيقظة ولا تصل إلى مرحلة التخشب.

#### اليوم السابع والعشرون: مدرسة الكتب

يقول الروائي الياباني الشهير هاروكي موراكامي: «أظن أن حياتي ستكون أكثر وحشية بكثير لو لم يكن فيها كتب، أو لم أقرأ كتباً كثيرة. ففعلت القراءة كان بالنسبة إليّ آنذاك في حد ذاته مدرسة أساسية. كانت مدرسة أساسية مخصصة، مبنية لي وحدي، وتعمل من أجلي أنا وحدي. كانت مدرسة تعلمت فيها الكثير من الدروس المهمة، ومكاناً لا توجد فيه قواعد أو أنظمة مضجرة، ولا تقييمات عديدة، ولا سعي حثيث إلى المراكز الأولى. وبطبيعة الحال لم يكن فيها تتمر. هكذا، وبينما كنت جزءاً من منظومة أكبر، استطعت أن أوفر لنفسي منظومة شخصية مختلفة».

إنها الكتب... إنها القراءة... أفضل مدرسة تُخرج لنا العظماء والفلاسفة والمفكرين والقادة والأدباء الكبار، وكل من يرغب في أن يكون عظيماً عليه أن يدرس ويتخرج من هذه المدرسة.

#### اليوم الثامن والعشرون: القراءة والرياضة

يقول الكاتب سعيد ناشيد: «حين تمارس الرياضة بتركيز عال، وتمارس القراءة بتركيز عال، تمتلك القدرة على التفكير بتركيز عال».

يُعطينا ناشيد أهم طريقتين للحصول على تركيز صافٍ يُغيّر حياتنا إلى الأفضل. أمران لا غنى عنهما لكل من يطمح إلى التحسن والحفاظ على صحته العقلية والجسدية، وهما: القراءة، والرياضة.

#### اليوم التاسع والعشرون: القراءة تقودنا إلى أفضل المعلمين

تقول «مارتا بك» الأستاذة في جامعة هارفرد: «قابل دانتى أليجيرى الشاعر فيرجل أول مرة لما قرأ أشعاره، والقراءة هي الطريقة التي قابلتُ عبرها معظم المعلمين في حياتي، وكثيراً ما يحكي لي عملائي أنهم فوجئوا بكتاب رائع يُلقى بنفسه من رف المكتبة، كي يجذب انتباههم، في الوقت الذي شعروا فيه بأقصى درجات الحيرة».

القراءة تقودنا إلى أفضل المعلمين، وكثيراً ما تكون الكتب علاجاً لمشكلات وقعت لنا ولم نجد لها بعد مخرجاً وحلاً.

#### اليوم الثلاثون: هنتر وشروط القراءة الجيدة

يقول الزعيم الشهير أدولف هنتر: «أعرف أشخاصاً يقرؤون كثيراً، كتاباً مقابل كتاب، حرفاً بحرف، ومع ذلك لا أصفهم بأنهم قراء جيّدون. صحيح أنهم يمتلكون قدراً هائلاً من المعرفة، لكن أدمغتهم غير قادرة على تنظيم وتسجيل المواد التي تشرّبوها، ويفتقرون إلى فن غريزة ما هو ذو قيمة بالنسبة إليهم في الكتاب مما لا قيمة له، والاحتفاظ به إلى الأبد، وإذا أمكن، طرح البقية».

نصيحة هنترية مهمة جداً، تؤكد أن العبرة ليست بكثرة القراءة والتهام الكتب من دون محطات توقف وتأمّل وتفكير بالمقروء. فإذا نجني الفائدة الحقيقية من القراءة، حيث تقوم عقولنا بفلتر ما هو صحيح وطرح ما هو غير صحيح.

رسائل قصيرة: رسالة من جلال الشايب

يقول الكاتب الراحل جلال الشايب: «المكتبة هي أخطر ما في البيت من أثاث. بينما تزين قطع الأثاث الأخرى المنزل بالجمال الظاهري، فإن المكتبة تُزين العقل والقلب بالمعرفة والحكمة. فالكاتب ليس مجرد قطعة من الورق والحبر، بل هو نافذة مفتوحة على عوالم جديدة.

كتب التاريخ، تسافر بك عبر الزمن، فتجعلك تعيش مع الحضارات القديمة، وتشهد الأحداث العظيمة التي شكلت التاريخ، فتشعر بأنك جزء من قصة الإنسانية. أما كتب الفلسفة، فتدفعك إلى التساؤل عن كل شيء من أصل الكون والطبيعة، وحتى معنى الحياة والسعادة، وتدرّبك على التفكير المنطقي، ومن خلالها تتعرّف إلى آراء مختلف الفلاسفة عبر التاريخ وأفكارهم.

أما كتب العلوم، فتأخذك في رحلة إلى أعماق الكون، تكتشف أسرار الطبيعة، وتقيم كيف يعمل ويتطوّر العالم الذي نعيش فيه. أما كتب الأدب فتغذي روحك وتوسع آفاق تفكيرك وتجعلك تتعاطف مع الآخرين وتعلم من تجاربهم.

المكتبة هي المكان الذي ينمو فيه العقل وتتطوّر الشخصية، فهي لا تُقدّم لك معلومات فقط، بل تُساعدك في تشكيل رؤيتك الخاصة للعالم. المكتبة هي أفضل صديق للإنسان».

هذه رسالة مهمة من الكاتب جلال الشايب. نعم، المكتبة – كما ذكر – هي أفضل صديق. أقول هذا عن عشرة معها تجاوزت العقدين من الزمان، فالمكتبة هي المكان الذي أجد فيه السكينة والراحة، وهي المكان الذي ينمو فيه عقلي ونصقل فيه آرائي، وهي المكان الذي أسافر فيه عبر عوالم كثيرة في القديم والحاضر وأنا جالس بين يديها، وهي المكان الذي شكّل رؤيتي الخاصة بالعالم.

كذلك المكتبة هي المكان الذي تتجلى فيه همومي وأحزاني، وأستعيد فيه توازني، وأجمع فيه شتات نفسي، وبتنقد فيه همتي من جديد لمواصله الطريق، فكلما واجهتني ضغوطات الحياة، التي لا يخلو منها بشر، وسحقتني طاحونة الحياة، لجأت إلى الجلوس بين يدي مكتبتي لأخرج بعد ذلك وقد تغيرت نفسي تماماً.

جريتُ الرحلات والسفريات والنزهات، وجريت الخروج والجلوس مع الأصدقاء والزلاء، وجريت متابعة الأفلام والبرامج، لكنني لم أجد سكنتي تماماً إلا مع المكتبة والكتب. فالمكتبة هي المكان الذي لا أشعر فيه بممل ولو خبست معها أياماً، بخلاف متابعة الأفلام مثلاً، فسرعان ما يُصيبني الملل بعد مشاهدة فيلم أو فلمين، وغالباً ما أخرج بعد مشاهدة الفيلم وفي داخلي ضوضاء وتشتت ومشاعر متضاربة. وأعتقد أن سبب ذلك هو المؤثرات والموسيقى التي تُصاحب أجواء الفيلم، بخلاف الجلوس مع الكتب حيث لا ضجيج ولا إزعاج، وأخرج بعد ذلك ونفسي مملوءة بالهدوء والشعور بالسكينة والراحة.

كل شيء أكثر منه لابد أن أملّ منه بعد ذلك، كالسفريات والنزهات وغيرها، إلا جلوسني مع مكتبتي، فإنه – بفضل الله – لا يُصيبني هذا الشعور إطلاقاً. بل لو كان الأمر بيدي لوددت لو أنني قضيت أغلب أوقاتي في مكتبتي.

أرجو أن يحرص كل منا على أن يكون لديه في منزله مكتبة خاصة مملوءة بكتب في شتى المجالات، يزودها بين فترة وأخرى بجديد الكتب، فالمكتبات تنمو كما نتمو نحن، وإهمالها – بعدم تزويدها بجديد الكتب وعدم الجلوس معها – يجعلها تموت.

كذلك يحرص ألا يمر به يوم من دون الجلوس بين يديها والاستفادة منها، ومن يعتاد ذلك فأجزم له بالراحة والهدوء والسكينة، وراحة العقل والاتزان واكتساب عادة الصبر، والنظر إلى الحياة نظرة مختلفة تماماً.

في شهر سبتمبر 2024م تواصلت معي أحد الإخوة الأفاضل عبر تطبيق «الفيسبوك»، وقال لي: إنه من سكان أهل غزة الجريحة وأنه حالياً يعيش في تركيا، وقد كانت لديه مكتبة تحوي بين 600 إلى 800 كتاب، جمع هذه الكتب طوال عشرين عاماً، وبعض هذه الكتب عليها توقيع علماء أفاضل كالعلامة د. يوسف القرضاوي – رحمه الله – وغيرهم.

ولكن للأسف خسر أغلب كتب مكتبته في قصف جوي أتم من اليهود الغاصبين المجرمين، قتلة النساء والأطفال والشيوخ والعجائز، لعنهم الله وحرر القدس الشريف من رجسهم قريباً، ولم ينج من هذا القصف الأثم سوى مجموعة من الكتب. وهو الآن يحاول إعادة جمع ما فقده من جديد.

ما قاله هذا الأخ الفاضل جعلني أستشعر فداحة المصيبة التي أصابته، ولأني عاشق للكتب وبدأت في جمع كتب مكتبتي منذ أكثر من عشرين عاماً، أصابني حزن كبير وشفقة على فقده الجلل. يقول رجل المكتبة «البرنو مانغويل»: «مكتبتي هي منزلي الذي أجد فيه سكنتي الكاملة»، فإذا فقدنا المكان الذي نجد فيه سكنتنا وهدوينا، والذي نُعيد فيه أتراننا، ونللم شتاتنا، وبه نشحن أنفسنا، فلا تسأل عن حجم المصيبة التي أصابتنا.

أسأل الله سبحانه أن يجبر خاطر هذا الرجل الشريف، ويُعوضه بمكتبة أكبر وأضخم مما فقدها. لا حرماناً لله من مكتباتنا ولا من متعة الجلوس معها، فالحرمان من مكتباتنا مصيبة لا تزول من القلب. ولنحمد الله حمداً عظيماً على أن مكتباتنا ما زالت محفوظة بحفظه وكرمه سبحانه.

رسائل قصيرة: رسالة من هاروكي موراكامي

يقول الروائي الشهير «هاروكي موراكامي»: «منذ أن أصبحت كاتباً وبدأت أنشر الكتب بانتظام تعلمتُ درساً واحداً، وهو أنه أيّاً كان الذي كتبتُه، أو الكيفية التي كتبتُه بها، فسوف تأتي المذمة. هب أنني كتبتُ روايةً طويلة جداً، سيأتي شخصٌ يقول: «مُفرطة في الطول ومُسهبة. كان نصفها سيكفي». ولو كتبتُ روايةً قصيرة قد يقول أحدهم: «إنها سطحية جداً وجوفاء جداً، وإنني تهاونت في كتابتها». وإن كتبتُ روايةً تشبه روايةً سابقة سيقولون: «ها هو يكرر نفسه. إنه عالق في المكان نفسه، وما يكتبه صار مملاً». وسيقول آخرون: «أعماله السابقة كانت أفضل. أما هذا الأسلوب الجديد فإنه يلف ويدور ولا يصل إلى شيء». بل إن هناك أناساً كانوا يقولون خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية: «موراكامي لم يواكب الزمن. لقد انتهى». الانتقاد سهل، فليس إلا أن نقول ما نفكر فيه ولن نتحمل أية مسؤولية عن أي شيء. أما الذي يتعرض للانتقاد، فلن يعيش أبداً إن توقف عند كل نقد...

لذلك، خرجتُ بهذا الاستنتاج: «لا يهم، ما دامت المذمة آتية لا محالة، فسوف أكتب ما أريد بالطريقة التي أريد». من المستحيل أن تُرضي الجميع، وسوف ينتهي بك الأمر إلى أن تُبدد وقتك وجهدك، وتتهك نفسك.

ولذلك، من الأفضل أن تنصر نفسك وتعمل ما يسعدك، وما تُريد فعلاً أن تفعله بالطريقة التي تريدها. حتى لو لم تُحقق سمعةً عظيمة أو مبيعات عالية، يمكنك أن تقول: «لا بأس على الأقل استمتعت». وسوف تقتنع بأن الأمر كان يستحق».

في كلام موراكامي رسالتان مهمتان، الأولى أن النقد لابد أن يأتي، فهما كتبنا من نصوص بديعة سنجد أن هناك صنفاً لن تروق له هذه النصوص. ولو استسلمنا للانتقادهم وحاولنا أن نغير من طريقة كتابتنا ليرضوا عنا، فسندهم يحثون عن أمر آخر ينتقدوننا فيه. باختصار لن يرضوا عنا أبداً.

النقد لا يمكن تجنبه، وعلينا أن نوطن أنفسنا على أن نصيباً منه سينالنا، شننا أم أبينا، ودورنا أن نتجاهل أغلب النقد ولا نلتفت إليه وإلا فإننا لن نكتب شيئاً إذا ظلنا نتوقف عند كل نقد ونحاول أن نُبرر طريقة كتابتنا لكل ناقد. وسوف تُبدد طاقتنا ووقتنا المحدود، ونُتعب أنفسنا نفسياً – كما قال موراكامي – على أمور تستحق التجاهل.

أغلب النقد انطباعي وشخصي – كما قالوا – ولا يُعبر عن حقيقة مُطلقة، إنما يُعبر عن رأي صاحبه، والنقد في أحيان كثيرة ليس خالصاً، بل وراءه دوافع خفية كالحسد والغيرة وغيرها.

إني أشفق على كل كاتب يسعى أن تحوز كتبه رضا الجميع، وتجدهُ ينزعج كثيراً عندما يجد نقداً – ولو قليلاً – على أحد كتبه! لأنه يطلب أمراً مستحيلًا لا يمكن أن يحدث، فهو كمن يطلب الماء العذب من البحر الأجاج. وهيئات هيئات أن يحصل على مراده ولو ظل العمر كله يحاول ويطلب! ولن يجني سوى التعب والضيق النفسي والهَم.

في كل كتاب جديد يصدر لي، يبرز قراءُ جُدد مشكورين يُشيدون بالكتاب ويثنون عليه، وهذا من حسن ظنهم. وفي الجانب الآخر كلما ازدادت نجاحاً وصارت كتبي أكثر تداولاً، برزت أصوات نافذة أكثر تنتقد وتبحث عن العيوب. وما أفعله نحو ذلك، هو أنني لا ألتفت إلى هذه الأصوات ولا أتوقف عندها ولا ألقى لها بالاً. أمرٌ وكأني لم أسمعها وأتجاهلها وأبدأ العمل على كتابي القادم، وهذا ما أكدّه «موراكامي» بنفسه لما قال: إن نجاحه مع الأيام لم يجعل النقد يخف بل ازداد حدة، ولكنه لم يابه به.

ما ذكره «موراكامي» من أن هناك صنفاً يقول للكاتب: إنه لا يُجدد نفسه، صحيح تماماً. فقد سمعتُ هذا الصنف يقول: «إنه لا يُجدد في نفسه يكتب في المجال نفسه!»، ولو كتبتُ في مجالٍ آخر، سيظهر صنف آخر وسيقول لي: «أسلوبه ومجاله السابق كان أفضل، لبتّه ظل في مجاله ولم ينتقل إلى الكتابة في مجالٍ آخر!».

وصنف آخر يقول: «لماذا لا يكتب كتبه على شكل رواية؟!»، وإني متأكد لو كتبت كتبي على شكل رواية لقال هذا الصنف: «دخل في مجال الرواية لأنها الأكثر قراءة ويرغب في الشهرة!». وغيرها من الانتقادات التي لا تنتهي ولن تنتهي ولن يجني منها الكاتب سوى أن يُضيع وقت الكتابة الثمين لصنف لن يرضى عنه مهما فعل ومهما حاول.

أجد في مقولة الروائي «وليم فوكنر» من الصحة الشيء الكثير، إذ قال: «بالنسبة لي أنا شخصياً، فليس لديّ من الوقت ما يسمح لي أن أهتم بمعرفة من يقرأ مؤلفاتي. لا يعني رأي فلان أو فلان». وصدق، لأن اهتمامنا براء فلان أو فلان، وتصديقنا لما يقولون عنا وعن كتاباتنا، قد يُزعجنا ويوقفنا عن الاستمرار، في حين قد يكون نقدهم خالياً من الصحة وله دوافع خفية وليس تطويرنا<sup>[2]</sup>.

قرأتُ تغريدة جميلة للدكتور عبد الرحمن قانده، ذكر فيها هذه الجملة الرائعة والصحيحة: «رضا الخلق غاية لا تُدرَك ولا تُطلب». ولا بأس أن أُحور الكلام وأقول: «رضا القراء غاية لا تُدرَك، ولا تُطلب أيضاً». نعم، لن يدركها أي كاتب مهما فعل وحاول، لكنها أيضاً لا تُطلب. والكاتب الذي يطلب رضا جميع القراء، عليه أن يراجع نفسه، لأنه يطلب شيئاً مستحيلًا.

الرسالة الثانية من «موراكامي» هي أن نكتب ما يُناسبنا بالطريقة التي تناسبنا، وهي رسالة مهمة، فلن ينجح الكاتب إلا إذا كتب بأسلوبه وطريقته، ويُضيع نفسه حين يُحاول أن يكتب بالطريقة أو الأسلوب الذي يكتب به الكاتب الفلاني، حيث لابد أن يظهر التكلف والتصنع في محاولة التقليد.

ما أجمل أن يكتب بالطريقة والأسلوب الذي يدل على ثقافتنا ومستوانا الفكري، ولو لم يقرأ لنا سوى فنة محدودة! وما أتعس من يحاول أن يكتب بطريقة لا تُناسبه ليوضح للقراء أنه مثقف كبير! ولا يدري أنه بهذا التصرف يجعل القارئ يفر من كتبه، لأنه لا يجد فيها روحاً حقيقية!

رسائل قصيرة: رسالة من عمار علي حسن

يقول الروائي والمفكر المصري عمار علي حسن: «مع الكتب أخلصت لمقولة نجيب محفوظ «القراءة بلا حدود وفي أي اتجاه»، وصارت علاقتي بمكتبتي علاقة وجود، فمن دونها ما كنتُ هذا الذي يراه الناس، وربما ظللتُ فلاحاً أجيبراً أو عامل تراحيل يلتقط رزقه من فوق خرائط الغربية، أو موظفاً بائساً يدفن رأسه بين أكاس الملفات المترتبة، أو عضواً تائهاً في جماعة دينية منظرقة.

لهذا حرصت على أن تسكن مكتبتي معي، ما إن أدخل صالة بيتي حتى تملأ عيني بأرففها المتتابعة نحو السقف والممتدة بطول الجدران لا يكاد خشبها يبين من الكتب الواقفة والنامية والمائلة. وإن دخلت بيت أحد الأصدقاء وجدت مكتبة، ولو صغيرة، نسيت نفسي أمامها، وانعزلت عن حولي، ولا أبرحها إلا إذا عرفت ما فيها. فإن راقت لي عواوين، أستأذن في استعارتها، وساذج بالطبع من يوافق، فأنا ضنين في رد كتاب حصلت عليه.

وقد تعوَّدت منذ الصغر أن أتبع الحكمة التي ترى أننا أمام علم إنساني واحد له فروع متعددة، وملتُ دوماً إلى الدراسات «عبر النوعية»، ولذا ظللت طوال الوقت أفضل أي كتاب في أي لون معرفي أو أدبي شرط أن يضيف إليّ جديداً أو يبهرنني بما ينطوي عليه من جمال ومعنى. وصرت أنصح من يسألني عن القراءة بمطالعة أي كتاب لا يزيد من معلوماته إنما يثري خياله ويوسع مداركه ويمنحه نهجاً في التفكير. كانت الكتب هي المصدر الأول لمعرفتي... وإنني ككاتب، أستفيد ممّا أقرأه لأخرين، حتى لو كانوا أصغر مني سناً، وأقل إنتاجاً».

الكاتب علي حسن يوجه رسالة مهمة لكل كاتب وباحث، وقارئ أيضاً، ينفع نفسه قبل أن ينفع الآخرين، ولكن هنا الحديث عن الكاتب الذي يسعى إلى أن ينفع غيره، وهي القراءة المكثفة النهمّة في أي اتجاه ولأي كاتب، سواء كان أكبر منا سناً أو أصغر، وهذا هو نهج الروائي العماق نجيب محفوظ كما ذكر الكاتب. والكاتب علي حسن يدين للقراءة بصنعه وبأن صار له اسم معروف، ولو لاها لكان شخصاً عادياً، عاملاً أو فلاحاً لا يعرفه أحد.

كثير من الكُتّاب بعد مرور مدة من الزمن، ومع كثرة الارتباطات والندوات واللقاءات والانفعالات، يتراجع وقت القراءة لديهم بشكل كبير. فيعد أن كانوا يقرؤون بشكل يومي أو شبه يومي على أبعد تقدير، ولا يتنازلون عن هذا الوقت مهما حصل إلا تحت ظرف طارئ جداً، تحولت قراءاتهم إلى أن تكون أسبوعية، فلم يعد مهمماً لديهم أن يُغذوا عقولهم بالقراءة يومياً، وبعد مدة من الزمن، تصبح قراءاتهم شهرية، وهكذا، حتى تصبح قراءاتهم تحدث على فترات متباعدة، وبالتالي زيارة المكتبات لشراء الكتب ينعدم أو يكاد عند هذا الصنف. فيعد أن كانت زيارتهم إلى المكتبات تحدث بشكل أسبوعي أو شبه أسبوعي، أصبحت تحدث على فترات متباعدة!

وهذا منحنى خطير لكل كاتب يفعل ذلك، فالكاتب يفترض منه أن يتنازل عن كل شيء إلا وقت القراءة اليومي. هذا الوقت ينبغي أن يكون مقدساً لديه، لأنها هي التي تصنع منه أدبياً فذاً مميزاً، وهذا ما أكدته العلامة الأديب د. محمود الطنّاحي لما قال: إن الأديب كي يكتب أدباً عالياً جميلاً، لابد أن يكون على صلة لا تنقطع - هنا مرربط الفرس - بالقراءة، لأن الإبداع لابد له من مدد، والمدد ليس له إلا طريقاً واحداً، وهو القراءة الرشيدة المستمرة، ثم التأمل<sup>(33)</sup>.

وهذه من أروع النصائح التي قرأتها وأعجبتُ بها كثيراً، لأنها أكدت لي أكثر أن القراءة فعلاً صنعة كل عظيم، وأن الكاتب الذي يتنازل عن القراءة بحجة الأشغال والارتباطات يموت قلمه أو يتراجع كثيراً على أخف تقدير، لأن القراءة هي المحور الأساس والأهم في حياة الكاتب.

ولا ينقضي عجبني مع كل كاتب أنتقيه - لاسيما في معارض الكتب - وأسأله عن القراءة وجديد الكتب التي اقتناها، وآخر الكتب التي قرأها؟ لاكتشف أنه لا يتابع جديد الكتب ولا يقرأ منذ زمن، بحجة أنه لا يوجد وقت للقراءة!

وأكثر ما أصابني الدهول، لما التقيتُ بكاتب كان له اسم رنان، وكان ذلك قبل سنوات كثيرة، إذ كنتُ قارئاً نهماً فقط ولم أدخل إلى عالم الكتابة بعد، فسألته كيف المعرض وماذا اشتريت؟ فكانت إجابته صادمة لي إذ قال: الكتب التي اشتريتها منذ سنوات لم أفتحها من أغلفتها! لماذا اشتري؟ ليس هناك وقت للقراءة!

العجيب أنه كان يكتب مقالات ويصدر كتباً! يقول عبد الفتاح كيليطو: «هناك من انفصل ليس فقط عن الكتابة، وإنما أيضاً عن القراءة، واشتغل بأمور أخرى». لكن صاحبنا هذا لم ينفصل عن الكتابة، إنما انفصل عن القراءة فقط! فما قاله خطير! ولو سمعه القراء لربما تردّوا في اقتناء كتبه، أو ربما وصلتهم رسالة ضمنية بأنه ليس شرطاً أن يكون الكاتب قارئاً. كذلك هذا الكلام فيه مغالطة كبيرة، فلو سألت هذا الكاتب: هل يوجد لديك وقت لتأكل أو لتنام أم أنك مشغول جداً؟ لأجيبك: بالتأكيد، لابد أن أفعل ذلك! ولو سألته: لماذا؟ لأجيبك بأنه أمر ضروري ولو لم يفعله لعرض حياته للخطر!

لو عامل هذا الكاتب القراءة بأنها ضرورة حتمية كالأكل والشرب ووقت الراحة لوجد الوقت حتماً، ولتنازل عن كثير من الأمور غير المهمة التي كان يفعلها، ككثرة الجلوس مع الأصدقاء، وكثرة المحادثات في الهاتف وغيرها، واستعاض عنها بالقراءة. فالمشكلة - كما كررت دائماً - ليست في الوقت، بل في انعدام الشغف. أوجد الشغف وسيأتي الوقت، هذه المعادلة باختصار.

ثم ماذا ينتظر القراء من كاتب لا يقرأ؟! إذا كان هو بنفسه بعيداً من أن ينفع نفسه بقراءة كتب غيره، فكيف سينفع غيره بكتبه؟! لذلك نصيحة الكاتب عمار علي حسن بأن نقرأ في أي اتجاه ضرورة للكاتب<sup>(34)</sup>.

يقول الأديب والمترجم محمد عبد النبي: «يكاد يكون مستحيلاً أن تجد كاتباً ليس مهووساً بالقراءة، أو لا يرى نفسه قارئاً في الأصل من قبل رحلته نحو الكتابة، ومن بعدها»<sup>(35)</sup>.

فيا أيها الكاتب المحترم! القراءة ثم القراءة ثم القراءة. اجعلها عادة لازمة لك، ولا يشغلنك عن صحبة الكتب مواقع التواصل الاجتماعي التي أغلب محتوياتها «نفايات معرفية» لا تهمننا ولا تنفعنا بشيء، بل تقفل أوقاتنا وتزيد من تشتتنا، كما قال د. عبد الكريم بكار. ولا يشغلنك عن قراءة الكتب فيديوهات ولا برامج ولا حوارات ولا غيرها، فالكاتب هو المصدر الأول للثقافة الحقيقية، وما سواه تبع له ومُتفرع عنه.

رسائل قصيرة: رسالة من جان بول سارتر وستيفن كينج

يقول الكاتب بول جونسون عن الفيلسوف والروائي الفرنسي الشهير جان بول سارتر: «كإن شعار سارتر: «لا يجب أن يمر يوم من دون كتابة»، وكان ذلك عهداً حافظ عليه. كان يستطيع أن يكتب ما لا يقل عن عشرة آلاف كلمة في اليوم، كان معظمها هزلياً أو طناناً أو يخلو من مضمون واضح. كان سارتر يُفضل أن يكتب كلاماً فارغاً عن عدم الكتابة بالمرّة. كان يعترف أن الكلمات هي كل حياته: «لقد استثمرت كل شيء في الأدب... الكتابة هي عادتي مثلما هي مهنتي»».

هنا رسالة مهمة من سارتر لكل كاتب، وهي أهمية الانضباط في الكتابة، وأن يجعلها عادة يومية لا يتنازل عنها. بعض الكتّاب لديهم اعتقاد بأن الكتابة إلهام، متى ما أتاه الإلهام شرع في الكتابة، وإذا ما انقطع عنه الإلهام توقف عن الكتابة، وهذا – للأسف – اعتقاد غير صحيح أمات كثيراً من المواهب والإبداعات.

الكتابة انضباط يومي بشكل مستمر لمن يريد أن ينجز فعلاً، ولمن يُريد أن يصلق قلمه، وهذا ما فعله سارتر، حيث انتهج هذا النهج وهو ألا يمر به يوم من دون كتابة، وهو فعل صحيح لأنه يجعلنا متعلقين بالكتابة لا نتركها ولا نتهاون فيها. أما الكتابة المنقطعة التي يفعلها الكاتب متى وجد وقت فراغ كبير وأصبح خالياً من الأشغال والصوراف، فهي – للأسف – أحد أسباب ترك الكاتب للكتابة بعد ذلك.

كما أن الكتابة اليومية – كما ذكرت – تصقل قلمنا، فكل أمر نمارسه بانتظام لا بد أن نتطور فيه ونرتقي، حتى إن كان ما نكتبه لا يُعدُّ كله جيداً، ولكن استمرارنا في فعل أمر ما، يجعله أولاً عادة راسخة لدينا، ويُصبح جزءاً مهماً من يومنا وطوقسنا، يمنحنا فعله سعادة وتمعن. فإذا ما حل بيننا أمرٌ يمنعنا من فعله في أحد الأيام، فإننا نشعر بالضيق وننبرم، ونعد ذلك اليوم يوماً ليس بجيد.

تعجب الروائي الأمريكي الشهير «ستيفن كينج» من بعض الكتّاب الذين ألفوا كتاباً واحداً أو كتابين ثم توقفوا، وتساءل: ماذا يفعلون في بقية وقتهم؟ ولماذا توقفوا عن الكتابة؟ ثم علق قائلاً: إذا كان لدى الواحد منا موهبة في أمر ما، فلماذا لا يستفيد ويفيد الآخرين؟!

ثم تحدّث «كينج» عن جدولته اليومي، وذكر أنّ لديه جدولاً ثابتاً واضحاً. فالصباح قد خصصه للكتابة وللأليف، وفترة بعد الظهر للقبولة والرسائل، والمساء للقراءة والعائلة ومباريات فريق ريد سوكس على التلفزيون. وأكد «كينج» أن الصباح هو وقت التأليف الرئيس لديه، وأنه إذا بدأ العمل على كتابة قصة جديدة، فإنه لا يتوقف ولا يُبطئ إلا إذا كان هناك أمر طارئ لا مفر منه.

ثم بيّن «كينج» أمراً مهماً، وهو أنه إذا لم يكتب فقط ليوم واحد، فإن الأحرف تبدأ بفقدان تشويقها في ذهنه، وتبدأ الحبكة الروائية تصدأ لديه، ومن ثم يبدأ بفقدان السيطرة على حبكة قصته ووتيرتها. لكن أسوأ شيء يُصيبه هو أن إثارة ابتكار شيء جديد في الرواية يبدأ لديه بالتلاشي.

ويؤكد «كينج» حقيقة مهمة، وهو أنه حين يبدأ بالكتابة والتأليف، فإنه يكتب كل يوم، سواءً أكان العمل ممتعاً أم مملاً. وقال: إنه يكتب عشر صفحات كل يوم، أي يكتب قرابة ألفي كلمة، أي 180 ألف كلمة في ثلاثة أشهر، ولا يسمح لنفسه بأن يكتب أقل من ألفي كلمة يومياً.

يقول الروائي الكبير هاروكي موراكاي: إن المبدع لا يعد مبدعاً إلا إذا ظل يقدّم أعمالاً جيدة باستمرار، وعامل الزمن هنا مهم وحاسم جداً في جعله مبدعاً أصيلاً. أما إذا قدّم المبدع عملاً جيداً واحداً ثم اختفى عن الأنظار، فمن الصعوبة أن نطلق عليه فناناً أصيلاً، بل هو أشبه بـ«لمعة السراب» التي لا تدوم طويلاً.

وهذا أيضاً ما أكدّه الناقد الكبير رجاء النقاش – رحمه الله – لما تحدّث عن الأديب والفنان المصري مُتعدد المواهب شريف الشوباشي، وهو كاتب قصة ومؤلف مسرحي، وصحفي لامع ومفكر كبير، ومثقف من الدرجة العالية، وذلك لما عُيّن في منصب وكيل أول في وزارة الثقافة، وكان يخشى عليه أن تتبلعه الوظيفة مهما كانت قيمتها، وتخسر الساحة الثقافية كاتباً موهوباً مبدعاً، كما حدث لكثير من قبله، إذ تحوّل كثير منهم من كاتب مبدع إلى مسمّى «كاتب سابق مع وقف التنفيذ»، وانتهى إبداعهم لما عُيّنوا في مناصب كبيرة ابتلعت أوقاتهم وشغلتهم عن الكتابة.

وما قاله النقاش صحيح تماماً، فكم خسرت الساحة الثقافية من إبداعات كبيرة، لما سمح كثير من هؤلاء المبدعين لوظائفهم أن تستنزف جميع أوقاتهم، وتنازلوا عن وقت الكتابة اليومي، وشيئاً فشيئاً بدأ قلمهم يتراجع إلى أن جف – للأسف – تماماً! ولو أنهم كافحوا ولم يتنازلوا عن وقت الكتابة اليومي مهما كانت انشغالاتهم – فالأمر في النهاية هو قرار، فنحن من يقرر أن يفعل الشيء أو من يتركه ويتنازل عنه – لأخرجوا لنا إبداعات كثيرة. فالموهبة – كما يعلم الجميع – تموت إذا أهملناها فترة من الزمن، وتحتاج إلى وقت طويل لإرجاعها، وربما لا تعود كما كانت سابقاً متوهجة فنية.

فيا أيها الكاتب! لا تسمح لأي أمر أن يشغلك عن وقت الكتابة والبحث والقراءة، وإلا خسرت أنت أولاً وخسرناك نحن ثانياً.

قبل الختام: لَمَّا اقتربْتُ من الموت!

كانت ليلة 18 من ديسمبر 2023م ليلة فارقة في حياتي تماماً. فلم أكن أتوقع - وقد كان الوقت بعد منتصف الليل وكنْتُ حينها أرقُدُ في أحد المستشفيات الخاصة - أن يُكتب لي عُمر جديد.

كان ضغطي يتراوح بين 280 إلى 300! حتى إن الممرضة صرخت على الممرضة الأخرى أن تأتي وتتأكد هل فعلاً ضغطي وصل إلى هذا الحد. وعند القياس مرة أخرى رأيتهما تسارعان بإخبار الدكتور أن تترك المريض الذي بين يديها وتأتي لتراني لأن ضغطي مرتفع جداً.

حضرت الدكتورة مسرعة، ومباشرة أمرت بوضع المُغذيات لي في محاولة لتخفيض الضغط المرتفع. كنْتُ قد ظننْتُ حينها أنه بقي لي ساعات محدودة وبعدها أفارق الحياة من شدة الألم الذي كنْتُ أجده في قلبي، والضغط الكبير الذين أجده في أعصاب مخي، وأعتقد أنه أشد ألم أصابني في حياتي كلها.

كانت لحظات صعبة جداً في حياتي. ظللتُ أفكر هل ستنتهي حياتي في اللحظات القادمة؟! ألست سريعة هذه الحياة؟! في لحظة واحدة يُصبح الإنسان وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً! ثم ما أخبار المشاريع الكتابية التي أخطط لكتابتها ولم أكتبها بعد؟! وما مصير الكتب التي أشتريها أسبوعياً ولم يحن وقت قراءتها بعد؟! □

ثم إنني لم أودع زوجتي الحبيبة بعد توديعاً نهائياً! وكذلك لم أودع أولادي! ما زال لديّ كلام كثير لأقوله لهم! كانت كل هذه الأفكار التي تدور في رأسي مجرد لحظات في عُمر الزمن لكنها كانت من أشدّ المواقف التي مرّت بي. نعم، الموت قد يأتي في أي لحظة من دون سابق إنذار، ولكن عندما تقترب من لحظة الموت فعلياً يتغير كل شيء أماناً؟! □

كنْتُ أخاطب نفسي وأقول: ما زلتُ في بداية الأربعينيات من عُمرِي، وما زالت لدي آمال وطموحات كثيرة، لكن يبدو أن كل شيء سينتهي قريباً! ستخرج روحي من جسدي، وسأبقى جسداً من دون روح! بعد مرور لحظات تحوّل تفكيري إلى الموضوع الأهم وقالت لي نفسي: أنت مُقبل إلى ربك وهذا كله لا ينفك الآن إلا ما كان خالصاً لوجهه سبحانه، والأهم ما أعمالك الصالحة التي سترافقك إلى قبرك؟ ماذا قَدّمت من شيء يبقى؟! □

هنا وجم تفكيري تماماً، وقلت في قرارة نفسي: لأن كتب الله لي عُمرأً جديداً سأردأُ في فعل ما يبقى بعد الممات.

في الوقت نفسه شعرتُ بتفاهة الدنيا وحقارة النقاتل عليها والسعي وراء الشهرة والأموال وغيرها، والدخول في مناقشات تُضيق أوقاتنا لإثبات الذات والانتصار للنفس. كل ذلك رأيتُه لحظتها تافهاً لا قيمة له، ولا يفني الآن وأنا في آخر لحظات حياتي.

كما اختفى من عقلي تماماً في تلك اللحظات التفكير بالناس، وماذا سيقولون حين يصلهم نبأ موتي، لم يكن في تلك اللحظات مهماً عندي إطلاقاً كلام الناس ولا آراؤهم. كنْتُ مشغولاً بنفسي، حيث كانت لديّ أمور أهم بكثير في تلك اللحظات التي اعتقدت أنها اللحظات الأخيرة لي في هذه الدنيا.

دارت الدنيا في رأسي وقلت: ما أتفهننا ونحن نُعطي تركيزنا لأمر لا نتفعلننا، ونُهمل ما هو مهمٌ لنا! شعرتُ حينها بضيق شديد مع ألم في قلبي وعقلي، وكدتُ من جرّاء هذه الأفكار أن أصاب باليأس الشديد لولا أن تداركتني رحمة ربي.

بعدها بلحظات برق لي بصيص أمل جعلني أُغيّر من طريقة تفكيري، حيثُ خاطبتني نفسي قائلة هذه المرة: أحسن الظن بربك، وظن خيراً وتفاعلاً، فقد لا تكون هذه لحظتك الأخيرة في الحياة كما تعتقد، ولم تحن لحظة الموت بعد، وحتى لو كانت هي فعلاً لحظتك الأخيرة، فأنت مُقدّم إلى ربّ رحيم مثّان، يجازي بالحسنة ويعفو عن السيئة. □

عشيتني في تلك اللحظات سكيناً أراحت نفسي، وأزلت الضيق والهم عني، وإن كان الألم ما زال موجوداً، وخالجتني أمل قويّ بأن الله سيكتب لي حياة جديدة، والحمد لله على هذا الشعور. برز الأمل مع شدة الموقف فغيّر من نفسياتي إلى النقيض تماماً، وانغرس بداخلي شعور قوي مع ثقة وبعين تامان بأن الله تعالى الرحمن الرحيم سيُجيبني، وأن لحظتي الأخيرة في الحياة لم يحن وقتها بعد. □

والحمد لله! مع مرور الوقت بدأ الضغط ينخفض، واستمر في الانخفاض حتى وصل إلى 160 بعد ساعات، ولا تسل عن الفرح التي غمرتني وأنا أرى أن رب العالمين سبحانه نجاني بفضلهم وكرمه ومنه وكتب لي حياة جديدة تماماً.

ما زال هذا الموقف محفوراً في ذاكرتي ولا أظن أنني سأنساه ما دمْتُ حيّاً، لأنه كان نقطة تحوّل لي في أشياء كثيرة، فلم أعد كسابق عهدي، ورأيت الأمر وكأنه أشبه برسالة تحذيرية لي كي أنتبه إلى أمور كثيرة كنْتُ غافلاً عنها، قبل أن تأتي لحظة الموت الحقيقية التي لا مفر منها.

السؤال: لماذا قررت ذكر هذا الموقف الشخصي الذي حدث معي وجعلته في ختام كتابي هذا، مع أنني لا أحب أن أذكر ما يحدث لي من أحداث شخصية؛ لأنني أرى أنها لا تهم أحداً سواي، وهذا الموقف خاصة قررت ألا أبوح به إلا للمقربين جداً مني؟ □

#### الدروس المستفادة

عدلتُ عن ذلك وقررتُ ذكر الموقف للأسباب الآتية: □

- الله سبحانه بمنه وكرمه يُرسل لنا إشارات تحذيرية كي ننبتّه ونُصلح أحوالنا، وهذه الإشارات ينبغي ألا نمر بها مرور الكرام. فإذا كنا بعد أن ننجو من الموقف نعود كسابق عهدنا تماماً ولا يتغيّر فينا شيء، فنحن إذن لم نستفد من الدرس، إذ إننا لن نسلم في كل مرة، وربما لن تكون هناك فرصة أخرى لنا، وحينها لا ينفع الندم.

- علينا ألا نظن أن الموت بعيد عنا جداً، وأن من ماتوا كانوا يعلمون أنهم سيموتون، ولذلك

استعدوا! قد يدهمنا الموت فجأة كما دهم ملايين البشر قبلنا من دون سابق إنذار! يقول الإمام القرطبي رحمه الله: «وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم، ولا زمن معلوم، ولا مرض معلوم. وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك، مستعداً لذلك».

– حدوث مثل هذه المواقف يحثنا على أن نقوم بالتركيز على الأهم والذي يبقى وينفعنا بعد موتنا، فلا نُضيع أوقاتنا في أمور لا تهمننا، أو في أمور تسرق أعمارنا من دون نفع حقيقي، كالاستغراق التام في مواقع التواصل الاجتماعي، التي تسرق أوقاتنا وتُذهب بأعمارنا فيما لا ينفع.

– لا بد أن نغادر هذه الحياة يوماً ما. نعلم كلنا هذا الأمر تماماً، ومتيقنون من وقوعه، ولكن أغلبنا – للأسف – يتعامل مع أيامه وأوقاته وكأنها لا تنتفد أبداً، ويؤجل يوماً بعد يوم المشاريع التي يرغب في إنجازها وتركها بعد رحيله، ويقضي وقته في أشياء أقل ما يُقال عنه إنها لا تنفعه، ثم ينتبه بعد فوات الأوان أن عُمره قد انقضى وهو لم يُنجز شيئاً.

– لا أحد يعلم ما يعتريه في قادم أيامه من ظروف تُعوقه عن إنجاز مشاريعه. إن لم يكن الموت فقد يكون المرض، والمرض يُعجز الإنسان عن فعل شيء ما بسهولة. وليس الصحيح كالمريض، وسل المرضى يُخبروك بما يعانونه في سبيل إنجاز أمر ما، وكم لدينا من مرضى يتمنون لو عادت إليهم صحتهم لينجزوا مشاريعهم. علينا أن نغتنم طاقاتنا وشبابنا وصحتنا، فلا شيء يدوم، وإذا لم تُنجز ونحن شباب وفي صحتنا، فسيكون الأمر أصعب ونحن نقرب من الشيخوخة.

«سألني أحدهم: «ماذا أقرأ؟».

السؤال عن ماذا تقرأ هو في الحقيقة سؤال عن ماذا تُريد أن تكون؟ لأن القراءة ليست مجرد ترفيه، بل هي بناء للإنسان من الداخل.

ابداً بالكتب التي تمس أعماقك، وتُضيف لروحك نوراً. اختر ما يُلامس احتياجاتك الفكرية والوجدانية، ما يُعينك على فهم نفسك وحياتك، وما يُساعدك في تحسين واقعك. القراءة رحلة نحو النمو، وكل كتاب تتصفحُه هو خطوة جديدة على طريق فهم أعمق لنفسك وللحياة من حولك. لا تبحث عن كثرة الكتب، بل عن تلك الكلمات التي تبقى معك، وتحدث أثراً في عقلك وقلبك.

تذكّر دائماً أن القراءة ليست سباقاً، بل لقاء مع الحكمة والمعرفة، فاجعلها لقاءً مُمتعاً ومثمرًا».

د. عبد الكريم بكار

«إن الكتابة والقراءة تخففان من إحساسنا بالعزلة، وتعمقان وتوسعان وتطيلان إحساسنا بالحياة. إنهما تغذيان الروح، حين يجعلنا الكتاب نهر روسنا إعجاباً بدقة نثرهم وحقائقيهم. حتى حين يجعلوننا نضحك على أنفسنا أو على الحياة، فإننا نستعيد بهجتنا. لقد منحنا فرصة للرقص مع عبثية الحياة، أو على الأقل التصفيق معها، بدلاً من أن نُسحق بسببها مراراً وتكراراً. إن الأمر أشبه بالغناء على متن قارب في أثناء هبوب عاصفة هوجاء وسط البحر. لا يمكنك إيقاف العاصفة الهائجة، لكن الغناء يمكنه أن يهدئ قلوب الأشخاص الموجودين معك على متن تلك السفينة».

أن لاموت

«إن موهبة القراءة – كما أطلقتُ عليها – ليست شائعة جداً ولا مفهومة عموماً، إذ تتطوي هذه الموهبة على هبة فكرية كبيرة؛ نعمة مُطلقة – هكذا أجد نفسي مُضطراً لتسميتها – يستطيع الإنسان من خلالها أن يعي أنه لا يمتلك الحقيقة بشكل مُطلق، ولا أولئك الذين يختلف عنهم مُخطئون تماماً. ربما تكون لديه عقائد يعتنقها بحماسة، وربما يعرف أن الآخرين يعتنقون العقائد نفسها لكن بفتور، أو يعتنقونها على نحو مُغاير، أو لا يعتنقونها على الإطلاق.

حسناً، إن كان يحظى بموهبة القراءة، سيدعو هؤلاء الآخرون مصدر فائدة كبيرة بالنسبة إليه. إذ سيشهد الجانب الآخر من القضايا، والجانب الآخر من الفضائل. ولن يضطر إلى تبديل عقيدته من أجل ذلك، لكنه قد يُبدل قراءته لتلك العقيدة، ولابد أن يُصحح النقص ويسدده فيما توصل إليه من نتائج.

إن الحقيقة الإنسانية – التي دائماً ما تكون مُجرد كذبة – تُخفي عن الحياة بقدر ما تكشف. ووجدهم الذين يمتلكون حقيقة أخرى؛ أو التي تبدو لنا مُجرد كذبة خطيرة، هم من يمكنهم توسعة مجال معرفتنا المُحدد، وإيقاظ ضميرنا النائم.

إنّ ما يبدو جديداً تماماً، أو باطلاً بصلف أو شديد الخطورة، هو ما يكشف حقيقة القارئ. فإذا حاول أن يعي ما يعنيه هذا الشيء، والحقيقة التي تبرز وجوده، أنتنّ نعرف أن هذا الشخص يحظى بالموهبة وناذن له بالقراءة. أما إن استاء أو امتعض أو اتهم المؤلف بالرعونّة، فالأولى به أنتنّ أن يقرأ الصحف اليومية؛ إذ لن يغدو قارئاً أبداً.

فنحن؛ على أي حال، لسنا سوى أوعية لمحتوى مُحدد جداً، ولذلك لا يستطيع كل البشر قراءة كل الكتب، وهكذا لن يجد أي إنسان طعامه الموعود إلا في القليل من الأوعية المنتقاة. وأصلح الدروس هي التي يستسيغها ويحتفي بها العقل.

يُدرك الكاتب هذه الحقيقة مُبكراً، فتغدو سنده الرئيس، ويستمر غير خائف ليرسي القانون وهو على يقين أن أغلب ما يقوله باطل بصورةٍ لا ليس فيها، وأكثره مصطنع، وبعضه مُضر، والقليل جداً منه ما هو ينفع. لكنه يتوق كذلك في أن كلماته حين تقع في يدي أي قارئ حقيقي ستوزن وتغربل، ولن يُؤخذ منها إلا ما يُفيد. أما حين تقع في يدي من يعجز عن القراءة بدكاء؛ وقتنّ نُقبل بلفها صمتٌ وخرسٌ تامان؛ إذ وقعت على أذنين صمّاونين، ويظل سرّه مصوناً كأنه لم يكتب قط.

روبرت لويس ستيفنسون

الخاتمة

### أخي القارئ/أختي القارئة:

تقول الروائية ميس خالد العثمان: «أؤمن بأن الكاتب الحقيقي شخص لا يأبه بالألقاب، ولا تعنيه وجاهتها، يظل - مهما علا - كأننا مرعوباً لإحساسه الدائم بأن ما سيبقى منه هي تلك «الكتب»، وما هو إلا إنسان عابر في هذه الدورة الحياتية».

جمعينا عابرون في هذه الحياة، وما حياتنا إلا لحظات بسيرة جداً في عمر الزمن، وكلنا في سباق مع الزمن؛ إما أن نترك شيئاً لمن سيأتي من بعدنا، أو نرحل هكذا من دون أن نترك أثراً يدل على أننا مررنا بهذه الحياة.

كلما تقدّم بي العمر استشعرت فعلاً أنني في سباق مع الزمن أكثر وأكثر، وأن الوقت الذي يمر هكذا من دون إنجاز شيء هو ليس في مصلحتي، وأن الموت قد يأتي فجأة هكذا من دون استئذان ومن دون إشعار، وتعمق هذا الشعور أكثر عند دخولي العقد الرابع من عمري، لذلك حاولت أن أترك أثراً - ولو كان صغيراً - لمن يأتي من بعدي قبل أن أصطدم بجدار الموت.

حاولت ألا أشغل نفسي إلا بالقراءة والكتابة، فلم تكن تهمني الشهرة ولا الألقاب ولا أبه بها، ولم أسعى إلى أن يرضى عني المحفل الفلاني أو الكاتب الفلاني، ولم يكن يهمني استضافتي في كبار الأمسيات والمهرجانات واللقاءات والمحافل والمعارض، إلا ما جاء عرضاً منها، وهذا ليس تكبراً بل لأنني مؤمن - كما قالت ميس العثمان - أن ما سيبقى من بعدي هي كتبتي فقط، وكل هذا سيختفي ولن يأبه به أحد بعد رحيلي من هذه الدنيا.

ضريبة الحصول على الاعتراف والشهرة تأخذ الكثير من وقت الكاتب المحدود، لأن السعي إلى الحصول على هذه الأشياء تجعله يقدم الكثير من التنازلات، كما تجعله يسعى إلى كل كاتب شهير ليتعرف إليه لعله يبرزه ويُظهره، وتعمله يسعى أيضاً إلى كل مؤسسة ثقافية رغبة في الحصول على الاعتراف.

حُب الشهرة والظهور يجعلان الكاتب يسعى إلى أن يكون موجوداً في كل فعالية، وفي هذا استنزاف كبير لوقته. فمن يرغب في الكتابة لابد أن يكون متفرغاً تفرغاً كبيراً للقراءة والكتابة والبحث، يستغل أي وقت فراغ لديه في ذلك، ولذا لن يكون لديه وقت لهذه الأمور التي تحرق الوقت المتبقي، وهو وقت يسير جداً، فأغلب الوقت مستنزَف بين وقت العمل والحياة الأسرية والاجتماعية ووقت الراحة.

لذلك، تنازلت عن كل هذه الأمور ولا يهمني الحصول على الاعتراف ولا الشهرة وأن أصبح معروفاً. همّي الأكبر أن أقدم شيئاً يبقى ويكون نافعاً لمن بعدي قبل الرحيل. أما الشهرة والاعتراف فهذه أمور وقتية، قد يحصل عليها من يستحق ومن لا يستحق، وتموت بموت صاحبها، وبعد الموت فقط يبقى الأثر الحقيقي.

أخيراً، لقد استنزفتني الكتابة كثيراً، وأخذت من صحتي الكثير، فالجهد الذهني لا يقل إرهاقاً عن الجهد البدني، لكنني أرجو فعلاً أن أكون قد قدمت شيئاً نافعاً، وساهمت - ولو بدور ضئيل جداً - في نفع غيري، وأن وقتي الطويل في الكتابة والبحث وإعادة الكتابة مرّات لم يذهب سدى. فهذا الأمر عندي يُهَوِّن كل مرض وتعب إن كان فعلاً هناك من استفاد من كتبتي.

أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، وأرجو أن نلتقي مع كتاب جديد بإذن الله، ولا تتسوني من صالح دعائكم.

يسعدني كثيراً تواصلكم وتقديم ملاحظتكم وآرائكم وتصحيحاتكم على الكتاب على صفحاتي في مواقع التواصل الاجتماعي وعلى بريدي الإلكتروني:

Abunoor Alfarsi

Abunooralfarsi

naeem.farsi

naeemalfarsi2017@gmail.com

شكر وامنتان

الحمد لله أولاً وأخراً الذي وفقني وأعانني على إتمام الكتاب، فلولا تيسيره وعونه - سبحانه - لما خرج الكتاب إلى الوجود. اللهم لك الحمد والشكر دائماً وأبداً، ما خاب من دعاك ورجاك وأملك وقصد بابك. لك الحمد حتى ترضى، لك الحمد بعد الرضى، لك الحمد لا ينقطع أبداً ما دمت حياً.

شكر خاص للمهندس أحمد بن سيف الشبيدي الذي أفادني كثيراً بملاحظاته وآرائه حول المسودة وتوجيهاته المثريّة كثيراً. كما أشكره كثيراً على تشجيعه الدائم بالألا أتوقف عن الكتابة. كلامك كان له دافع كبير في تحفيزي نحو الاستمرار.

شكر خاص للمهندس الصديق عُمر سالم القاسمي، الذي قرأ المسودة قراءة عميقة، وأضاف إليها الكثير من تصويباته وتوجيهاته، وقدم مقترحاته المهمة والنافعة كعادته في قراءة كل مسودة من مسودات كتبي.

شكر خاص للصديق أ. علي عبد العلوي، الذي بذل جهداً كبيراً في قراءة المسودة قراءة متأنية عميقة، وقدم الكثير من التوصيات والاقتراحات التي أثرت الكتاب كما عودني في قراءة كل مسودة من مسودات كتبي.

شكر خاص للصديق سعيد بن حمد الوشاحي، الذي أفادني كثيراً كعادته أيضاً في قراءة مسودات كتبي.

وكالعادة ودائماً أحق الناس بالشكر عندي بعد الله تعالى، زوجتي الحبيبة الغالية نوال الشبيدي، التي لولاها - بعد توفيق الله - لمّا خرج لي أي كتاب، وظللتُ شخصاً قارناً فقط لا يعلم بي أحد، كما ذكرت ذلك مراراً. شكر خاص جداً لك يا زوجتي الوفية. لك مني كل حبّ وتقدير، ولا حرمني الله منك يا أم أولادي، ومن دعمك اللامحدود.

شكر ألكم جميعاً، فلولاكم - بعد توفيق الله وعونه - لما خرج الكتاب بهذه الصورة الرائعة. حقاً لقد أثريتم الكتاب كثيراً. وفقنا الله وإياكم لما يُحب ويرضى، وجمعنا على الخير دائماً، وأسأله - سبحانه - أن يفتح بكتابي ويجعله ذخراً لي يوم الفاء، ولا حول ولا قوة إلا به.



- 1 سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) من القرآن الكريم والسنة الصحيحة. عبد الحميد طهماز. دار القلم - دمشق. الطبعة الثانية 2014م.
- 2 أعمال القلوب - الجزء الأول. خالد بن عثمان السبت. مؤسسة العلم والتوصيل - المملكة العربية السعودية. الطبعة الثالثة 2023م.
- 3 -الإيمان باليوم الآخر، أحوال البرزخ، أشراط الساعة، أحوال القيامة. محمد بن إبراهيم الحمد. دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية. الطبعة الثانية 1443 هـ.
- 4 -التمثّل بالشعر. د. محمد بن إبراهيم الحمد. دار الحضارة للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 2018م.
- 5 خواطر. د. محمد بن إبراهيم الحمد. دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية. الطبعة الثانية 2008م.
- 6 قوة القراءة من سقراط إلى تويتر. فرانك فوريدي. ترجمه عن الإنجليزية: د. هاني حجاج. المركز الأكاديمي للأبحاث - بيروت. الطبعة الأولى 2025م.
- 7 القارئ النهم. روبرت غوتليب. ترجمة: أنس محمد غطّوس. منشورات وسم - الكويت. لا توجد سنة النشر ولا رقم الطبعة.
- 8 سؤال الحياة.. سيرة ذاتية. فيكتور فرانكل. ترجمة: أحمد الزناتي. منشورات نادي الكتاب - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 2024م.
- 9 مسرّات القراءة ومخاض الكتابة.. فصل من سيرة كاتب. د. عبد الجبار الرفاعي. منشورات تكوين - الكويت. الطبعة الأولى يوليو 2023م.
- 10 مهنتي هي الرواية. هاروكي موراكامي. ترجمة: أحمد حسن المعيني. دار الآداب - بيروت. الطبعة الأولى 2024م.
- 11 فلسفة الرغبة. فريدريك لونيوار. ترجمة: إسكندر حبش. دار الساقى. الطبعة الأولى 2024م.
- 12 لماذا نقرأ الكتب المملة؟ علي حسين. دار المدى - بغداد. الطبعة الأولى 2024م.
- 13 هوسُ القراءة.. مذكرات. جو كوينن. ترجمة: أنس محمد غطّوس. منشورات وسم - الكويت. الطبعة الأولى 2023م.
- 14 آه منا.. نحن المثقفون الجبناء. عزيز نيسين. ترجمة: أحمد سليمان الإبراهيم. دار زوربا للطباعة والنشر - دمشق. الطبعة الأولى. لا يوجد سنة النشر.
- 15 رواة وروائيون من الشرق والغرب. ماهر البطوطي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر -

- بيروت. الطبعة الأولى 2001م.
- 16 **حقيبة السفر التي امتلأت كتباً**. سامي بن مشوّح. دار أثر للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 2024م.
- 17 **شخصيات عرفتها وحاورتها.. أحاديث في الفكر والسياسة والفن - الجزء الأول**. نجم عبد الكريم. رياض الرئيس للكتب والنشر - بيروت. الطبعة الأولى حزيران 2012م.
- 18 **أدباء من العالم.. غرائب مأساوية - سير وحكايات**. نجم عبد الكريم. رياض الرئيس للكتب والنشر - بيروت. الطبعة الأولى يوليو 2013م.
- 19 **آخر كلمات العقاد**. عامر العقاد. دار المعارف بمصر. سلسلة اقرأ 267 - مارس 1965م.
- 20 **أن تلمس الكتب**. خيسوس مارتشامالو غارثيا. ترجمة: مارك جمتا. منشورات تكوين - الكويت. الطبعة الأولى يوليو 2024م.
- 21 **الجني الذي قالت أمي مريم إنه يملي عليّ القصص**. عبد العزيز بركة ساكن. منشورات تكوين - الكويت. الطبعة الأولى يوليو 2024م.
- 22 **مهنة الكتابة.. ما تمنيت معرفته في بداياتي**. اختيار وترجمة وتقديم: راضي النماصي. منشورات تكوين - الكويت. الطبعة الأولى يوليو 2023م.
- 23 **إلاقة الدواة.. رؤى وأفكار حول القراءة والكتابة: الحقائق والأوهام والخرافات**. محمد وفيق زين العابدين. أركان للدراسات والأبحاث والنشر - مصر. الطبعة الأولى 2021م.
- 24 **المكتبات الخاصة بمشاهير العلماء والأدباء.. كنوز وأثار ونوادير وأخبار**. نبيل أبو القاسم. مكتبة المشارق للنشر والتوزيع - مصر. الطبعة الأولى 2022م.
- 25 **سوانح وديع فلسطين**. جمع وتحرير وتقديم: محمد بن سعود الحمّد. دار القلم - دمشق. الطبعة الأولى 2022م.
- 26 **أخي العزيز.. مراسلات حسين وجلال أمين الجزء الثاني 1961 - 1989م**. جمعها وحررها: كمال صلاح أمين. الكرامة للنشر - مصر. الطبعة الأولى 2023م.
- 27 **الكتب التي دمّرت حياتي.. وقصص حب حزينة أخرى**. داريا بينيارددي. ترجمة: أماني فوزي حبشي. صفحة سبعة للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 2022م.
- 28 **كتاب مشردون.. تاريخ فاضح لكتاب متمردين**. أندرو شافر. ترجمة: منير عليمي. صفحة سبعة للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 2019م.
- 29 **تركيزنا المسلوب... لماذا صرنا نعاني مشكلة قلة الانتباه؟** يوهان هاري. ترجمة: الحارث النبهان. دار التنوير - بيروت. الطبعة الأولى 2023م.

- 30 طريق التكامل... أن تكون ذاتك في السر والعلن. مارتا بك. ترجمة: نيفين حلمي عبد الرؤوف. دار التنوير - بيروت. الطبعة الأولى 2023م. □
- 31 ظلال الأشياء... ليالي عبد الله الهدلق. انتقاء وحرره: صالح بن عبد الله الخليفة. دار أدب للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 2023م.
- 32 النظر في المرأة.. 30 كاتباً عربياً في سؤال الكتابة. إعداد وتحرير: صفاء ذيب. شهريار - بغداد. الطبعة الأولى 2020م.
- 33 حكايات العمر كله. سمير صبري. إعداد وتحرير: فتحية الداخني. الدار المصرية اللبنانية - مصر. الطبعة الخامسة 2021م.
- 34 كيف أصبحت كاتباً! بول أوستر. ترجمة: أحمد الطائف. تحرير: مروة الإتربي. منشورات حياة. الطبعة الأولى 2023م.
- 35 متعة الأدب. خورخي لويس بورخيس. ترجمة: جوهر عبد المولى. منشورات حياة. الطبعة الأولى 2023م.
- 36 الحكاية وما فيها.. السرد مبادئ وأسرار وتمارين. محمد عبد النبي. الكرمة للنشر - مصر. الطبعة الثانية 2023م.
- 37 يوميات قلعة المنفى.. رسائل السجن 1972 - 1980م. عبد اللطيف اللّعبى. ترجمة: علي تيزلكاد وعبد اللطيف اللّعبى. دار الرافدين للنشر والتوزيع - بغداد. الطبعة الثالثة يناير 2022م.
- 38 نقد القوة.. رسائل فلسفية إلى الضعفاء. سعيد ناشيد. دار التنوير - بيروت. الطبعة الأولى 2024م.
- 39 الإبداع العلمي. د. أحمد بن علي بن أحمد القرني. دار المازري للنشر والتوزيع - تونس. الطبعة الرابعة 2024م.
- 40 هكذا مرت الأيام. بلقيس شرارة. دار المدى - بغداد. الطبعة الثالثة 2021م.
- 41 المكتبة الجهنمية.. في أدبيات الديكتاتورية. دانيال كالدور. ترجمة: مأمون الزائدي. دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع - دمشق. الطبعة الأولى يناير 2021م.
- 42 ثنائية الحياة والكتابة. خيرى منصور. المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت. الطبعة الثانية 2014م.
- 43 هل تنتحر اللغة العربية؟ رجاء النفاش. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - مصر. الطبعة الأولى يناير 2009م.

- 44 مكان وسط الزحام.. تجربة ذاتية في عبور الصعاب. عمار علي حسن. الدار المصرية اللبنانية - مصر. الطبعة الأولى 2018م.
- 45 رجال عاشوا ألف عام.. تسع شخصيات غيرت مسار العلم والفكر والأدب. جلال الشايب. ديوان للنشر - مصر. الطبعة الأولى 2023م.
- 46 يومياتي المعلنة. جمال الغيطاني. دار سعاد الصباح - الكويت. الطبعة الأولى 1992م.
- 47 مكتبة هتلر الشخصية. تيموثي دبليو ريباك. ترجمة: سارة سلامة. مكتبة دار ألكا - بروكسل/بغداد. الطبعة الأولى 2022م.
- 48 تاريخ القراءة. ستيفن روجر فيشر. ترجمة: محمد فتحي خضر. دائرة الثقافة والسياحة (مشروع كلمة) - أبو ظبي. الطبعة الأولى 2023م.
- 49 كيف تبقى متوقد الذهن؟ طور دماغك أياً كان عمرك. د. سانجاي جوبتا وكريستين لوبرغ. ترجمة: د. عائشة يكن. الدار العربية للعلم ناشرون - بيروت. الطبعة الأولى أبريل 2021م.
- 50 العصف والريحان. مذكرات (1981 - 2015م). محمد سلماوي. الكرمة للنشر. الطبعة الأولى 2021م.
- 51-84، شارع تشيرنغ كروس. هيلين هانف. ترجمة وتعقيب: دلال نصر الله. دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع - دمشق. الطبعة الأولى 2019م.
- 52 قراءات من أجل النسيان. عبد السلام بنعبد العالي. منشورات المتوسط - إيطاليا. الطبعة الأولى 2021م.
- 53 متلازمة تيك توك.. كيف يغير تطبيق واحد العالم من حولنا؟ د. إسماعيل عرفة. دار عصير الكتب - مصر. الطبعة الأولى 2023م.
- 54 عالمنا المجنون.. فصول ومقالات. برتراند رسل. ترجمة وتحقيق: نظمي لوقا. بيت الياسمين للنشر والتوزيع - مصر. الطبعة الأولى 2020م.
- 55 نادي الخامسة صباحاً. روبن شارما. مكتبة جرير - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 2019م.
- 56 ماري أنطوانيت. ستيفان تسيفايغ. ترجمة: فارس متري ضاهر. منشورات وسم - الكويت. الطبعة الأولى 2022م.
- 57 دوستويفسكي بلا رتوش. تحرير: بافل فوكين. ترجمة: زياد الملا. دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع - دمشق. الطبعة الأولى 2021م.
- 58 الخليج يتحدث شعراً ونثراً. غازي عبد الرحمن القصيبي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر

- بيروت. الطبعة الثانية 2008م.

- 59 أنا. عباس محمود العقاد. منشورات المكتبة العصرية - بيروت. الطبعة الثانية 2007م.
- 60 قرية تحاور العالم.. حوارات أدبية عالمية. أجزاها: عبد الله الزماي. دار كلمات للنشر والتوزيع - الكويت. الطبعة الأولى 2018م.
- 61 المستطرف في كل فن مستظرف. بهاء الدين الأبشيهي. دار صادر - بيروت. الطبعة الأولى 2004م.
- 62 آفاق لا نهائية.. تجوال حر في فضاءات المعرفة. لطيفة الدليمي. دار المدى - بغداد. الطبعة الأولى 2023م.
- 63 فيزياء الرواية وموسيقى الفلسفة.. حوارات مختارة مع روائيات وروائيين. ترجمة وتقديم: لطيفة الدليمي. دار المدى - بغداد. الطبعة الأولى 2016م.
- 64 كتيبة من الديدان.. حكايات عن القراءة والكتابة. بشرى فرج الأحمدى. دار أثر للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية. لا توجد سنة النشر ولا رقم الطبعة.
- 65 البحث عن وطن.. سيرة مواطن عماني عاش الغربية والاعتراب. زهران زاهر الصارمي. رياض الريس للكتب والنشر - بيروت. الطبعة الأولى مارس 2020م.
- 66 العمر الذهاب.. رحلة المازني المعرفية من القراءة إلى الكتابة. د. عبد الرحمن حسن قائد. شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 2021م.
- 67 النسيان. د. أحمد فؤاد الأهواني. آفاق للنشر والتوزيع - مصر. الطبعة الأولى 2020م.
- 68 فرضية السعادة.. البحث عن الحقائق الحديثة في الحكمة القديمة. جوناثان هايت. ترجمة: أحمد المدلوح. دار مدارك للنشر - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى ديسمبر 2023م.
- 69 صفحات من حياتي. الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر. دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن. الطبعة الأولى 2010م.
- 70 المعاني الحسان في تفسير القرآن - المجلد الرابع. الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر. دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن. الطبعة الأولى 2015م.
- 71 قصة بدء الخلق وخلق آدم عليه السلام. د. علي محمد الصلابي. دار ابن كثير - بيروت. الطبعة الثانية 2022م.
- 72 أبْن القرية والكتاب - ملامح سيرة ومسيرة - الجزء الرابع. يوسف القرضاوي. دار الشروق - مصر. الطبعة الأولى 2011م.
- 73 يسألونك في الدين والحياة. 7 مجلدات. د. أحمد الشرباصي. دار الجيل - بيروت. الطبعة

الأولى 1995م.

74 قائمة القراءة.. كبار الكُتّاب يرشحون لك أهم وأجمل الكتب. عمرو فتحي. الكرمة للنشر - مصر. الطبعة الأولى 2023م.

75 الرواية مملكة هذا العصر. حميد عبد القادر. دار ميم للنشر - الجزائر. 2019م.

76 مودة الغرباء.. حكايات من السير الذاتية والمذكرات. محمد عبد العزيز الهجين. جسور للترجمة والنشر - بيروت. الطبعة الأولى 2020م.

77 الأئس بالراحلين.. أمسيات مع السير الذاتية. محمد عبد العزيز الهجين. مدارات للأبحاث والنشر - مصر. الطبعة الأولى يناير 2022م.

78 طائرٌ إثرَ طائرٍ.. بعض التعاليم حول الكتابة والحياة. أن لاموت. ترجمة: إيمان معروف. دار أثر للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 2021م.

79- 27 خرافة شعبية عن القراءة. د. ساجد العبدلي - عبد المجيد حسين تمران. الدار العربية للعلم ناشرون - بيروت. الطبعة الأولى 2015م.

80 التخلي عن الأدب. عبد الفتاح كيليطو. منشورات المتوسط - إيطاليا. الطبعة الأولى 2022م.

81 متعة القراءة. دانيال بِنَاك. نقله عن الفرنسية: يوسف الحمادة. دار الساقى - بيروت. الطبعة الأولى 2015م.

82 الفضول. ألبرتو مانغويل. ترجمة: إبراهيم قعدوني. دار الساقى - بيروت. الطبعة الأولى 2017م.

83 صنعة الكاتب.. ما يبقى من الكلمات. فهد بن صالح محمد الحمود. العبيكان للنشر - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 2016م.

84 فنُّ الكتابة. روبرت لويس ستيفنسون. ترجمة: مجدي عبد المجيد خاطر. كتاب الدوحة - 104. يناير 2020م.

85 اقرأ: دليل مختصر لكيفية جعل القراءة جزءاً من حياتك وما هي مجموعات القراءة، وفوائدها؟ ساجد العبدلي. دار مدارك للنشر - بيروت. الطبعة الثانية ديسمبر 2011م.

86 سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز كما عرفته. بقلم: محمد ناصر العُبودي. دار التلوثية للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 2018م.

87 مذكرات قارئ. محمد حامد الأحمرري. دار الخلود للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع - بيروت. الطبعة الأولى 2014م.

88 صيد خاطر. الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي. عناية: حسن السّمّاحي

- سويدان. دار القلم - دمشق. الطبعة الثالثة 2012م.
- 89 قصة أيامي.. مذكرات الشيخ كشك. عبد الحميد كشك. دار المختار الإسلامي - مصر. لا توجد سنة النشر ولا رقم الطبعة.
- 90 رسائل ابن حزم الأندلسي - المجلد الثاني. تحقيق الدكتور إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت. الطبعة الثانية 2007م.
- 91 المثقفون. بُول جونسون. ترجمة: طلعت الشايب. رؤية للنشر والتوزيع - مصر. الطبعة الأولى 2017م.
- 92 مسيرتي في التأليف.. مذكرات هذه الصنعة. ستيفن كينغ. ترجمة: أوليغ عوكي. الدار العربية للعلم ناشرون - بيروت. الطبعة الأولى 2019م.
- 93 عبارات أثرت عليّ.. وغيرت في حياتي. أحمد بن ناصر الطيار. مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 1440 هـ.
- 94 صناعة طالب علم ماهر. أحمد بن ناصر الطيار. مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية. الطبعة الثانية 2022م.
- 95 المس والسحر والحسد والعين والأمراض النفسية.. التشخيص والعلاج من منظور إسلامي. فؤاد بن سراج بن عبد الغفار. دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع - الكويت. الطبعة الثانية 2022م.
- 96 صفحات من صبر العلماء على شذائد العلم والتحصيل. عبد الفتاح أبو غدة. شركة دار البشائر الإسلامية - بيروت. الطبعة الثامنة 2005م.
- 97 مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي.. صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب - القسم الأول. شركة دار البشائر الإسلامية - بيروت. الطبعة الثالثة 2015م.
- 98 الإمام ابن الجوزي يتحدث عن نفسه وآراؤه في الإصلاح. صالح أحمد الشامي. دار القلم - دمشق. الطبعة الأولى 2015م.
- 99 معنى الحياة. اللورد افبري. ترجمة: وديع البستاني. آفاق للنشر والتوزيع - مصر. الطبعة الأولى 2022م.
- 100 فن الحياة. أندريه موروا. ترجمة: يوسف مظهر. آفاق للنشر والتوزيع - مصر. الطبعة الأولى 2020م.
- 101 المثقفون العرب وإسرائيل. د. جلال أمين. دار الشروق - مصر. الطبعة الثانية 2005م.
- 102 سلسلة صناعة الثقافة. كيف أقرأ؟ د. طارق محمد السويدان - أ. فيصل عمر باشراحيل.

- شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع - الكويت. الطبعة الثالثة يناير 2011م.
- 103 **خواطر قرآنية.. نظرات في أهداف سور القرآن.** د. عمرو خالد. الدار العربية للعلم ناشرون - بيروت. الطبعة الأولى 2004م. □
- 104 **متعة الحديث - الجزء الأول.** عبد الله محمد الداود. المملكة العربية السعودية. الطبعة السادسة 2005م.
- 105 **التركيز.. أكثر العادات أثراً في حياة الناجحين.** د. مشعل عبد العزيز الفلاحي. دار القلم - دمشق. الطبعة الرابعة 2023م.
- 106 **بوح المشاعر.** د. مشعل عبد العزيز الفلاحي. دار القلم - دمشق. الطبعة الثانية 2018م.
- 107 **شيءٌ مني يشبهك.. ثلاثون قانوناً غيرت حياتي وستغير حياتك أنت أيضاً.** سلوى العضيديان. المملكة العربية السعودية. الطبعة الثانية 1440 هـ.
- 108 **بيان بطل كل يوم.** روبن شارما. مكتبة جرير - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 2022م.
- 109 **هكذا تكلم القارئ.. النقد الافتراضي ومشاكل أخرى.** محمد حسن المرزوقي. روايات - الشارقة. الطبعة الأولى 2018م.
- 110 **لليوم أهميته.. 12 إجراء يومياً لضمان النجاح في المستقبل.** جون سي. ماكسويل. مكتبة جرير - المملكة العربية السعودية. 2017م.
- 111 **فكر أكثر تنجح أكثر.. 101 فكرة في كل شيء.** إيرني زيلنسكي. ترجمة: مايا كوراني. دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت. 2011م.
- 112 **حياة الرافي.** محمد سعيد العريان. شركة الريان ناشرون - بيروت. الطبعة الثانية 2015م. □
- 113 **حلية طالب العلم.** بكر بن عبد الله أبو زيد. دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى رجب 1429 هـ.
- 114 **جدد نفسك.. كيف تُصبح الشخص الذي طالما أردت أن تكون.** ستيف تشاندلر. ترجمة: د. محمد ياسر الحسكي ومنال الخطيب. دار الخيال - بيروت. الطبعة الأولى 2018م.
- 115 **تستطيع إذا اعتقدت أنك تستطيع.** نورمان فينسننت بيل. مكتبة جرير - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 2016م.
- 116 **أراك على القمة.** زيغ زيجلار. مكتبة جرير - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 2006م.

- 117 مبادئ النجاح.. كيف تصل من المكان الذي أنت فيه إلى المكان الذي تريد أن تكون فيه؟  
جاك كانفيلد. مكتبة جرير - المملكة العربية السعودية. الطبعة السادسة 2012م.
- 118 لو كنا نقرأ. نعيم بن محمد الفارسي. دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع - دمشق.  
الطبعة الأولى 2019م.
- 119 شجون القراء.. إجابات لكثير من التساؤلات حول القراءة وعوالم القراء. نعيم بن محمد  
الفارسي. دار شفق للطباعة والنشر والتوزيع - الكويت. الطبعة الأولى 2021م.
- 120 عزاءات القراءة.. مقالات حول القراءة وبعض المواضيع المتعلقة بها. نعيم بن محمد  
الفارسي. دار شفق للطباعة والنشر والتوزيع - الكويت. الطبعة الأولى سبتمبر 2019م.
- 121 تباريحُ القراءة. مقالات في القراءة والكتابة وشؤونهما. نعيم بن محمد الفارسي. دار  
الرافدين - بغداد. الطبعة الأولى يناير 2023م.
- 122 القراءة صنعة العظماء.. دور القراءة في صنع العظماء والمصلحين والمخترعين  
والمفكرين وغيرهم. نعيم بن محمد الفارسي. دار الرافدين - بغداد. الطبعة الأولى يناير  
2024م.
- 123 المعجم الوجيز. جمهورية مصر العربية. 1998م.
- 124 مقال «نزار شقير.. قصة الطفل الذي أسس شوكولا باتشي»، لإيهاب بركات. متوفر على  
الشبكة العنكبوتية.
- 125 الصفحة الرسمية في الفيسبوك للكاتب جلال الشايب.
- 126 الصفحة الرسمية في الفيسبوك للدكتور عبد الكريم بكار.
- 127 حلقة (طريقة تدوين فوائد الكتب)، لسامي البطاطي. متوفرة على اليوتيوب.
- 128 حلقة (الشباب الذي يتذكر كل يوم في حياته)، لبدر العلوي. متوفرة على اليوتيوب على قناته  
(قرية العجائب).

الكاتب

نعيم بن محمد بن ماجد الفارسي.

مواليد عام 1982م - سلطنة عُمان.

حاصل على بكالوريوس في تخصص الإدارة في عام 2005م من جامعة السلطان قابوس.

حاصل على ماجستير إدارة الأعمال في عام 2021م من جامعة «بيدفوردشير» في بريطانيا.

صدر له:

- 1 **القراءة صنعة العظماء.** دار الخيال - لبنان. الطبعة الأولى 2018م.
- 2 **لو كنا نقرأ.** دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع - سورية. الطبعة الأولى 2019م.
- 3 **عزاءات القراءة.** دار شفق للطباعة والنشر والتوزيع - الكويت. الطبعة الأولى سبتمبر 2019م. الطبعة الثانية أكتوبر 2020م.
- 4 **شجون القراء.** دار شفق للطباعة والنشر والتوزيع - الكويت. الطبعة الأولى 2021م.
- 5 **تباريحُ القراءة.** دار الرافدين - بغداد. الطبعة الأولى يناير 2023م.
- 6 **لو كنا نقرأ.** «طبعة مزيدة ومنقحة». مؤسسة قطر الندى للثقافة والإعلام والنشر - الدار البيضاء بالمملكة المغربية. الطبعة الأولى 2023م.
- 7 **القراءة صنعة العظماء.** دار الرافدين - لبنان. «طبعة منقحة وفيها تغييرات جذرية». الطبعة الأولى يناير 2024م. الطبعة الثانية يونيو 2024م.



(1) بدأت بفضل الله سبحانه بتحويل الأفكار من رأسي إلى شاشة الحاسب الآلي بتاريخ 19 مايو حتى تاريخ 5 ديسمبر 2024م، أي قرابة الستة الأشهر، وطوال هذه الفترة كنت في شغلٍ دائمٍ حول الكتاب؛ قراءة وبحثاً وكتابة، مع تفكيرٍ دائمٍ لا ينقطع حوله إلا فترات بسيطة ثم أعود مرة أخرى.

(2) الخالديان هما أخوان كانت لهما حياة أدبية واحدة، وهما: أبو بكر محمد، وأبو عثمان سعيد، ابنا هاشم بن وعكة بن عرام بن عثمان. ولدا قرب الموصل، في قرية اسمها الخالدية. كانا كفرسي رهان في قوة الذكاء، وسرعة النظم وجودته، يتشاركان في القصيدة الواحدة، كما قال الأديب عمرو فروخ في كتابه (تراجم الأدباء والشعراء). نقلاً من نسخة الكترونية متوفرة على الشبكة العنكبوتية.



(3) ولا ننسى كذلك حسد زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول لخير البشر نبينا محمد، عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد دفعه الحسد إلى أن يعادي خير البشر عداوة شديدة، وقد ورد في كتب السيرة النبوية أن رسول الله قال لسعد بن عباد - رضي الله عنه - ما قاله عبد الله بن أبي في أحد المواقف، فطلب سعد من رسول الله أن يعفو عنه، لأن أهل المدينة قد اصطَلحوا أن يجعلوا عبد الله بن أبي ملكاً عليهم ويتوجه العصابة، وذلك قبل قدوم رسول الله إلى المدينة، وتغيير الأمر بقدوم خير البشر محمد رسول الله، فرأى عبد الله بن أبي أن رسول الله سلبه هذا المنصب، فعاداه عداوة شديدة!

وكذلك حسد المخترع الشهير «توماس أديسون» لـ«نيكولا تسلا». تابع حلقة «نيكولا تسلا أكثر مخترع مظلوم في التاريخ»، للمبدع بدر العلوي، على قناته في يوتيوب «قرية العجائب»، لتعلم كيف أن الحسد دفع بأديسون أن يسخر أمواله لتشيويه إنجازات «نيكولا تسلا». إنه الحسد الذي يدفع بصاحبه أن يفعل كل الصفات الدنيئة ولو كان صاحبه عاقلاً ومتديناً عافانا الله وإياكم منه.

(4) اقرأ قصة «النجاح يجذب النقد» التي حدثت مع الكاتب الروماني «قسطنطين جيورجيو»، وقد ذكرتها في كتابي «تباريح القراءة» ص 244 - 245، لتتيقن أكثر مما يفعله النجاح من حسد وغيره.

(5) أبدع عالم الاجتماع الفيلسوف الفرنسي «فريدريك لونوار» في تحليل ظاهرة الحسد في كتابه (فلسفة الرغبة)، وأنصح بقراءة ما كتبه عنها، فالمقام هنا لا يتسع للحديث عن كل ما ذكره حول هذه الصفة التي عدّها معظم المفكرين اليونانيين، ومن تبعهم من اللاهوتيين المسيحيين وفلاسفة عصر التنوير، أسوأ رذيلة وأكثر ما يفسد الروح البشرية، كما ذكر «لونوار». نسأل الله أن يعافينا جميعاً من هذه الصفة.

(6) للتوضيح، فإن جوناثان ملحد لا يؤمن بالله، لذلك لم يُسهب في الإجابة عن الشق الأول، فقط قال إن هذا السؤال له إجابتان: إما أن تؤمن بالله أو روح أو نكاه يمتلك رغبة في خلق العالم، أو تؤمن بعالم مادي لم يُخلق ولم تُخلق لأجل أي سبب. فقط حدث كل هذا لما تفاعلت المادة والطاقة وفقاً لقوانين الطبيعة!

(7) سيمر بنا تعريف «الانسيابية» وما المقصود بها بعد قليل من خلال شرح «التفاعل الحيوي».

(8) لا مانع أن نستخدم الوسائل الحديثة لجذب الجيل الجديد الذين هم الشريحة الأكبر الموجودة في هذه الوسائل، بل المطلوب أن نتوجه إلى الجيل الجديد في وسائله الحديثة. وكلامي ليست دعوة لعدم دخول هذه الوسائل الجديدة، بل المقصد منه هو التوضيح أن هذه الوسائل عوّدت الجيل ألا يقرأ ولا يتجه إلى القراءة؛ لأنه تعود على رؤية مقاطع الفيديو، فصارت القراءة أمراً ثقیلاً عليه! (9) سيمر بنا في مقال «النسيان» قصة «ميهاى» وشرح حالة الفيض التي اكتشفها بتفصيل كبير هناك.

(10) لمزيد من دور القراءة في حياة روبن وتأثيرها الشديد فيه، اقرأ إن شئت قصة روبين شارما مع القراءة في كتابي (القراءة صنعة العظماء)، ص 369 – 382، إصدار دار الرافدين.

(11) اقرأ إن شئت قصة صديق د. عبد الوهاب المسيري، وكيف كانت لديه عبقرية في كتابة الأبحاث، لكنه للأسف لم يكن يملك ثقة بنفسه، مما أضاع عليه وعلينا موهبة فريدة جداً. تجد القصة في كتابي «تباريح القراءة» ص 185 – 186.

(12) «Use it or lose it».

(13) توفي في أثناء العمل على هذا المقال، بتاريخ 17 يونيو 2024م. (14) يُنظَر في كتاب «المعاني الحسان في تفسير القرآن» للأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر رحمه الله، المجلد الرابع، ص 2121 – 2122. (ولم نجد له عزماً) في أحد تفسيراتها: لم نجد له صبراً عن الأكل من الشجرة.

(15) للمزيد عن تجارب ودراسات «إبنجهاوس» اقرأ كتاب «النسيان» للدكتور أحمد فؤاد الأهواني، فهو كتاب رائع وفيه تفصيل واستندت منه كثيراً، وسيمر بنا بعض الإحالات منه.

(16) مرّ معنا في مقال «جوناثان هايت» حديثه عن دراسات «ميهاى»، وفي كتابها «العزيمة» تحدّثت «أنجيلا داكورث» أيضاً عن «ميهاى» وأنه درس معها في فصل الصيف في جامعتها كطالب مقيم، وتحدّثت بالتفصيل عن الحالة التي اكتشفها وهي «الانسياب»، وقارنت بين ما توصلت إليه دراساته ودراسات «أندرس إريكسون»، وقد كانت «أنجيلا» تعتقد بداية أن كل واحد منهما توصل إلى نتائج متباينة. كذلك تحدّث «د. سانجاي جوبتا» في كتابه «كيف تبقى متوقد الذهن؟» عن «ميهاى» وذكر بأنه لأربعة عقود درس مفهوم حالة «التدفق»، وأصبح أحد أعمدة أبحاث علم النفس الإيجابي. نلاحظ أن كل كتاب ترجم المصطلح باسم مختلف: «الفيض»، «الانسياب»، «التدفق»، وكلها تُعبر عن المعنى نفسه.

(17) تاريخ نشر المقال هو ديسمبر من عام 1984م. ونيسين يتحدّث عن الأطفال والمُلهيات المتوفرة في تلك السنوات! يا ترى ماذا سيقول «نيسين» – لو كان موجوداً معنا اليوم ونحن في شهر ديسمبر من عام 2024م؟! – عن أطفالنا وفقدانهم لتركيزهم والمُلهيات وقد تطورت بشكل مخيف، إذ قل التركيز بشكل مقلق جداً بسبب الهواتف الذكية وألعابها وتطبيقاتها ومواقع التواصل الاجتماعي المشتتة للكبار قبل الصغار، بل صار الكبار يشكون من فقدانهم التركيز كما قال «نيسين» وكما قال الكاتب «يوهان هاري»! الله المستعان!

(18) أوردت في كتابي «عزائم القراءة» الدراسة التي ذكرها «زيغ زيغلار» في كتابه «أراك على القمة» وهي أنهم وجدوا أن الأشخاص الذين يعرضون لمادة جديدة مرة واحدة فقط،

يتذكرون نحو 2 % منها فقط بعد مرور أسبوعين! درجة النسيان لدينا جداً مذهشة كما قال «دايل كارنيجي»!. كما أوردت في الكتاب كثيراً من الاستشهادات وفضلت ألا أذكرها هنا، تجنباً للتكرار، فليرجع لها من أراد الاستزادة في مقال النسيان.

(19) ذكر د. الأهواني هنا كلمة الحفظ، لكن حديثه كان قبل ذلك عن التكرار وأهميته بشكل عام، وأرى أن ما قاله أيضاً ينطبق على تكرار القراءة من دون حفظ، حيث إننا في أحيان كثيرة ننسى ما قرأناه مباشرة، ثم نتذكر المعلومات بعد عدة أيام! حصل لي ذلك كثيراً! لذلك أوردت هذه المعلومة هنا. وهذا يؤكد ما ذكرته في مقال سابق من كلام «يوهان هاري» بأن تأثير القراءة لا يكون لحظياً، بل يحتاج إلى مدة زمنية كي يتفاعل مع ما قرأناه، مع المعلومات المترسخة في عقولنا. وقد أورد معنى هذا الكلام أيضاً د. الأهواني كما ذكرته في الأعلى.

(20) أنصح وبشدة بقراءة الفصل الرابع والذي بعنوان: «معجزة الحركة»، في كتاب (كيف تبقى متوقد الذهن؟) للدكتور سانجاي جوبتا، الصادر عن الدار العربية للعلوم ناشرون، فقد أبدع فيه وذكر فوائد كثيرة جداً لأهمية الحركة على الجسم والدماع، والمقام هنا لا يكفي لسرد جميع هذه الفوائد. بعد قراءتي لهذا الفصل صارت الرياضة لدي ضرورة يومية كضرورة القراءة لا أتنازل عنهما إلا لظرف طارئ جداً.

(21) اقرأ إن شئت كتاب عنوانه (النسيان وأثره في الأحكام الشرعية) ليحيى بن حسين الفيغي، من إصدار مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1980م، وهو عبارة عن رسالة ماجستير، ليتضح لك أن النسيان لا يسلم منه أحد إلا في حالات شاذة كما سيمر بنا في الصفحات القادمة.

(22) هنا توضيح لنقطة مهمة، قد يفهم بعض القراء إن الحفظ ليس ضرورياً، والإجابة كلا الأمرين مهم، ولا يُغني أحدهما عن الآخر، لكن هنا حديثي لمن يطغى عليه جانب بشكل كبير على جانب آخر ويُضعفه، كما ذكر المازني عن هؤلاء الأشخاص الذين ركزوا على الحفظ بشدة كبيرة وأهملوا التأمل والتفكير فيما قرؤوه.

### (23) HYPERTHYMESIA.

(24) أنصح بمتابعة الحلقة كاملة فقد أبدع فيها بدر العلوي، وعرض لقطات من اختبار جيل وأورليان. حلقة تستحق المتابعة، وهنا حاولت اختصار أهم ما ورد فيها.

(25) هنا أعني الكتاب الحقيقيين ولا أعني من يسطون على إنتاج غيرهم ومراجعهم ويسلقونها سلقاً ويضعونها في كتبهم، ليبيئوا للقراء أنهم هم من بحثوا وكتبوا! هنالك - للأسف - في كل مجال من أمثال هؤلاء أدياء الكتابة، ممن ليس لهم من جهد سوى أنهم يقرؤون فقط ليسطوا على إنتاج غيرهم ويضعونه في كتبهم من دون أن يذكروا ذلك! فقط ليُقال إنهم هم من بحثوا وكتبوا، وقد صادفت - للأسف - الكثير منهم بحكم اختصاصي وشغفي بقراءة الكتب التي تتحدث عن القراءة. وأنا لا أعني هذا الصنف السيئ بناتاً، فهؤلاء ليسوا بكتاب!

(26) في كتابه (حلية طالب العلم) حذر الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله - من أن يكون الواحد منا أبا شبر، وقال: «فقد قيل: العلم ثلاثة أشبار، من دخل في الشبر الأول؛ تكبر، ومن دخل في الشبر الثاني؛ تواضع، ومن دخل في الشبر الثالث؛ علم أنه ما يعلم».

(27) في أثناء المراجعة الأخيرة لمسودة الكتاب كنت مستمتعاً بقراءة كتاب (حقيبة السفر التي

امتلت كتباً) لسامي بن مشوح، فوقعت على هذا الكلام، فوجدت أنه ذكر فقرة تتفق تماماً مع ما ذكرته في مغالطة أفضل كتاب قرأته؟ فأحببت أن أضيف كلامه هنا، وهذا يؤكد أحد فوائد القراءة المهمة، من أنها تُضيف لك دليلاً أو شاهداً على فكرة أنت مقتنع بصحتها أو عدم صحتها.

(28) في معرض الشارقة الدولي للكتاب (نوفمبر 2024م)، اقتنيتُ فقط 111 كتاباً، وجميعها شغوفٌ بها، أود أن أقرأها أو أقرأ فصولاً منها. هل يسمح وقتي أن أفعل ذلك؟! لو كنت منقرغاً لم أستطع قراءتها إلا بعد وقت طويل، فكيف بالكتب الموجودة في مكتبتي التي يقترب عددها من 6 آلاف كتاب! وأنا مرتبط بعمل يأخذ مني قرابة 10 ساعات يومياً، مع التزاماتي نحو أولادي وزوجتي وحياتي الاجتماعية وغيرها؟! إنها مشكلة أزلية كما قالوا، الوقت لا يكفي لقراءة كل ما تهفو إليه نفوس عُشاق الكتب.

(29) كانت الخطة أن أختار مئة مقولة ثم عدلتُ عن ذلك لما رأيت أن الكتاب بدأ يتضخم كثيراً، فغيّرتُ إلى أن تكون خمسين مقولة، ثم عدلتُ أيضاً للسبب نفسه، فاخترتُ النزر اليسير جداً. ولعلي أفرد كتاباً خاصاً لجميع هذه المقولات في المستقبل القريب، إن يسر الله وأعان، فلا حول ولا قوة إلا به.

(30) كما أوضحت في كتابي «القراءة صناعة العظماء»، و«عزاءات القراءة»، ليس المقصود بهذا الكلام أن نترك الدراسة النظامية ولا نُلقِي لها بالاً، لأن القراءة الحرة أفضل منها. لا يقول هذا الكلام شخص لديه أدنى ذرة من عقل! بل المقصود من هذا الكلام هو أن نجتمع الأمرين معاً، فلا غنى لنا عن أن ندرس دراسة نظامية ونُكمل الدراسات العليا متى ما سمحت لنا ظروفنا، ولا غنى لنا أيضاً عن القراءة الحرة فلا نتركها مهما كثرت أشغالنا ومهما تقدّمنا في العمر. بذا نحافظ على عقولنا لتكون نشطة متجددة ونحارب الشيخوخة الفكرية.

(31) من باب الأمانة العلمية، هنا تصرفتُ قليلاً في بعض الكلام، وأضفت بعض المفردات فقط ليتضح كلام الكاتب.

(32) لمزيد عن كيفية تعامل الكاتب مع النقد، أنصح بقراءة: «المحور السابع: كيف تتعامل مع النقد؟» في كتابي «تباريح القراءة»، ص241، حيث فصلت في هذا الموضوع وأسهبته، وذكرت استشهادات كثيرة.

(33) لمزيد حول أهمية القراءة للكاتب، انظر مقال «هل يشترط أن يكون الكاتب قارئاً نهماً؟» في كتابي «عزاءات القراءة»، ص97 - 105. وكذلك انظر «المحور الخامس» في كتابي «تباريح القراءة»، ص197 - 206.

(34) للتذكير بأن هذا الكلام لا ينافي أن يخصص الكاتب - كما ذكرت في كتبي - من 50% إلى 60% من قراءاته للقراءة في مجال واحد ليستطيع أن يُبدع فيه ويأتي بجديد، ولكن عليه أن يجعل النسبة الباقية لقراءات متنوعة بعيدة عن تخصصه، بهذه الطريقة يخرج الكاتب من ضيق أفق التخصص إلى سماء الإبداع الواسعة.

(35) ازدادت - للأسف - في الفترة الأخيرة ظاهرة التأليف من دون قراءة لدى الجيل الجديد بشكل مخيف. أخبرني أحد أصحاب دور النشر بأنه في معارض الكتب يأتيه شباب كثير في

العشرينيات من أعمارهم وبداية الثلاثينيات، يُريدون أن يطبعوا كتباً في داره ومستعدّون أن يتحمّلوا تكاليف الطباعة، وحين يسألهم صاحب الدار: هل تقرأون؟ وما المجالات التي تقرأون فيها؟ يتفاجأ بأنهم لا يقرأون! والمشكلة الأكبر أنهم لا يرون أن الكتابة تحتاج إلى قراءة! هؤلاء ليسوا بكتّاب حقيقيين ولو كتبوا وألّفوا فإن كتبهم تظهر وتموت بعد فترة قصيرة!